

كتاب  
التعاون

# سيفاي من أحمس إلى السادات

أحمد أبو كنف

عاشق  
عزوز





كتاب  
التعاون

# سِيَرُ مِنْ أَحْمَسَ إِلَى السَّادَاتِ

أحمد أبوكف





مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

مركز الدراسات الصحفية

كتاب التعاون

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير العام

ممدوح رضا

رئيس التحرير التنفيذي

عزالدين كامل

المشرف الفني

على الجندى

سكرتير التحرير

سيد قنديل

المراسلات

دار التعاون - ٦ شارع عبدالقادر حمزة

جاردن سيتي - القاهرة



## اهداء

الى ابن مصر الاسمر وكبير عائلة مصر .. أنور  
السادات بطل تحرير سيناء ..

والى أرواح الشهداء من أشقائنا وأبنائنا الذين امتزجت  
دماؤهم بالرمال المقدسة ، ليخضر غصن الزيتون .. وتزفر  
حمامات السلام ..

والى كل مصرى وعربى .. اعتز بهذا النصر الكبير  
الذى انبلج من عبور الهزيمة كالفجر من ليل اسود حالك  
السواد ...

الى هؤلاء جميعا ، أقدم كتاب ( سيناء ) ..

أبو كف



## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين .  
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل  
سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير  
ممنون » .

قرآن كريم



## مدخل الى شبه الجزيرة

من المؤسف حقا .. ان المكتبة العربية عندنا ، تكاد تخلو من الدراسات والابحاث المباشرة ، التي تتناول شبه جزيرة سيناء ، تناولاً علمياً شاملاً .. برغم ان سيناء ظلت وستظل الباب الشرقي

لمصر .

وهذا الباب الشرقي لمصر طالما شاهد دقات عنيفة ، سسمع صداها في دلتا مصر . بل ان كثيراً من تلك الدقات الاعنف ، وصل صوتها الى صعيد مصر . ولعبت دوراً هاماً في مسيرة التاريخ المصري ..

لكن - من اسف ايضاً ، فانه حتى الآن ، لم تتج للصوى - وهو قادر بلا شك - الظروف الملائمة ، ان ( يمشط ) هذه القطعة الغالية من ارض مصر .. بحثاً - خاصة الميداني منه - لكي تنطق شبه الجزيرة بما فيها وبما حدث لها على مدى سنوات تربو على الخمسة آلاف عام او يزيد .. وكما تؤكد بعض آثارها منذ ان كشف عنها علمياً في مفتتح هذا القرن ودرسها السير فلندرز بترى وبعده المؤلف آلان جاردنر .

والواقع .. ان سيناء ، اذا كانت هي ارض المعارك الطويلة والقصيرة ، بل الخاطفة في كثير من الاحيان .. فانها كذلك ارض القديسات ، وارض الذكريات التاريخية .. وخاصة ذكريات اديان التوحيد الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . بل هي قد شهدت الكثير من انبياء الله ، سواء وهم في طريقهم الى وادي مصر او في طريقهم منها الى خارج الوادي .  
وسيناء اذا كانت كما يسميها البعض ( ارض الجذب والخراب ) ، ونحن لنا اعتراض على هذه التسمية ، فهي ايضاً

( قدس أقديس ) مصر ، وهي بلا شك أرض الكنوز والثروات المعدنية الواعدة ، كما أنها الأرض الاستراتيجية الهامة التي تحمي صدر مصر .

لقد ظلت السنوات تتكاثر وتتكاثر . بل إن الأبحاث الكثيرة التي اهتمت بسيئاء على فترات من تاريخها ، وخاصة منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . كلهما كانت تستهدف النقص من أهمية سيئاء والى ( التعمية ) حتى لا تتجه إليها الاهتمامات والافكار . وحتى يمكن فصلها ( سرى ) عن مصر لقد حاولوا إيهام المصريين بكل الوسائل ، أن سيئاء ليست أرضا مصرية ، وحاولوا أن يفصلوا بينها وبين الوادى بشتى الطرق والوسائل الادارية وغير الادارية ، وخاصة منذ الاحتلال البريطانى لمصر ، وبالأخص فى مفتتح القرن العشرين . وكان المصرى يسمع كل ذلك وهو صامت لا يعلق . مع أن داخله كان يهود بملكية هذا التراب الوطنى . فالمصرى يعرف أن سيئاء أرض مصرية منذ أجداده الفراعنة ، الذين فطنوا لاهيتها ، والذين عرفوا أنها المعبر الى مصر ، بل أخطر معابرها أو حدودها الشرقية منذ الهكسوس أو ملوك الرعاة فى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، أو حوالى عام ١٧٠٠ ق.م . ثم ما تلى ذلك من أحداث ، حيث استطاع الفرعون أحمس ( ١٥٧٠-١٥٤٥ ) أن يزيج كابوس الفزة وأن يحرر البلاد .

وبدل على هذا الاهتمام المصرى منذ قديم التاريخ ، أن الطلبة المصريين ، ومنذ العصور الفرعونية ، كانوا يدرسون المعارك التي حدثت فى سيئاء . بل كان دائما فى منهاج دراساتهم أرض الفيروز والمعادن النفيسة . فسيئاء برزت فى الوجدان المصرى ، منذ الاسرة الاولى الفرعونية ، وربما قبل ذلك . والدليل على ذلك أن سمرخت سابع ملوك هذه الاسرة ترك نقوشا على صخور ( وادى المغارة ) . وحيث كانت سيئاء المنجم الكبير الذى تعددت اليه حملات الفراعنة



السلمية لاستخراج المعادن ، ومنها النحاس والفيروز ، حتى سميت  
شبه الجزيرة بأرض الفيروز . وهذه الحملات نستطيع أن نسير  
معا منذ الاسرة الاولى الفرعونية ، وحتى الاسرة العشرين .  
ولقد امتزجت شبه الجزيرة بالوادي . . وامتزجت المعتقدات  
ايضا وتوحدت . . كما سنثبت ذلك في فصول الكتاب بالادلة  
القاطعة والبراهين .

والحقيقة . . ان كل المحاولات المفروضة . . لم تستطع ان  
تفصل القلب عن الجسد . . رغم كل ما حدث .

ظلت سيناء . . هي الارض المصرية بهويتها وتاريخها .

ظلت كذلك رغم الكثير من المحاولات ، ومنها حادث ( طابة )  
المشهور . . ومنها كذلك محاولات البريطانيين فصلها والعاقبة  
بأرض فلسطين . . ومحاولات الصهيونية العالمية استعمار العريش  
في مفتتح القرن العشرين !!

ولقد جاءت حرب رمضان ١٣٩٣ هجرية ( أكتوبر سنة ١٩٧٣ ميلادية )  
لتهدم - في ساعات قليلة - كل ما بنوه وأرادوه وأسسوه ، لكي  
ليفصلوا سيناء عن مصر . جاءت لكي تُلغى كل المخططات المكتوبة  
والمنشورة وغير المنشورة ، خلال أكثر من قرن من الزمان . . بل  
كل ما ديج من شواهد واسانيد ، غير صحيحة بالطبع عن سيناء .

هدمت حرب أكتوبر السد الكبير المانع الجامع ، الذي حاولوا  
ان يجعلوه حائطا صلبا يفصل بين مصر وبين سيناء . . وهو  
ما عرف باسم (خط بارليف ) . . وكانت قناة السويس قبل ذلك  
حائطا له معنى لايجاد مبرر او فاصل يفصل سيناء عن مصر .  
وانهارت بانهار خط بارليف كل الدعوات التي أبرزوها .

عبر المصريون الى سيناء عبور البقاء . . بالدم الذي تشربت  
رمالها وهضابها ، وحتى سبخاتها . . دم الشهداء الأبرار . ومع

العبور الى سيناء لتصحيح هويتها واحتضانها .. كان هدم الفكره  
التي ظلت لسنوات طويلة من صنع الاستعمار ، منذ حفر قناة  
السويس .

ان حفر قناة السويس - كما قلنا - كان من بين اهدافه ان  
يكون سدا مائيا فاصلا .. ولذلك كانت فكرة الانفاق تحت قناة  
السويس ، وتوصيل مياه النيل الى سيناء ، ثم كانت خريطة  
الحدود الادارية الجديدة لمحافظة السويس والاسماعيلية وبور  
سعيد .. تقسم اراضى من سيناء الى تلك المحافظات .. هذه  
الافكار جميعها .. التي جاءت بعد العبور العظيم الى سيناء ..  
انشأت زواجا كاثوليكيًا - ان صح التعبير - بين سيناء والوادى ،  
لا انفصام له .. لكى تبلى حقبة جديدة ورائعة من التاريخ .

والحقيقة ان علاقة كاتب هذه السطور بسيناء قد بدأت  
بداية جدية منذ عام ١٩٦٩ . بمعنى ان هذا الكتاب جرى التفكير  
فيه منذ عشر سنوات ، كانت العين دائما على شسبه الجزيرة  
وما يحدث فيها . وكانت هناك بعض الدراسات القصيرة التي  
كتبتها ونشرتها في المجلة التي اعمل بها ، والتي حاولت - بقدر  
المستطاع - ان اجمع لها المصادر من بين مكتبتنا ، وايضا مكتبات  
الخارج ، حينما يتاح لى السفر وتردد على المكتبات .

وقبل ان اخط حرفا واحدا فى هذا الكتاب .. حاولت بقدر  
جهدى ان احصر المصادر عن سيناء . لكننى اعترف - والاعتراف  
بالحق فضيلة - اننى كنت كمن يبحث عن قطرة ماء فى بحر من  
الرمال ، تلك التي تغطي مساحات شاسعة من ارض شبه الجزيرة  
لقد اتضح لى ان المصادر - وخاصة الاجنبى - اكثرها يقرب  
من شبه الجزيرة ، لكنه لا يقوص فيها الى النخاع ولا يتناولها  
مباشرة .. وهناك الكثير من المصادر المفروضة التي كثيرا ما تتغاضى  
عن الحقائق لهدف فى نفس يعقوب .

ومنذ سنوات - وأنا في رحلة البحث عن المصادر - قال لي  
أستاذنا الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ، قبل أن يعمل خارج  
مصر ، وكان رئيسا لقسم التاريخ بكلية الآداب في جامعة عين  
شمس ، وله كتاب عن حادث طابا بالذات ، قال أستاذنا الدكتور  
أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أن أحد طلبة الدراسات العليا ، في  
أواخر الستينات ، حاول أن يسجل لرسالة ماجستير في الكلية  
عن سيناء . لكنه لم يكد يبدأ حتى صرف النظر عن هذا الموضوع .  
والسبب ندرة المصادر عن سيناء هذه الأرض المصرية ، أو أن أغلب  
هذه المصادر تشوه الحقائق .

إن الغالبية العظمى من الكتب والدراسات عن سيناء قبل  
حرب أكتوبر ، كانت كلها تقريبا لا تقف على مستوى أهمية سيناء  
لمصر . وأغلب هذه الكتب والدراسات كانت عبارة عن أبحاث  
قصيرة ، أو أقرب إلى أدب الرحلات منه إلى البحث القائم على  
الدراسات المستأنية .

#### هذا عن المصادر العربية ..

أما عن المصادر الأفرنجية ، فكانت كلها قديمة ، وأغلبها  
مفروض ينأى عن المصدق والحقيقة ، والبعض منه من ذوى  
الاهتمامات الخاصة ، تلك التى تخدم أهدافا معينة .

ثم انه بعد حرب أكتوبر صدرت دراسات كثيرة عن سيناء  
بعضها بالعربية والآخر بالفرنسية ، والثالث مترجم إلى العربية .  
وقد شغلت سيناء الباحثين ، لكنها شغلت العسكريين أكثر من أية  
قوة أخرى ، لأن حرب رمضان كانت ( الزلزال ) . وكانت أهم  
حروب التاريخ المعاصر ، بعد الحرب العالمية الثانية . بمعنى أن  
الاهتمامات البحثية كانت عسكرية واستراتيجية بالدرجة الأولى .  
ولا تخوض فى الكثير من القضايا المطروحة حول سيناء .

والهم .. أن يأتى استيعاب المصادر الكثيرة والمتنوعة ، مع

محاولات الربط والتنقية .. وقد كان هذا هو هـدفى من هذا الكتاب .. الذى لم يأت نظريا .. وانما جاء بعـضه تحقيقا على الطبيعة ، حيث قدر لى أن أزور بعض مناطق سيناء قبل حرب ١٩٦٧ .. وبعد ١٩٦٧ لعدة مرات .

واعتقد أننى قد بذلت جهـدى فيما أقدمه .. فى هذه  
الفصول ..

وعلى أننى اذا أصبت فمن توفيق الله .. وان تم أصب ، فأننى جهدت لسنوات وليال طويلة أحاول أن أقدم هذا العمل المتواضع .. الذى أرجو أن يكون فاتحة دراسات متنوعة تـرى الفكر المصرى والمكتبة المصرية عن سيناء ، قدس أقدس مصر .. والـتى على أرضها انتهى ذل الشتت والتمزق ، وعاد الـهزيمة العربية ، وبـلـا الوصال بين مشرق العرب ومغربهم بعد انقطاع ١٢ عاما قائمة من الاحتلال .

احمد أبو كف

الجيزة فى ٢

٢١ من رمضان ١٣٩٩ هجرية

١٤ أغسطس ١٩٧٩ ميلادية

## الفصل الاول

سيناء ... التاريخ



بادىء ذى بدء تقول : ليست سيناء هى أرض ( الجذب والخراب ) كما اعتادت المصادر الكثيرة أن تصفها بهذه الصفة ، اعتمادا على تسمية هيروغليفية أو وصف هيروغليفي فى فترة من الفترات ، بأنها ( توشويث ) أى أرض الجفاف .

فالواقع أن تاريخ مصر على مدى خمسة آلاف عام أو يزيد ، دارت أحداثه على أرض الوادى ، كما دارت تلك الاحداث أو أغلبها على أرض سيناء .

ولقد تراوحت سيناء بين ( أرض الفيروز ) وأرض النحاس والمعادن . . وبين أرض الذكريات الدينية ، وقبلها وفى اثنائها أرض المعتقدات الوثنية . ثم هى بعد ذلك المعبر والمقر الاسلامي والقبائل العربية الاسلامية . . وبعد ذلك أرض الحروب الحديثة الطويلة والمريعة ، تلك التى انتهت بحرب رمضان . . ومع كل ذلك ظلت أرضها هى أرض السلام .

والواقع أن سيناء ، أرض مصرية خالصة ، بدونها لصارت الدلتا فى خطر ، وبدونها أيضا ، لكان تاريخ مصر شميثا آخر . وذلك على عكس ما أوردته المصادر الكثيرة التى حاولت اثبات ، أن سيناء ، لم تبرز أهميتها كأرض مصرية ، الا بعد حفر قناة السويس فى عام ١٨٦٩ .

ان سيناء ظلت وستظل باب مصر الشرقى ، بل هى أهم أبواب مصر .



وسيناء اختلف المؤرخون فى أصل تسميتها . .

البعض قال انها ( حجر ) ، أى بلاد الاحجار .

والبعض قال ان تسميتها مشتقة من كلمة ( سين ) العبرية ،

ومعناها القمر ، وأن ساكني سيناء كانوا يعبدون القمر . غير أن هذا التفسير ، كما يقول ابراهيم أمين غالى فى كتابه ( سيناء المصرية عبر التاريخ ) ، غير مقبول . فكلمة ( سين ) لا تعنى فى العبرية القمر . واذا فرض واخذ اليهود من لغة اهل سيناء ، فلا يعقل أن يعطوا هذه التسمية لجبل الرب . ثم ان التوراة لم تستعمل كلمة ( سيناء ) لتعريف المنطقة ، بل أطلقت على شبه الجزيرة اسم ( حوريب ) . أى الخراب واكتفت باطلاق هذا الاسم على أحد الجبال فى سيناء .

ولقد عرفت سيناء فى النقوش المصرية القديمة ، المدونة على الآثار المصرية باسم ( توشويت ) . أى أرض العراء . كما عرف أهل شمال سيناء باسم ( هيروشايتو ) أى أسياد الرمال : أما أهل الجنوب فقد عرفوا باسم ( مونيتو ) . بالإضافة الى أن سيناء أطلق عليها مكان الفيروز . كما عرفت فى وقت من الاوقات باسم ( بيت سفرون ) .

والواقع أن التسميات كثيرة تلك التى حملتها سيناء .

لكن من أهم الاسماء التى عرفت بها سيناء هى ( أرض مجان ) . ولعل هذا الاسم تحريف لاسم مدين ، الذى يتشابه معه حتى فى النطق ، وعرفها العرب بهذا الاسم . ويرى نعيم شقير فى كتابه ( تاريخ سيناء القديم والحديث ) . أنها ( قنطرة النيل الى الاردن والقرات ) .

واسم ( مجان ) . أو ( أرض مجان ) ، الذى عرفت به سيناء فترة ، يؤكد المؤرخ الأمريكى هوسكنز فى كتابه ( من النيل الى بنو ) . حيث فى سوسة ، وفى خرائب مملكة بابل ، نصب تذكارى تقول ترجمته : ان سيناء هى أرض مجان ، وأن أحد ملوك بابل القدماء ، واسمه ( نرام سين ) ، غزا أرض مجان عام



٢٧٥٠ قبل الميلاد ٠٠ وحل الى عاصمته قطعاً من حجرها المعروف باسم (حجر الخية ) أو كما يسمى GREEN DIORIT ، أو حجر الديوريت الأخضر ٠٠ وهو من الاحجار الصلبة النادرة ، الذي نحت منه تمثال للفرعون « خفرع » من الاسرة الرابعة الفرعونية ٠٠ وهو التمثال الموجود في المتحف المصرى ، ويعتبر من أندر التماثيل القديمة وأتمنها ٠

والحقيقة أن الاسماء لسيناء لا تنتهى ٠٠ وكذلك أسماء أجزاء منها ٠٠ فقد عرفت ارض الطور أيضا منذ القدم باسم ( رايتو ) ، وأطلق على السكان هناك اسم ( ماشو ) ٠

على أنه منذ ألفى سنة تقريبا قبل الميلاد ، وردت فى نقوش الاسرة الحادية عشرة الفرعونية اسم ( طنجهت ) لتلك المنطقة الجنوبية من سيناء ، وفى نصوص أخرى أطلق عليها اسم ( بياونت ) ٠

والمؤلف آلن جاردنر ALAN GARDINER فى كتابه عن ( نقوش سيناء ) الذى اشترك فى تأليفه مع اريك بيت ARIC PEET فى عام ١٩٥٥ ٠٠ يفسر كلمة سيناء بأنها اشتقاق من كلمة ( صفدو ) ٠ ودليله على ذلك أن النقوش المنحوتة على معبد سراييت الفخادم ، تشير الى عبادة اله ( صفدو ) . وهذا اله كان أول ما يقابله المصرى العائد الى وادى النيل ، ويفسر ذلك أيضا وجوده على الرمال ٠٠

ويتساءل ابراهيم غالى : هل صفدو أصل كلمة سيناء ؟ ويقول : لقد ثبت أن كلمة . جسيم - أوس سميت ، تقراً ( جيوشين ) ، أى ( دار صفدو ) اله عاصمة الاقليم الغربى ، واسمها الآن ( صفد الجنة ) ٠ وقد يكون هذا التفسير حلاً للفرس سيناء . فان صح ذلك ، يكون اله ( صفدو ) قد أعطى اسمه للمنطقة التى يبدأ منها المصرى رحلته الى كنوز الفيروز والنحاس ٠

لكن رغم ما قاله ابراهيم أمين غالى ، فان ذلك لا يحل اللغز  
.. فاسم اله يمكن أن يكون لمدينة .. أو اقليم ، ولكن ليس  
لسيناء كلها ..

واذا كان ابراهيم أمين غالى يقتنع برأى آلان جاردنر وتفسيره ،  
انذى يقول أنه منذ فجر التاريخ امتزج العنصران المصرى والعربى  
فى تلك المنطقة . وحمل ذلك تارة الى تصوير الاله ( صفدو ) على  
شكل الاله حورس ، حيث كان ( صفدو ) على شكل صقر أحيانا ،  
وعلى شكل رجل ملتحي وعلى رأسه شعر مستعار مربوط من الخلف  
ويحمل ريشين وفقا لشكل التمثال الذى كان يعبد فى سيناء .  
اقول رغم ذلك فان هذا لا يصبح مبرراً لكى تحمل سيناء اسم  
صفدو .. وانما قد يكون جزء منها .. ولتظل هذه التسميات التى  
ذكرناها ألقاها .. فى حاجة من المؤرخين الى ازالة النقاب عنها .

والمهم أن الاغريق أطلقوا على سيناء وما يحاورها ناحية  
الشمال الشرقى اسم ( آرابيا بيترا ) .. أى بلاد العرب الحجرية .  
وهذه التسمية تعميمية ، لا تختص بسيناء وحدها ، لانها أطلقت  
على الاراضى الواقعة جنوب غربى بادية الشام .. تميزا لها عن  
تسمية ( آرابيا فيليكس ) .. أى بلاد العرب السعيدة ، والمقصود  
بها اليمن .



تاريخ سيناء ، فى أكثر قرونه الطويلة ، تاريخ عسكرى ..  
بحسب فيه بالغبار المتصاعد ، ودخان البارود ، ثم هدير المدافع ،  
وأزيز الطائرات . كما أن رجال سيناء وصخورها وجبالها ، شأهت  
الكثير من الغازين الذين حاولوا الوصول الى دلتا النيل الخصيب  
.. فضلا عن تلك القوات التى انطلقت من الوادى تريد صد غزوه  
.. أو تسير فى حملة لتأمين الحدود ، وتاديب الغازى ..

وما أكثر ما شاهدت سيناء قوات مصر ، وهي تذهب إلى سيناء ، أو تعبرها .. أو عائد تتقدمها أكاليل غار الانتصار .

والواقع أن أهمية سيناء ، كما يقول د. عبد الرحمن زكي في كتابه ( سيناء أرض المعارك ) .. تعود الى ما لعبته من أدوار هامة عبر العصور .. خاصة وأنها كانت معبرا للحملات العسكرية ضد مصر ، ثم انها كانت وستظل أرضا استراتيجية هامة لضمان أمن مصر .

ولقد اتضحت أهمية سيناء أول ما اتضحت بالنسبة لمصر عسكريا .. حينما غزت مصر تلك القبائل التي عرفت في التاريخ باسم ( القبائل التي تعيش على الرمال ) . هذه القبائل كانت من أوائل الهجرات الامورية القديمة التي زحفت على فلسطين ، وبدأت تم بدورها الى مصر عبر سيناء .

وفي عهد فرعون مصر بيبي الاول ٢٢٩٢ قبل الميلاد . وجر أول ملوك الاسرة السادسة الفرعونية ، والتي كانت عاصمتها مدينة ( منف ) .. غزت هذه القبائل مصر . وسماهم المصريون القنماء باسم ( عامو - حربو يشع ) ، ومعناه كما يقول الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، عالم الآثار المصرى فى الفصل الذى كتبه فى كتابه ١ ( كفاحنا ضد الغزاة ) .. هم ( قبائل البدو التى تعيش على الرمال ) ..

ان الفرعون المصرى بيبي الاول ، صاحب الهرم الذى ما زالت آثاره موجودة فى منف ، وله تمثال من النحاس فى المتحف المصرى ، صدى لصد هذه القبائل الغازية . ويبرز فى عهد هذا الفرعون اسم ( أونى ) . هذا الشاب المصرى العبقري ، الذى كان من طبقة العامة ، وارتفعت أسهمه لدى البلاط الفرعونى ، باخلاصه وشجاعته ووطنيته .. حتى وصل الى منصب وزير الفرعون ومستشاره الاول .

• وقد عهد يبيى الاول الى ( أونى ) بطرد الغزاة من مصر ••

ونقول مصادر التاريخ الفرعونى ، كما فى ( مصر القديمة )  
لسليم حسن ، وأيضا ( فى موكب الشمس ) للدكتور أحمد أحمد  
بدوى •• فان ( أونى ) جهز جيشا على الفور • وهذا الجيش كان  
مكونا من عشرات الالوف من أبناء مصر • وهذا الجيش الذى عبأه  
من جميع أنحاء مصر ، عهد بتدريبه الى ضابط مصرى على جانب  
كبير من الكفاءة ، لكى ( يخضع الهيرو شايتر بين هضبة التيه  
والبحر الميت ) •

وبعد أن اكتملت تدريبات الجيش ، قسمه أونى الى فرق •  
وجعل على كل فرقة قائداً خبيراً محنكا • ثم استعرض الجيش أمام  
الفرعون يبيى الاول الذى سر لذلك سرورا عظيما ، وباركه •• وأذن  
له أن يبدأ المعركة ويطرد الغازى •

وقد سار جيش مصر لىلاقى الاعداء ، ودخل معهم فى معركة  
عند الحدود الشمالية الشرقية • لكن قوة الاعداء كانت هائلة ، حتى  
أن انتصار ( أونى ) عليهم لم يكن كاملا ، كما أن المعركة لم تكن  
فاصلة •• مما اضطر أونى الى أن يشن هجومه على الغازين خمس  
مرات متتالية ، بمشاته ، وبأسطوله الذى سيره لىتمقب الغزاة ••  
حتى جبل الكرمل فى فلسطين •

لقد أطبق الجيش المصرى بطريقة الكماشة على العدو • بمعنى  
أن الاسطول الذى سيره أونى فى البحر ، والمشاة المصريون ، أطبقوا  
على الغزاة ليعقد لواء النصر لجنود مصر •

ويعود الجيش المصرى ، يرفع ألوية النصر •• ويكتب أونى  
تقريراً الى سيدة الفرعون يبيى الاول ، شعرا يبدأه بقوله :

عاد الجيش سالما بعد أن ضرب أراضى أهل الرمال

عاد سالما بعد أن فرق بلاد أهل الرمال

عاد سالما بعد أن دمر حصون الاعداء.



ويصمت التاريخ الفرعوني ، فترة طويلة تمتد من الاسرة السادسة ، الى الاسرة الثانية عشرة ٠٠ وهذه الفترة من التاريخ نقل عنها المصادر الى درجة الندرة .

لكن هناك أنباء متفرقة تقول أن سنوسرت الثالث وقائد جيشه واسمه ( سبك خو ) عبأ سيناء بجيش جرار فى حملة وصلت الى سورية .

وبعد ذلك تأتى أيضا أنباء متفرقة عن امنمحت الاول ( ٢٠٠٠ - ١٩٧٠ ) قبل الميلاد . وامنمحت الثالث ( ١٨٤٩-١٨٠١ ) قبل الميلاد . وهذه الانباء ليس فيها القتال والجيوش ، وانما تذكرنا بأعمال التعدين فى ( وادى المغارة ) وأخرى فى ( سراييت الخادم ) ٠٠ وهى بالطبع تدل على هدوء الاحوال فى سيناء دون أن تتعرض لقوات غزو .

وعقب هذا السكون ٠٠ تبدأ عاصفة أخرى أو غزوة أخرى ، هى هجوم الهكسوس على مصر فى أواخر الدولة الوسطى الفرعونية . وقد احتل الهكسوس مصر حوالى ١٥٠ عاما من عام ١٧٣٠ الى عام ١٥٨٠ قبل الميلاد .

ويقال ان سبب انتصار الهكسوس على مصر ، هو تفشى وباء فيها . وهناك قول آخر ، بأن مصر فى أواخر الاسرة الثالثة عشرة كانت تعيش فى مشاكل وانقسامات . لكن الثابت أن الهكسوس لاقتوا مقاومة شديدة من المصريين ، رغم أن الهكسوس هاجموا مصر بأسلحة حديثة لم يعرفها المصريون من قبل ، ومن هذه الاسلحة تلك العربات الحربية التى تجرها الخيول السريعة ، وكذلك الاقواس الكبيرة المركبة ، والتى تطلق السهام البعيدة المدى .

ويقولون أيضا أن الهكسوس احتلوا الدلتا ومصر الوسطى ،  
حتى مدينة ملوى ، وتركوا جنوب ذلك لحكم أمراء مصريين ،  
ليكونوا حماية لظهورهم ، على أن يدفع هؤلاء الأمراء الجزية .

وقد اتخذ الهكسوس عاصمة لهم حات أو عارات ٥٠ أو  
( أورائس ) ٥٠ وهي صان الحجر الحالية في محافظة الشرقية .  
وطوال فترة احتلالهم لمصر ، عاثوا في الأرض فسادا ، وحاولوا  
العصف بكل مظاهر الحضارة الفرعونية ، حتى أن المؤرخ المصري  
السمتودي « مانيتون » قال غزو الهكسوس : حرقوا مدنتنا دون  
رحمة ، وهدموا معابد الآلهة ، وعاملوا المصريين بخشونة وفظاظة  
وذبحوا الكثيرين .

لكن ، برغم قسوة الهكسوس ووطأة احتلالهم لمصر ، فإن  
المصريين لم يهدأوا أبدا ولم يسكنوا للاحتلال الاجنبى ، حتى ليقال  
ان كفاح المصريين ضد الهكسوس - أو ملوك الرعاة كما يسمون -  
قد بدأ أول حرب تحريرية عرفها العالم .

وهذه الحرب التحريرية يمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل .

### المرحلة الأولى :

وهي المرحلة التى واكبت عهد الامير المصرى سقنن رع ،  
الملقب بالشجاع ١٦٤٠ - ١٦١٥ قبل الميلاد .

والحقيقة أن المرجع الواضح والصادق ، بل الصريح ، عن  
هذه المرحلة هو مذكرات طالب مصرى عاش في القرن الثالث عشر  
قبل الميلاد ، أى بعد جلاء الهكسوس عن مصر بحوالى ثلاثة قرون .

ويبدو أن غزو الهكسوس لمصر قد أثر في مصر تأثيرا كبيرا  
ومتواصلا ، حتى أن الطلبة المصريين كانوا يدرسون ظروف هذا  
الغزو وملابساته في المعاهد الدراسية . ومذكرات هذا الطالب جاءت

فيما سمي باسم ( بردية سالييه ) . وسالييه هو العالم الذي اكتشف هذه البردية .

ونقول مذكرات الطالب المصري ، من بين ما تقول : ( ان سقنن رع حاكم اقليم طيبة ، كان معاصرا لملك الهكسوس المسمى ( أبوفيس ) . وأن أبوفيس هذا كان وقحا ومثيرا للاعصاب ، كما كان أيضا مثيرا للشعور القومي . وأن المصريين في طيبة في عهد الوالى سقنن رع لم يرضخوا لطلبات أبوفيس . فهذا الملك الهكسوسى طلب اسكات أصوات التماسيح التى كان يعبدها المصريون باسم ( سبك ) . . لانها كما قال أبوفيس تقلق منامه في عاصمته الشرقية !! .

وهناك اشارات تاريخية غير مكتملة المعالم ، تقول انه قد حدثت عدة حروب بين أهل طيبة ، وبين الهكسوس . . وأن سقنن رع مات وهو يتقدم قواته يحارب الهكسوس .

ويدللون على أن سقنن رع قد مات في أشرف ساحات البطولة والوطنية ، أن مومياء الفرعون الموجودة الآن بغرفة الموميאות في المتحف المصرى قد أجري عليها عدة فحوص وصورت بالأشعة السينية وتحت الحمراء . وقد صورها البريطاني دكتور هاريس . . والذي كتب تقريرا يؤكد فيه أن سقنن رع مات ، أو استشهد - على أثر ضربه بآلة حادة في جمجمته . وأن على هذه الجمجمة آثار التهشيم واضحة .

### المرحلة الثانية :

وهى المرحلة التى تقع فيما بين عامى ١٥٩٠ و١٥٨٦ قبل الميلاد وهى المرحلة التى أعقبت موت سقنن رع . فقد خلفه على طيبة ابنه ( كلس ) .

وهذا الابن واصل القتال والكفاح على طريق أبيه . وكان

شبابا من طيبة مصر ، معتدا بنفسه ، أبيبا ، شجاعا . وهذا الشاب جمع أهل الحكمة والمعرفة في مدينة طيبة ذات الابواب المائة ، كما سماها هوميروس ، وقال لهم ، كما تذكر ( بردية كائ نارفون ) : ( ٠٠ ) لن يرتاح بالى حتى أخرج الى الآسيوى ، لاصسارعه وأبقر بشننه ييدى . ان رغبتى هى تحرير مصر ) .

وكما تذكر ( بردية كائ نارفون ) ٠٠ فقد خرج كامس من طيبة ، حاملا لواء الجهاد ، يتقدم جيشا مصريا من خيرة زهرات شباب طيبة .

وقد انتصر كامس في أكثر من معركة وموقعة على الهكسوس . ونقابل معهم في معركة نيلية ، انتهت باستيلائه على ثلاث سسبن محملة بالمواد الغذائية ، وكانت من بين ما تحمله هذه السفن بعض الذهب والفيروز ، والفئوس الحربية النحاسية .

ويقول المؤرخون ، أن كامس ، استطاع في صراعه مع الهكسوس ، أن يحرر المنطقة من طيبة وحتى شمال الاشمونين . وأنه عاد الى طيبة بعد ذلك في موكب نصر ، ومعه الكثير من الاسرى من جند الهكسوس .

### المرحلة الثالثة :

وهي المرحلة الحاسمة مع الهكسوس ، تلك التي تمتد ما بين عامى ١٥٨٠ و ١٥٥٨ قبل الميلاد ، وفيها تحررت مصر من الهكسوس تماما .

وهذه المرحلة برز فيها اسم الامير المصرى ( أحس ) . وقد تم على يديه وبفضل قيادته العسكرية الرشيدة ، تخلص البلاد من المعتدين . وفي هذه المرحلة كانت مصر قد استطاعت أن تستوعب أساليب العدو الحربية وكذلك أسلحته الجديدة . وقيل أنه في مصر في تلك الفترة دخل أفراد الطبقة المتوسطة الجيش ، وكانوا قوة كبيرة يعتد بها ، وقد أبلوا بلاء حسنا في القتال .



وأحمس هو الاخ الاصغر لكامس .

وقد استطاع - بعد أن اعد عدته للهجوم على الهكسوس - أن يتجه اليهم ، لتدور معارك تحريرية هائلة فى كل أنحاء البلاد . وكانت قلاع الاعداء المحتلين تسقط الواحدة فى اثر الاخرى ، الى أن وصلت طلائع الجيش المصرى الى ( أواديس ) عاصمة الهكسوس ، ودارت معارك طاحنة ، اضطر العدو على أثرها أن ينسحب ناحية الشمال (١) .

وهذا الامير المصرى أحمس تعقب الهكسوس ، حتى بلدة ( شاروهين ) ، جنوبى مدينة غزة . وأنه ضرب الحصار حول هذه البلدة لمدة ثلاث سنوات . ثم سقطت ( شاروهين ) فى أيدي الأبطال المصريين ، وبسقوطها تحررت سيناء . وبدأت مصر مجدداً الامبراطورى الذى نسجته الدولة الحديثة بفراغة الاسرة الثامنة عشرة النظام . الذين فطنوا لاهمية سيناء وحدود مصر الشرقية .



كان الانتصار على الهكسوس بداية لسياسة حربية مصرية

جديدة .

علمت غزوة الهكسوس المصريين ، أن العبور الى مصر ، والمتمثل فى صحراء سيناء ، هو أخطر معايرها البرية ، أو أخطر أبوابها من جهة الشرق . كما علمتهم أيضاً أنه حين يحقق الخطر بالشام وفلسطين ، يصبح فى مقدوره أن يمد يده الى دلتا مصر الخصيبة التى كانت عامل جذب لكل غازى . . هى وادى النيل بالطبع .

وقد جاء بعد أحمس ، الذى أسس الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية ، ابنه الفرعون أمحتب الاول ١٥٥٧-١٥٠١ قبل الميلاد .

(١) مما يذكر هنا للتاريخ وللأجيال أن المصرى القديم كان هو أول من تفحص فى البوق للسمر العام . وأول من دق الطبول حين سير الجنود فى خطوات منتظمة . وهو أول من خطا بالقدم السرى فى المناورات والمسيرات ، وتاريخ مصر العسكرية ممنوع بالمناجزات .

وهذا الابن قاد حملة لتأديب الغزاة ، وصلت جنودها الى غربي نهر  
الفرات ٠٠ ربما لأول مرة في التاريخ العسكري المصري .

وعلى سياسة أمحتب ، سار تحوتمس الاول ١٥٣٩-١٥١٤  
قبل الميلاد . فقد قام هذا الفرعون بحملة نحو الشرق - عن طريق  
سيناء بالطبع - وصلت الى الفرات أيضا . وأخبار هذه الحملة تأتي  
من نصب امامه تحوتمس في ( قرقميش ) ، وسجل فيه انتصاراته  
على الكلدانيين .

والواقع أن الاسرة الثامنة عشرة التي كونت امبراطورية  
مصرية شاسعة الارجاء ، التفتت الى أهمية سيناء كبعد استراتيجي  
هزم ، وكمدخل شرقي لمصر . وهذه الانتفاة الذكية تواكب العصر  
الحربي العظيم في مصر القديمة ٠٠ ولذلك فقد شهدت سيناء ست  
مرات عبورا على عهد تحوتمس الثالث العظيم ١٥٠١-١٤٤٧ قبل  
الميلاد . فعند القنطرة بدأت الجيوش المصرية تعبر سيناء منذ عام  
١٤٧٩ ق م . وسارت في طريقها الى أن وصلت جبل الكرمل ،  
ثم مدينة ( مجدو ) ٠٠ حيث دارت رحى معركة مجدو الشهيرة ،  
التي انهزم فيها ملك قادش . ثم كانت غزوات تحوتمس الثالث  
الباقية لتأكيد سيادة مصر على بابها الشرقي .

ثم تكررت الحملات الظافرة في عهد أمنحتب الثاني ، وكان  
الاستقرار في عهد أمنحتب الثالث .

وكانت ثورة اخناتون - أمنحتب الرابع - بصد أن حاول  
الحيثيون تهديد مصر . لكن النكسة في عهد اخناتون كانت مثل  
سحابة صيف ، اذ استطاع قائد الجيش ( حور محب ) ، أن يعيد  
الهيبة المصرية ٠٠ ويؤسس الاسرة التاسعة عشرة .

ومرة أخرى تبدأ فترة جديدة ، حيث عرف المصريون قواعد  
اللعبة ، وقاموا بتحصين سيناء ، وحفر الآبار ، وبناء القلاع المنيعة  
٠٠ وكان هذا في عهد سبتي الاول ١٣١٣ ق م .

والتاريخ يذكر أن سيتي أرسل حملتين الى بلاد الشام .. هدت الاحوال بعدهما في كل من مجدو ، وقادش . وهاتان الحملتان سارتا الى الشرق عبر الطريق الحريى العظيم فى شمال سيناء ، وهو الطريق الساحلى .

ورمسيس الثانى أيضا اتخذ نفس المسار فى حملات دفاعية، أهمها الحملة الكبرى فى عام ١٢٨٨ ق.م. ويقال ان رمسيس قام بعدة حملات عبر سيناء .. خلال خمسة عشر عاما .. وأهم المعارك التى خاضها هى ( معركة قادش ) الشهيرة التى اشترك فيها بنفسه .. الى أن وضعت الحرب أوزارها ، وعقدت أول معاهدة سلام فى العالم بين رمسيس الثانى وخاتوسلى ملك الحيثيين حوالى عام ١٢٦٩ ق.م. ومعركة قادش من المعارك الكبرى فى التاريخ ، والتى سجلها رمسيس الثانى على جدران معبدى ابو سمبل ، جنوب مصر .

اما رمسيس الثالث ( ١١٨٤ - ١١٥٣ ق.م. فقد عبر سيناء قبل أن يعبرها غزاة تكلوا ضد مصر ، فكان أن هزمهم برا وبحرا . ورمسيس الثالث قال : « اننى بعثت برجال البلاط والحكام الى أرض الفيروز ( سيناء ) ، الى امى حتحور سيدة «الفيروز» .

وبعد رمسيس الثالث ، جاء ملوك ضعاف ، اذا استثنينا منهم الاسرة الواحدة والعشرين .. وقد عاصرت هذه الاسرة مملكة لليهود فى جزء من فلسطين تكونت بعد خروج النبى موسى . وهذه المملكة بعد وفاة سليمان انقسمت الى مملكتين هما : مملكة يهوذا ، ومملكة اسرائيل . وقد دب الشقاق بين المملكتين .. ووافق ذلك هجوم ( سيشنق ) على مملكة يهوذا ، وسار الى اورشليم ودمرها ، ونقض على المملكتين معا .



هددت مصر أيضا .. شعوب ( هنطو - أوربية ) ، وهى

شعوب كما وصفت كانت تواقعة إلى سفك الدماء . وكانت مثل  
 الهكسوس تستخدم عربات ثقيله بجرها الحيوول . وقد أعادت هذه  
 الغزوة - أو الهجرة بمعنى اصح - على جزيرة كريت فى نفس  
 الفترة ، أى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وقد هاجمت مصر  
 من حدودها الشرقية وحدودها الغربية أيضا . وهذه الغزوة  
 المزدوجة جاءت فى أواخر عصر رمسيس الثانى ، وأوائل عهد  
 ابنه ( مرنبتاح ) ٠٠ الذى يقال انه فرعون الخروج . ويقال انها  
 جاءت أيام ( سبتاح ) ١٢٢٠-١٢١٤ قبل الميلاد . وكان الغزاة  
 كثيرو العدد ، حتى أن المصادر وصفتهم ( يشبهون الجراد فى  
 كثرة عددهم ) .

وكما أزاح المصريون الهكسوس ، أزاحوا هذه الغزوة عبر  
 معارك طاحنة ومتواصلة . وتعقب المصريون فلولهم الى الشام التى  
 كانت داخلية ضمن الامبراطورية المصرية . هذا من ناحية الشرق .  
 أما من ناحية الغرب فقد التحم معهم المصريون فى عدة معارك .  
 وبلغ القتال غايته فى الشدة والعنف ٠٠ ويقال انه بعد معركة  
 استمرت ست ساعات ( قتل المصريون وأسروا عشرة آلاف من هذه  
 الشعوب الهندو - اورية )

ثم تأتى من المبر الشرقى - سيناء - غزوة جديدة هى الغزوة  
 الآسيوية وكانت دولة آشور قد ظهرت دولة فنية فى بلاد ما بين  
 النهرين ، فى أواسط آسيا . وهذه الدولة بدأت نفوذها غربا  
 وجنوبا . . حتى سيطرت على الشام وملت بصورها الى مصر ، فى  
 عهد مكلها ( شالمنصر الثانى ) ، الذى زحف جيوشه حتى وصلت  
 اللدنا عدة مرات . ولكنه فى كل مرة كانت تصده الجيوش  
 المصرية .

وفى عهد الملك الآشورى ( سرجون الثانى ) ، أيام الاسرة  
 الثالثة والعشرين الفرعونية عام ٧٢٢ ق.م. زحف سرجون بجنده  
 الى مصر ، ووصل الى مدينة رفح ، حيث التحم بالجند المصرية ،  
 والحق المصريون بالآشوريين هزيمة قاذحة .

لكن دولة آشور لم تياس ، خاصة وأن الامور في مصر بدأت تنهار . وقد جاء الملك الاشورى ( آشور أفي ) الى مصر ووصلت جنده الى الدلتا عام ٦٧٤ ق.م . ومع ذلك فان غزوته انهارت على صخرة المقاومة المصرية . وبعد ثلاث سنوات ثرر الاشوريون الغزوة في عهد الفرعون النبوي ( طهارقا ) - الاسرة الخامسة والعشرين - وقد استطاع الاشوريون أن يثبتوا أقدامهم في البلاد . وانسحبت جيوش فرعون مصر الى طيبة ، وكان قد اتخذ عاصمته ( نباتا ) في الجنوب . وظلت الجند الاشورية في مصر الى أن استطاع المصريون تحرير بلادهم من الاعداء .. لكن ، ما لبث الاشوريون في عهد ملكهم ( آشور بنى بعل ) أن عاود الكرة واحتل مصر .

وهنا تبدأ حرب تحريرية جديدة بزعامة الفرعون المصري ( نخاو ) ، من الاسرة السادسة والعشرين . وحين مات نخاو ، استمر الجهاد في عهد خلفه ، حتى أن المصريين أحـرزوا بعض الانتصارات .. الى استطاع ( إسمائتك ) أن يحرر البلاد عام ٦٤٠ ق.م .

لكن لم يكف إسمائتك ينتهي من الاشوريين ، حتى هدد مصر ، وبدأوا يهاجمونها في عهد ( قمبيز ) ، وكانت مصر الفرس في حالة فوضى واضطراب مما سهل احتلال الفرس لمصر ، لكن بعد عدة معارك طاحنة ، انسحب الفرس في أول الامر .

وبالرغم من انسحاب الفرس ، وبالرغم أيضا من رسالة قمبيز الى فرعون مصر يطالبه بالتسليم والخضوع - وهي رسالة شهيرة في التاريخ - فقد رفض المصريون التهديد ، ودلوت معارك في سيناء في كل من غزة ، وبلوزيوم عام ٥٢٥ ق.م . انتهت بالهزيمة المصرية ، وتحويل مصر الى ولاية فارسية ، وكون الفرس الاسرة السابعة والعشرين .

على أنه خلال الاحتلال الفارسي لم تخضع المقاومة ، بل قامت عدة ثورات تحريرية في مصر أنهكت العدو .

وكانت الثورة الاولى في عام ٤٨٦ ق.م . في عهد الملك الفارسي دارا الاول . وقد نجحت هذه الثورة في البداية ، لكنها أخفقت بعد أن سير الملك الفارسي ( أجزركسيس ) ، الذي خلف دارا ، جيشا كبيرا ، زحف به على مصر عام ٤٨٤ ق.م . ولم يحتل البلاد الا على جثث المصريين واشلائهم ودمائهم .

أما الثورة الثانية فكانت في عهد الامبراطور - أو الملك - الفارسي ( ارتاجركسيس ) .

وفي البداية أنزل المصريون الهزيمة بالفرس عند بلوزيوم . لكن نصر المصريين لم يستمر طويلا . فلقد جهز الملك الفارسي الجيوش والاساطيل وزحف بها على مصر . وفيل أن أسطوله بلغ ٣٠٠ سفينة حربية ، واستطاع أن ينتصر على المصريين وحلفائهم اليونانيين أعداء الفرس .

أما الثورة الثالثة ، فكانت في عهد الامبراطور دارا الثاني ، في عام ٤٢٤ ق.م . وقد تزعم هذه الثورة الامير المصري ( نير تاوس الثاني ) . وهذا الامير المصري انتصر على الفرس عام ٤٠٤ ق.م . وأسس الاسرة الثامنة والعشرين .

وقد شهدت مصر هدوءا استمر نحو سبعين عاما ، حكمت فيها الاسرات المصرية ، الثامنة والعشرون ، والتاسعة والعشرون ، والثلاثون . لكن في عهد الامبراطور الفارسي ( أرتاجركسيس أوخوس ) ، وكان فرعون مصر في ذلك الوقت ( نقتا نبو ) . هاجم الفرس مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد . واحتلوها ، وأنهوا الاسرة الثلاثين . وظلوا على احتلالها ، حتى انتهى الفرس في مصر ، بدخول الاسكندر الاكبر مصر عام ٣٣٢ ق.م .



ظل اليونان بمصر من عام ٣٣٢ الى عام ٤٨ ق.م . وهذه الفترة

نعرف فى التاريخ ، بفترة الحكم البطلمى لمصر ، والتى كان آخر ملوكها الامبراطورة الشهيرة كليوباترة ٠٠ كما كان اول ملوكها بطليموس الاول ، المشهور باسم ( بطليموس سوتير ) ٠٠ أو بطليموس المنقذ .

وتفصيل ذلك أن نجم مملكة اليونان بدأ يلوح فى الافق . وبدأ أن اليونان يريدون الانتقام من الفرس ، الذين كانوا قد غزوا ( مقدونيا ) . وقد استطاع الاسكندر الاكبر بعد أن قويت مملكة اليونان فى عصر أبيه ( فيليب ) ٠٠ أن ينتصر على الفرس . ثم عبر بقواته آسيا الصغرى ، وزحف على الشام . وحاصر صيدا سبعة أشهر حتى وقعت فى قبضته وأزاح عنها الجيوش الفارسية .

ثم زحف الاسكندر الى مصر عن طريق سيناء بجيش برى وكذلك بجيش بحرى ، ووصل الى بلوزيوم ، حيث هزم الفرس ، ودخل مصر .

ومما يذكر أن المصريين رحبوا بالاسكندر الاكبر وقواته . وكانت للاسكندر الاكبر فى مصر صفحات وضيئة ، حيث احترم معتقدات المصريين التى لم يحترمها الفرس . بل انه زار معبد آمون فى واحة سيوه ، وقدم القرابين ، وسأل الوحي - أو النبوة - هناك عن مصيره ومستقبله . وكانت نبوة آمون فى سيوه احدى ثلاث نبوءات فى العالم القديم ، فى كل من جزيرة دلفى وجزيرة دودونا .

المهم أن الاسكندر بعد أن غزا مصر تركها لاحد قواده وهو بطليموس ، بينما ترك الشام فى يد قائد آخر من قواده ، وهو القائد « سلوكوس » .

وقد شهدت مصر مصرفى عهد البطالة استقرارا لم تشهد منذ فترات طويلة ٠٠ كما شهدت الاحترام لآلهتها ، بل ان البطالة جندوا المصريين فى جيشهم ، واعتبر المصريون البطالة حكما مصريين .

وفى عهد بطلميوس الاول تعرضت مصر لهجومين من السلوقيين عبر سيناء ، يصد البطالة أولهما عند بلوزيوم ، والثاني على مقربة من غزة •

كما أنه فى عهد بطلميوس الرابع تعرض مصر لغزوة عن طريق سيناء ، ويهزم عند الغزاة رفح فى عام ٢١٧ ق.م. ومعركة رفح هذه كانت من أشهر معارك التاريخ القديم •

وفى عهد بطلميوس السادس تعرض بلوزيوم لغزوات ثلاث • وتسقط المدينة فى سيناء فى يد الغزاة عام ١٧٠ ق.م. ويجلو العدو عنها ، ثم يأتى إليها عام ١٢٩ ق.م. وتقاوم فيتقهقر العدو وينسحب • وفى عام ١٠٢ ق.م. يحاول العدو مرة أخرى الغزو عبر سيناء ، لكن قوات مصر تسبقه الى بلوزيوم وتجبره على الانسحاب •

ولقد تأكد للغزاة السلوقي أن المجيء عبر سيناء مسألة صعبة بل مستحيلة ، ولذلك فقد تغيرت الخطط العسكرية لغزو مصر ، فبدلاً من أن تكون عبر سيناء ، جاءت عن طريق البحر المتوسط . ولقد ظلت الغزوات تهدد مصر الى عام ٤٨ ق.م. حيث منيت مصر بالاحتلال الرومانى •

وفى عصر الرومان يخبو نجم سيناء قليلاً • فقد نافسها صحراء الاردن والشام •

لكن سيناء استعادت أهميتها أيام البيزنطيين ، أى الدولة الرومانية الشرقية •• بينما نافست مدن أخرى بلوزيوم ، ومنها ( أوستراكينا ) •• التى كانت تبعد ٢٤ ميلاً غرب العريش • وكانت العريش تسمى فى العصر الرومانى باسم ( رينو كورورا ) وقد جعل الرومان لأوستراكينا أهمية استراتيجية ، لقيامها على مفترق الطرق ، التى تؤدى الى مصر عبر سيناء • واهتم



الإباطرة الرومان بهذه المدينة، ومنهم الامبراطور جوستنيان ،الذي  
اهتم الامبراطور بمنطقة دير سانت كاترين ، النى اهتم بها من  
قبله الامبراطور قسطنطين .

ويقال ان الامبراطور جوستنين هو الذى أقدم على مشروع  
حيوى لتحسين مصر والدفاع عنها ضد الاخطار الشرقية ، خاصة  
الفرس . وقد حصن مداخل سيناء . ومن أجل ذلك شيد عدة  
حصون وقلاع . كما ينسب هذا الى الامبراطور بناء عدة نقط  
حراسة على رؤوس التلال الهامة بين العريش ونخل ، وعند مضيق  
جبل المغارة .

وهذا يعنى أن الاهتمام الرومانى بسيناء تكثف فى الداخل  
والوسط أكثر ما منطقة الطريق الحربى العظيم المثل على البحر  
المتوسط ،والذى كان الرومان يسيطرون عليه ويسمونه بحرنا  
«Mari Nostrum»



## الفصل الثاني

### سيناء العرب ٠٠ والاسلام



قبل أن تبرز شمس الاسلام على شبه جزيرة سيناء ، وفي فترة الحكم البطلمي لمصر ، انتشرت بعض الشعوب المعروفة بالنبط في المنطقة الممتدة من شمالى المدينة المنورة الى منطقة جنوب سورية ، ثم انتشروا في شبه جزيرة سيناء . وكان النبط قوم يعملون بالتجارة ، وقيل أن أهم ما كانوا يوردونه الى مصر الفرعونية هو مادة القار ، الذى كان يستخدم فى عمليات التحنيط . وهذا يعنى ان النبط ظهروا فى المنطقة ، ربما قبل عصر البطلمى بكثير .

لكن فى عهد الحكم البطلمي لمصر ، ساعد النبط البطالة ضد محاولات غزو مصر من ناحية ملوك سورية وآسيا الصغرى . وهؤلاء النبط تركوا نقوشا كثيرة فى سيناء ، وانتشرت كتاباتهم على مضايق جبالها .

والنبط قوم رحل ، وصفهم ديودور الصقلى - كما جاء فى كتاب سيناء لابراهيم امين غالى - قوم اقساموا فيما بينهم على التمسك بحياة البداوة الى الابد . وسيناء لعبت دورا هاما فى الحضارة النبطية ، حيث كانت بالنسبة لهم معبرا تجاريا . وتركوا فيها نقوشا كثيرة ، ظلها البعض انها من آثار بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر . لكن فى القرن الثامن عشر ، دلت الكشف أنها ليست من آثار بنى اسرائيل . ثم جاء السير فلندرز بترى ، واكتشف ما يسمى بالنواميس ، واثبت ان هذه النواميس تسبق الخروج بعدة قرون ، وأنها آثار نبطية . بل ان بالمر الذى زار سيناء عام ١٨٧٠ عثر على مساحات كانت مزروعة أيام النبط ، كما اكتشف خلجانا على بعض التلال مبنية من الحجارة ، واتضح أن المنطقة كانت تزرع بنظام هندسى ونداعى متقدم على نظام بلاد العرب السعيدة . أو اليمن الآن .

وعاصمة النبط كانت هى مدينة البتراء . وكان للنبط طرق وقوافل تربط سيناء بالعاصمة البتراء . ومن هذه الطرق ، طريق يوصل ما بين غزة والبتراء عن طريق النقب . وقد مده الرومان حتى أيله ، أى السويس الحالية . كما كان هناك طريق يوصل الى أيله

عن طريق وادى فيران ، ثم يتوغل الى الداخل حتى فيران ، مارا بجبل موسى وكاترينا . وكان هذا الطريق من أهم الطرق لتبادل التجارة ومرور القوافل . وقد قيل أن الاسرائيليين فى عام ١٩٥٦ مشروا على حصن من عصر النبط ، حيث كان النبط يعبرون البحر بتجارتههم على طول الساحل فى المناطق الحالية للطور وأبو زينة . والواقع أن للنبط بصمات فى سيناء تدل عليهم . فقد حبسوا المياه ووزعوها توزيعا مفيدا ، وتمكنوا من تخزين مياه الامطار أثناء فصل الشتاء . والآثار التى تم العثور عليها تذكر أنواع المحصولات من الفصح والشعير وخضروات الحقل ، والكرم والتين والبلح . بل ان الحبوب كانت تنتج أكثر من وزن التقاوى المبذورة سبع مرات .

ومن خلال البحث الميدانى بواسطة الجو ، لدراسة الطبوغرافية ، بعد الحرب العالمية الاولى . تبين أن النبط لم يتركوا التلال دون تحويلها الى مدرجات كالسلالم لزراعتها ، كما لم يملأوا أية امكانية لتحويل السهول الى حدائق وبساتين، حددت مساحاتها بحوايط من الحجارة .

ولم يهتم النبط كثيرا باقامة خزانات مياه . وجهوا همهم الى المدرجات على جوانب الجبال . وهذه الطرق ساعدتهم على التعامل الجيد مع مياه الامطار . هذا فضلا عن أن النبط كانوا فى الغالب يحفظون المياه فى صهاريج منقورة فى الصخور .

وهذا الاهتمام بالمياه والزراعة كان اهتماما بالدرجة الاولى لتوفير واحات خضراء ، لترغيب التجار المسافرين عبر هذه الطرق . فهى كانت محطات للعبور بالتجارة ، ومن فرض الرسوم على القوافل . ولهذا حققت مملكة النبط دخلا كبيرا من تجارة القوافل .

ومن أجل هذا الدخل الكبير . كان الحسد ، حتى قيل أنه فى أواخر العصر البطلمى ، حققت كليوباترة عـلى ثراء النبط ،

ودفعها ذلك الى الضغط على حبييها مارك انطونيو ، لكى يكسب احتكار النبط لنجارة العواصلى .

وحين احتل الرومان مصر دارت بينهم وبين مملكة النبط عدة حروب . فالمؤرخ سترابون يذكر أن الامبراطور الرومانى أغسطس فى عام ١٨ ق.م. جرد حملة بقيادة واليه على مصر ( ايلبوس حاللوس ) لغزو جزيرة العرب ، واستعان فى حربه بوزير نبطى اسمه ( سيلوس ) . وقد استمرت الحملة الرومانية مدة سنتين ، خدع فيها الوزير النبطى الرومان ، ولم تحقق الحملة هدفها ، مما أساء العلاقة بين الرومان والنبط . وقيل كذلك أنه على اثر ذلك دارت حروب طويلة بين هيردوس الرومانى ، والمملك ( مالك ) النبطى ، وأن هذه الحروب لم تثمر شيئا .

على أن دولة النبط انهارت أيام الامبراطور الرومانى تراجان ، الذى غزا البتراء ، واستولى عليها ، فى عهد آخر ملوك النبط ، واسمه « مالك الثالث » (١) . ومنذ ذلك الوقت انهارت دولة النبط ، وقضى الرومان على احتكارهم التجارى . فقد كانت تجارة الهند تنقل الى عدن ، ثم الى الحجاز ، ثم الى البتراء . ومن البتراء كانت تذهب الى مصر وفلسطين ، وسورية .

وبعد انهيار دولة النبط ، قامت فى أواسط القرن الثالث الميلادى مملكة تسمى فى بادية الشام ، وهى التى أعلنت الحرب على الرومان فى عهد ملكتها زنوبيا . وهذه الملكة احتلت مصر ، مدعية أنها وارثة لكليوباترا ومن سلالتها . لكن جيوش الامبراطور الرومانى ( أورليان ) هزمتها شر هزيمة ، مما كان سببا فى بروز أمراء الحيرة ، الذين أخذوا - بعد سقوط تلمر - يلقبون أنفسهم بملقب ( ملوك كل العرب ) . كما يظهر جليا فى لوحة امرى القيس عام ٣٢٨ للميلاد ، وهى موجودة فى متحف اللوفر بباريس . ونص هذه اللوحة كما أوردها كتاب ابراهيم أمين غالى ، كالاتى :

---

(١) الامبراطور تراجان اشتهر بسياسته التى تهافت الى ضم الاراضى للامبراطورية ، والاكتاف من بناء المدن . راجع كتاب « تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى » تأليف م. رستوفتوف ، ترجمة زكى طلى ، محمد سليم سالم - الجزء الاول ص ٤٢٢ - القاهرة فر ١٩٥٧ ، الناشر مكتبة الانجلو .

« هذا امرئ القيس بن عمرو ، ملك جميع العرب ،  
والذى ضرب نجران مدينة شامر ، وأرضخ قبيلة مصر ..  
الذى تقلد التاج ، وأرضخ بنى أسد، وقبيلة نظار وملوكهم وهزمهم  
فهو الذى يورع بين اولاده القبائل بين الفرس والرومان ، ولم  
يصل قط ملك حتى اليوم الى عظيمته » .

وكانت سيناء فى تلك الحقبة مساحة استراتيجية حامية  
للولاية الرومانية فى مصر . وكان سقوط البتراء ، وتدمير - وهى  
ممالك عربية بالطبع - دافعا الى أن تتحول سيناء الى منطقة  
مهجورة ، خاصة بعد أن سحب الامبراطور الرومانى ( فائس )  
حاميته منها .. وان كانت سيناء لم تفقد حقيقتها كمعبر من  
خلال طرقها التاريخية ، وخاصة الطريق الساحلى ، أو الطريق  
العربى العظيم .

والدليل على أن سيناء لم تعد لها الاهمية مثلما كانت من قبل،  
انه انتشرت فيها الرهبنة فى هذه الفترة . فرارا من الاضطهاد  
الرومانى .. وقد ظلت على ذلك حتى ايام الامبراطور جوستينيان،  
الذى بنى حصنا يحمى الرهبان .. ضمن حصون أخرى أقامها ،  
لان سيناء ظلت الطريق الحيوى المؤدى من البحر الاحمر الى البحر  
المتوسط .

وقد ظلت هذه الحصون قائمة .. حتى ظهرت فى التاريخ  
الجيوش العربية ، تلك التى قوضت الامبراطوريتين .. الرومانية  
والفارسية فى المنطقة .



دخل العرب المسلمون مصر من الطريق التاريخى، وهو طرق  
النمرى اوبلوزيوم . وهذا الطريق، هو اقدم الطرق بالطبع بين مصر  
والشام ، وكان يسمى بالطريق الملكى . وهذا الطريق كان يبدأ من  
مدينة ( زالوا ) فى مديرية الشرقية . وكان الخارج من زالوا قاصدا  
الشام يخترق أرضا يغمرها النيل ستة أشهر - كما قيل - ثم



ينحرف شرقا ، ويسير ما بين البحر المتوسط وبحيرة (سربونيوس)  
- أى البردويل - وعند منتصف البحيرة على شاطئ البحر يجد  
( تل القلس ) الشهير .

أما من يخرج من فلسطين متجها الى مصر ، فقد كان يبدأ  
رحلته من الرملة ، ثم غزة ، فرفح ، ثم العريش . ورفح كانت  
الحد الشرقي المصري بين مصر والشام ، كما كانت ( آيله ) على خليج  
العقبة هي نهاية حدود مصر مع الحجاز .

وحين ذهب عمرو بن العاص يريد فتح مصر عام ١٨ الهجرى  
- ٦٣٩ الميلادى ، كان الخليفة عمر بن الخطاب يخشى عواقب ذلك .  
وفى كتاب ( فتوح مصر ) لابن عبد الحكم يروى حكاية تدل على  
أن حدود مصر كانت عند رفح .

وبقول ابن عبد الحكم : أن الخليفة عمر بن الخطاب بعث الى  
عمرو بن العاص بكتاب وهو فى طريقه الى مصر ، يقول فيه : ( أما  
بعد ، فان أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر ، فارجع عنها .  
أما ان كنت دخلتها أو شيء من أرضها فامض وأعلم بمدك ) ( ١ ) .  
ويقولون أن عمرو بن العاص التفت الى من حوله وقال :

( أين نحن يا قوم ؟ فقالوا : فى العريش . فقال : وهل  
هي من أرض مصر أو الشام ؟ ... فأجابوا : أنها من أرض مصر ،  
وقد مررنا بعمدان رفح مساء الامس . فقال : هلموا بنا اذن ،  
قياما بأمر الله وأمير المؤمنين ) .

ويؤكد كذلك أن حدود مصر الشرقية كانت تمتد الى رفح .  
ما جاء فى ( تقويم ) البلدان لابی الفسدا : ( ان حد ديار مصر  
الشمالى بحر الروم من رفح الى العريش ، معتدا على الجفار الى  
الفرما ، الى الطينة ، الى دمياط ، الى ساحل رشيد الى الاسكندرية ،  
الى ما بين الاسكندرية وبرقة ) .

---

(١) سننمى ذلك فى فصل قادم .

ويقول بعض المؤرخين أن دخول رفح والعريش ، لم يكن أول اتصال بين الاسلام وسيناء .. فهناك «عهد» أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل آيله عام ٦٢٨-٦٢٩ ميلادية . وعند الفتح الاسلامي وقع امتزاج كبير بين قبائل العرب القادمة وسكان سيناء من البدو .. على اعتبار أنهم ينتهون الى جنس واحد ، حتى أن جيوش المسلمين لم تصطدم بأية حركة مقاومة تذكر .

وقد ظلت سيناء بعد الفتح الاسلامي ، الطريق الاساسي الموصل بين البحر الاحمر والبحر المتوسط . كما أنها ظلت طريق الحج الى مكة المكرمة . وكان الحجاج يذهبون في قوافل مدعمة بالحراس المسلحين . وقد كان أول طريق للحج في صدر الاسلام هو طريق عيذاب . فكان الحجاج يركبون النبل من ساحل الفسطاط الى مدينة قوص في الصعيد ، ثم يتوجهون بالابل الى البحر الاحمر مخترقين صحراء عيذاب ، ثم ينزلون الى جعدة .. وذلك قبل أن يصبح الطريق عبر سيناء هو الطريق الرئيسي .



عبوران حدثا بعد عمرو بن العاص ، وان كانت سيناء كانت دائما معبرا للذهاب والمجيء أيام الخلافة الاموية ..

والعبوران حدثا في عصر أحمد بن طولون ، والى مصر من قبل العباسيين . فحين أراد أحمد بن طولون ضم الشام الى مصر ، شاهدت سيناء جيش ابن طولون عام ٨٧٨ م . أما العبور الثاني فكان عام ٨٨٣ م . لمعاقبة لؤلؤ عامله على الشام .

ثم شهدت أيضا سيناء عبورين آخرين في عصر الدولة الاخشيدية ، التي خلفت الدولة الطولونية على مصر . والعبور الاول لسيناء حين سير الاخشيد جيشا لمحاربة محمد بن رائق حاكم فلسطين ، الذي حاول غزو مصر من قبل الخليفة العباسي الراضي بالله .. لكن الجيشين تصالحا في القرما . وقد حاول محمد بن

رائق مرة أخرى غزو مصر ، فأسرع الاخشيد لملاقاته بالقرب من العريش ، وهزمه عام ٩٣٩ ميلادية .

وفى عصر دولة الفواطم . . كان عليهم لكى ينشروا دعوتهم ويؤكدوا دولتهم ويؤمنوها من فلول الاخشيديين ، فيقود جعفر بن فلاح جيشا فاطميا ليطارد الفارين ، عبر سيناء .

على أن دولة الفواطم لها مع سيناء تاريخ طويل ، وكذلك مع دير سانت كاترين ، سنتحدث عنه فى حينه .

وسيناء لها ذكريات حافلة مع الصليبيين . .

لقد ظلت شبه الجزيرة هادئة . . والطريق التجارى ، وطريق الحج أيضا . . الى أن بدأت الحروب الصليبية ، بعد أن وقع الغزو الصليبي على الشام ، وأنشئت دويلات مسيحية هناك . فى هذه الفترة تجددت أهمية سيناء الاستراتيجية كباب شرقى لمصر ، وحسن منيع يحمى الدلتا ضد الغزو .

وقد بدأ الصليبيون غزوهم عبر سيناء عام ١١١٧ - ١١١٨ الميلادى . . ففاجأ بلدوين الصليبي مدينة الفرما بالهجوم . وأصاب منها - كما يقول أبو المحاسن فى ( النجوم الزاهرة ) - ( غنية وافرة ، وحرقتها ، وذبح معظم سكانها ) . . لكنه - أى بلدوين - سرعان ما أمر رجاله بالانسحاب الى الشرق ، وسرعان ما وافته المنية عند العريش ، بعد أن داهمه المرض . وفشلت بذلك أول حملة صليبية على مصر من طريق رفح - الفرما . . وهو الطريق الذى سلكه العرب لفتح مصر .

وفى عام ١١٥٣ هجمت حملة صليبية أخرى على مصر عبر سيناء ، من طريق الفرما . وهذه الغزوة لم تتجاوز صان الحجر الحالية فى الشرقية ، وعادت هذه الحملة من حيث جاءت .

وفى عام ١١٦٢ الميلادى آلت الى أمورى الصليبي مملكة بيت

المقدس ، وأراد غزو مصر بعدما ساءت فيها الحالة من جراء الصراع بين الوزيرين شاور وضرغام ، وبالفعل عبرت جيوش أمورى الى سيناء عام ١١٦٣ ، حيث وصلت بلبيس ، لكنه تفهقر حين فتح ضرغام سدود النيل وفاضت المياه . ثم تأتي جيوش أسد الدين شيركوه ، نيابة عن قائده نور الدين عبر سيناء ، حيث وصل بجيشه الى تل بسطة ( قرب الزقازيق ) فى مايو ١١٦٤ . لكن جيوشه عادت ، وعادت أيضا جيوش أمورى ، بعدما حدث بينهما عدة اشتباكات . وكانت جيوش شيركوه قد أخذت الطريق الاوسط فى مسيرتها فى صحراء النيه .

وكما يقول الدكتور سـعـيد عبد الفناح عاشور فى الجزء الثانى من كتابه ( الحركة الصليبية ) :

« خرج نور الدين والصليبيون جميعا من تجربتهم العملية فى ارض مصر ، بفكرة واضحة عن مدى ثروة البلاد وضعفها الشديد، حتى بدا لهما ان الاستيلاء عليها يمثل الهناء دون العناء » .  
ويذكر أبو المحاسن فى ( النجوم الزاهرة ) . أن أسد الدين شيركوه الذى أرسله نور الدين ، غادر مصر ( وهو فى غاية من القهر ) . كما يذكر ابن الاثير فى كتابه ( الكامل ) ، فى حوادث سنة ٥٦٢ هجرية : « ان شيركوه ( بعد عوده منها لا يزال يتحدث بهاويقصدها ، وكان عنده من الحرص على ذلك كثير ) » .

وعبرت سيناء حملة ثانية لنور الدين فى يناير ١١٦٧ م بقيادة أسد الدين شيركوه ، وكان معه ابن أخيه صلاح الدين . وقد استنجد شاور بأمورى الصليبي ، الذى أسرع عبر سيناء فى نهاية يناير ١١٦٧ م . ليغزو مصر بجيوشه وقد سار جيشه من غزة الى العريش ، ثم الى صحراء بلبيس ، الى الضفة الشرقية للنيل ، بينما كانت جيوش شيركوه فى الجيزة أمام الفسطاط . وبعد أن حدثت بين الجيشين معارك . . اتفق الصليبيون وأسـد الدين شيركوه على الجلاء عن مصر .

لكن عمورى - وهو عمورى الاول - هاجم مصر عبر سيناء ،  
بعد أن قوى الروابط بينه وبين الامبراطورية البيزنطية . وهجم  
عمورى على مصر عبر سيناء الى أن وصل بلبيس فى أول نوفمبر  
١١٦٨ ، حيث حاصرها واستولى عليها عنوة ، وقتل من أهلها خلقا  
عظيما . كما يقول المؤرخ أبو شامة فى كتابه « الروضتين فى  
اخبار الدولتين » . ثم اتجه الصليبيون الى القاهرة .  
وهنا كما يقول ابن الاثير : « أن أهل القاهرة همزموا على  
المقاومة . هذا فى الوقت الذى وصل فيه الاسطول الصليبي الى  
بحيرة المنزلة . وبلدة تانيس . »

وهنا تآتى جيوش نور الدين محمود بقيادة شيركوه ومعه  
صلاح الدين عبر سيناء . مما اضطر الصليبيين الى الانسحاب فى  
يناير ١١٦٩ . . وكما وصفهم ابن الاثير فى حوادث ٥٦٤ هجرية  
( عايدى الى بلادهم بخفى حنين خايين مما أملوه ) . وقد دخل  
شيركوه وصلاح الدين الى القاهرة دخول الظافرين ، ثم مات شيركوه  
فى ٢٣ مارس ١١٦٩ ميلادية ، فخلفه صلاح الدين ، وولاه الخليفة  
العاقد الفاطمى الوزارة .



إن نجاح نور الدين فى ضم مصر الى دولته فى دمشق ، خلق فى  
محيط الصليبيين ، بالشام جوا جديدا من القلق والرعب ، بعد أن  
أحسوا أنهم وقعوا بين شقى الرجا ، وأن القوات الصليبية أحاطت  
بمملكة بيت المقدس الصليبية من الشمال الشرقى والجنوب  
الغربى . هذا - وكما يقول د . سعيد عاشور - الى أن سيطرة  
نور الدين وقائده صلاح الدين على القواعد البحرية فى شمال  
مصر مثل الاسكندرية ودمياط وغيرها من موانئ الدلتا ، من  
شأنها أن تسلب الصليبيين سيادتهم البحرية .

ونتيجة لذلك ، استنجد عمورى بامبراطور بيزنطية

ليساعده في غزو مصر، وبالفعل ارسل الامبراطور البيزنطى اسطولا كبيرا في عام ١١٦٩ وصل الى عكا لرسم الخطة لغزو مصر بالاشتراك مع الصليبيين . وفي الوقت الذى اقلع فيه الاسطول البيزنطى صوب دمياط ، زحف الصليبيون فى ١٦ أكتوبر ١١٦٩ برا من عسقلان الى القرما مرورا بسيناء ، ومن القرما الى دمياط ، ومعهم - كما يقول ابن واصل فى كتابه « مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب » : ( المنجنىقات والدبابات وآلات الحصار وغير ذلك ) . لكن هذه الحملة لم تنجح وانسحب الصليبيون وحلفاؤهم البيزنطيون من امام دمياط . وقد وصف المؤرخ ابن الاثير عودتهم : فوصفهم بالنعامة التى خرجت تطلب قرنين ، فرجعت بلا اذنين » . .

ثم بدأت المعارك تتجه من مصر الى الصليبيين عبر سيناء . ففي اوائل ديسمبر ١١٧٠ ميلادية خرج صلاح الدين لمهاجمة فلاح الصليبيين على شواطئ فلسطين ، وبدأ بحصار قلعة ( الدارون ) جنوبى غزة ، ثم حاول الاستيلاء على غزة نفسها ، لكنه لم يستطع بسبب دفاع عمورى عنها .

اوذهب صلاح الدين الى ميناء (آيله ) - على خليج العقبة - فبنى كثيرا من السفن وحمل اجزاعها على الجمال عبر سيناء حتى البحر الاحمر - خليج العقبة - وهناك ركبت السفن واخذ صلاح الدين يهاجم آيله برا وبحرا فى نهاية ديسمبر ١١٧٠ ميلادية ، سقطت المدينة فى يده ، واقتيد افراد حاميتها اسرى الى القاهرة . وكما يقول ابن الاثير : « ان صلاح الدين لم يعد الى مصر الا بعد ان انزل الهزيمة بالصليبيين ، حتى ان عمورى افلت من الاسر بصويرة » .

ثم قام صلاح الدين بحملة اخرى فى اواخر نوفمبر ١١٧٧ على المراكز الصليبية على شاطئ فلسطين الجنوبى ، مثل الداروم وغزة . وكان قد سار عبر سيناء الى العريش . وبدأ منها الهجوم ، وذلك ايام بلدوين الرابع .

لكن في أواخر أيام بلدوين الرابع ، جاء أرناط وتولى مقاليد الأمور في الاردن الحاليه . وامتلك حصنى الكرك والشوبك . وهذان الحصنان كانا لا يتحكما في طريق الحجاج المسلمين الى الحرمين الشريفين فحسب ، بل أيضا في الطريق البرى الرئيسى بين مصر ودمشق . ثم في عام ١٨٨١ أوغل أرناط على رأس قوة من رجاله ، في صحراء العرب حتى ثمياء ، وكانت ثمياء هذه واحة لها أهميتها لوقوعها في منتصف الطريق عبر الاردن والمدينة المنورة ، حتى وصفها صلاح الدين نفسه في رسالته الى الخليفة العباسى بأنها « دهليز المدينة المنورة » . وكان في نية أرناط الزحف الى المدينة المنورة ذاتها ( للاستيلاء على تلك النواحي الشريفة ) ، كما يذكر ابن الاثير . لكن فرخ شاه ابن أخى صلاح الدين ونائبه في دمشق أسرع لغزو الاردن مما جعل أرناط يعجل بالعودة .

ثم كانت آخر محاولات أرناط للاستيلاء على المدينة المنورة ومكة المكرمة ، ومحاربة الموانى المصرية ، وقطع طريق الحج ، وإيقاف طريق التجارة عام ١١٨٢ ميلادية .

وقد انبرى المسلمون لارناط ، ونذر صلاح الدين دم أرناط كما يقول أبو شامة . وقد جاء ذلك اليوم الذى قضى فيه صلاح الدين عليه في أوائل ١١٨٧ . حينما انقض أرناط على قافلة متجهه من القاهرة الى دمشق وسلبها وأسر رجالها ، ويقال ان أخت صلاح الدين كانت فيها . وهذا أدى الى معركة حطين التى انتصر فيها صلاح الدين ١١٨٧ م .

ومما يذكر هنا أن صلاح الدين هو الذى أعاد ترميم طريق العريش وأصلحه بعد تخريبه عام ١١٦٥ م . وأقام بقرب عين سدر قلعة عرفت باسم ( قلعة الجندى ) . كما أقام قلعة أخرى في وادى الراحه . وثالثة بجزيرة فرعون على خليج العقبة . وقلعة الجندى كانت تكشف المواقع التى يأتى منها الغزو عبر الطريق الملكى القديم وقد نقش على مدخل القلعة الآتى : ( بسم الله

الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد ، خلد الله ملك مولانا للملك  
الناصر صلاح الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، الملك  
يوسف ٠٠ العادل الناصرى ، فى جمادى الآخرة سنة ٢٨٥  
هجرية ) .

وفى الجهة الجنوبية للقلة أقام صلاح الدين جامعين ،  
وصهريجا للمياه ٠٠ على مثال ما أنشئ فى جزيرة فرعون . وفى  
عهد الملك العادل ، خليفة صلاح الدين ، حرص هذا الملك على  
العناية بالقلة والجامعين ، فأرسل بعثة عام ١٢٠١ الميلادى للتأكد  
من حالتها وترميمها .



رفعت دولة المماليك لواء الجهاد ضد الصليبيين بعد  
الأيوبيين .

ولذلك فإن الظاهر بيبرس ، استرد آيله عام ١٢٦٧ الميلادى  
من يد الصليبيين ، بعد أن كانوا قد احتلوها . وكانت دولة المماليك  
البرجية قد امتد نفوذها على الشام كله والحجاز ، وكانت مملكة  
كبيرة ، وصارت سيناء هى همزة وصل جناحى المملكة ، وطريق  
هام للتجارة والحج .

وجدير بالذكر أنه فى سيناء ، قد تم انقاذ العالم الإسلامى  
من خطر داهم آخر ، هو الخطر المغول ٠٠ عند مدينة ( غزة ) ٠٠

فقد كان التتار جيشاً مثل النمل فى عدده ، كما قال أحد  
المؤرخين المعاصرين ٠٠ وكانوا يستخدمون أسلحة حديثة ومتطورة  
لا قبل للعرب بها . وقد زحفت جيوش المغول على الدولة العباسية  
فى عهد آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله عام ٦٥٦ هـ  
( ١٢٥٨ م ) . وهجموا على بغداد بقيادة هولاكو . وفى أيام قليلة ،  
أحرقوا بغداد ، وقتلوا الخليفة ، كما قتلوا النساء والشيوخ  
والاطفال . وحرقوا مكتبة بغداد الزاهرة ، وألقوا بنفائسها فى



النهر ، ليعبر جيش المغول عليها . وكانت نسبق جيوش المغول  
دعايات نفسيه رهيبه .

وبعد أن استولوا على بغداد ، زحفوا الى دمشق ، ثم وصلت  
طلائعهم الى سيناء عند مدينة غزة . وكان يحكم مصر في ذلك  
الوقت سيف الدين قطز .

وفي ٦٥٨ هـ ( ١٢٦٠ م ) أرسل هولاكو الى مصر خطابا كله  
سلف وجبروت . استهدف منه المغول أو التتار الى احضار مصر  
بالتهديد النفسي قبل العمل الحربي .  
والخطاب يقول :

( من ملك الملوك شرقا وغربا القائد الاعظم ، باسمك اللهم  
باسط الارض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز الذي  
هو من جنس الماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم  
يتنعمون بأنعامه ويقتلون من كان بسلطانهم بعد ذلك . يعلم الملك  
المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصريه ، وما  
حولها من الاعمال ، أنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ،  
وسلطنا على من حل به غضبه . فلکم بجميع البلاد معتبر وعن  
عزمنا مزدجر ، فاتظلوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم قبل أن  
ينكشف الغطاء ، فتنتموا ويعود اليكم الخطأ . فنحن ما نرحم من  
بكى ، ولا نرق لمن اشتكى . وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ،  
وطهرنا الارض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعلیکم بالهرب ،  
وعلينا بالطلب . فأى أرض تؤويكم وأى طريق ينجيكم ، وأى بلاد  
يحميكم . فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهايتنا متاص .  
فخيولنا صوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا  
كالجبال وعدنا كالرمال . فالحصون لدينا لا تمتنع ، والعساكر  
لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع . . . ”

ويختتم هولاكو الخطاب بقوله :

« أمرعوا برد الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمي  
نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا كافيا ولا حرزا .

وتدهون منا بأعظم داهية ، وتصيح بلادكم منكم خالية . فقد  
أنصفناكم اذ راسلناكم ، وأيقظناكم اذ حذرناكم ، فما بقى لنا  
مقصد سواكم . والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى ،  
وخشى عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى » .

حين يصل خطاب هولاكو مع رسله ، تتوحد الجبهة في مصر  
ويقتل قطز رسل هولاكو ويعلقهم على باب زويلة . ثم يبدأ في  
التقدم بجيشه الى الصالحية . وهناك يعهد الى بيبرس البندقدارى  
بأن يتقدم الى بلاد الشام مع فريق من الجند ليوقف على أخبار  
العدو . وسار بيبرس في الطريق الحربى العظيم فى سيناء . وفى  
غزة اضطرت الحامية التى كان قد أرسلها هولاكو اليها ، الى  
الانسحاب .

والجدير بالذكر أن الجيوش المصرية ألحقت الهزيمة بالتتار  
عند عين جالوت فى السادس من سبتمبر ١٢٦٠ م . - الخامس  
والعشرين من رمضان ٦٥٨ هجرية . وقتل كتيبا قائد التتار  
وحملت رأسه الى القاهرة ، وولى المغول الادبار . . كما يقول  
المقريزى .

والحقيقة ، وكما يقول المؤرخون ، أن يوم ( عين جالوت )  
كان يوما عظيما ، لا فى تاريخ مصر والإسلام فحسب ، وإنما فى  
تاريخ العالم كله . ذلك أن هذا السيل المغولى المخرب كان ينذر  
بإقتحام المغرب ، ولو اجتاحت المغول مصر لاجتاحوا المغرب ووصلوا  
الى أوربا . . حتى ليقال أن موقعة ( عين جالوت ) لا تقل خطرا عن  
موقعة ( شالون ) التى هزمت فيها قبائل ( الهون ) قبل ذلك بشمانية  
قرون على يد القوط والرومان عام ٤٥١ ميلادية . . وكأقوالا فقد  
اجتاحوا أوربا كلها .

بل أن « عين جالوت » أنقذت الشرق الإسلامى من غزوة قترية  
أخرى للشرق ، بعد قرن ونصف من الزمان ، حين وصلت جحافل  
التتار ثانية الى الشام .

وكما يقول د. سعيد عاشور فان غزو المغول للشرق الاسلامي اتخذ طابع حملة صليبية ، تكسرت على صخرة مصر . . وقد ساعد الصليبيون في فلسطين المغول في غزوهم ، مثل بوهيمسند السادس أمير انطاكية وطرابلس ، ومنل هيثوم الاول ملك أرمينية الصغرى .



في عصر المماليك أيضا ، وأيام بيبرس . . كانت هناك جولات مع الصليبيين عبر سيناء . فقد وصل بيبرس من القاهرة على رأس حملة كبيرة الى غزة في ٩ فبراير عام ١٢٦٥ م . واستولى على مدن فلسطين . . واستطاع أن يخضع عكا في عام ١٢٦٦ م . وفي أيام الأمير قلاوون الذي تولى في ديسمبر ١٢٧٩ هـ . . المغول الشام عام ١٢٨٠ فخرج اليهم عن طريق سيناء ، لكنهم انسحبوا قبل أن يصل اليهم ، فعادت جيوش قلاوون الى القاهرة وبعد أن كانت قد وصلت الى غزة ، كما يروى ذلك المؤرخ أبو الفدا في كتابه ( المختصر في أخبار البشر ) في حوادث عام ٦٧٩ هجرية . كما أن قلاوون خرج مرة أخرى في فبراير ١٢٨٩ م . على رأس جيش . . وكما يقول المقرئزي ( تجهز لاختطط طرابلس ) ، وكان جيش قلاوون مكونا من ٤٠ ألف فارس و ١٠٠ ألف من المشاة . . واستولى قلاوون على المدينة في ٢٦ ابريل سنة ١٢٨٩ م . ويقول أبو الفدا . . أن بعض أهل طرابلس حاولوا النجاة ( فنجأ أنلهم في المراكب وقتل غالب رجالها ، وسبيت ذرارهم وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة ) .

والواقع أن سيناء بالنسبة لدولة المماليك صارت أرضا حيوية عسكريا وتجاريا . فكانت سيناء طريق التجارة مع الهند . وكانت دولة المماليك تحصل رسوما ضخمة على مرور البضائع من البحر الاحمر الى البحر المتوسط .

وقد صارت مدينة الطور في عهد المماليك ومينائها مركزا

لتجمع قوافل البضائع . وكانت قوافل السفن تأتي مرتين كل عام ، فى شهر سبتمبر ومارس .

كذلك فقد برز ميناء السويس فى عهد دولة المماليك الجراكسة ( ١٥١٦ - ١٣٨٦ ) كموقع تجارى وعسكرى هام .

والحقيقة أن دولة المماليك بصفة عامة ، حتى آخر سلاطينهم النورى ، قد اهتمت بالطرق عبر سيناء من أجل الحج والتجارة . ولذلك أنشأت المساجد ، وحفرت الأبار ، وأقامت المنشآت والقلاع على هذه الطرق .

وكان طريق الحج عبر سيناء يمر بالبلاد والمراکز التالية :

كانت الرحلة تبدأ من القاهرة ، ثم بركة الحاج غربى القاهرة فى منطقة حدائق القبة ، حيث كانت مكانا للتجمع . ومنها الى قلعة عجرود غربى السويس . ثم الى النواطير فى بر سيناء ، وهى غبارة عن ثلاثة أعمدة من الحجارة فى مدخل بلاد التيه ، إشارة الى الطريق الذى تسلكه القافلة . بعدها يسير الحاج الى بئر القريص ، ونقب دبة البغلة ، ثم نقب العقبة ، ثم قلعة آيله . ثم الى بئر الحجاز على شاطئها الغربى ، حيث كانت تمر بقلعة المويلح ، وبرج ضبا ، ثم الوجه ، الى ينبع ، الى رابغ .

وحديث بالذکر أنه فى نقب دبة البغلة ، توجد نقوش على صخرة تنسب الى السلطان الغورى ، وفيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر

لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا » ..

« ... رسم بقطع هذا الجبل المسمى : عراقيل البغلة ) ،

ومهد طريق المسلمين الحجاج لبيت الله تعالى .. وعمار مكة المكرمة

والمدينة الشريفة والمناهل بمجرود ، ونخل ، وقطع الجبل ، وعقبة  
آيله ، وعمار القلعة ، والآبار ، والأزلم ، والموشحة ، ومغارب نبط  
الفساقي ، وطرق الحاج الشريفة ٠٠ مولانا المقام الشريف والامام  
الاعظم سلطان الاسلام والمسلمين الملك الاشرف أبو النصر قنصوه  
الغورى نصره الله تعالى نصرا عزيزا ٠

وعلى صخرة اخرى لم تبق من النقوش القديمة الا اسم  
السلطان قنصوه الغورى مع جملة ( عز نصره ) ٠

وفى وادى القريص ، على بعد نحو ٦٠ كيلو مترا من (نخل)  
بئر كان محطة للحجاج يبيتون فيها عند خروجهم من نخل ٠  
وتعرف هذه البئر باسم ( بئر أبو محمد ) نسبة الى الشيخ محمد  
الجوهري المدفون هناك ٠ وآثار المدفن وإن كانت خرابا الا أنها تدل  
على فخامته ، وقد نقش عليها اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته ٠

وقرب مفترق الطرق - على درب الحج المصرى - الى بشر  
التمد ، رجم كبير من الحجارة عرف باسم ( رجم الولي المنسود ) ٠  
ومن عادات البدو أن يرموا هذا الرجم بالحجارة ، ويقولون :  
( اخسأ يا ملعون الوالدين ، الله يلعنك ) ٠

الا أن أهم الآثار الباقية من العصر المملوكى فى طريق الحج  
هى بلا شك فى بلدة ( نخل ) ٠ ونقصد بها القلعة المشرفة على  
هذه البلدة ، والتي بناها السلطان الغورى فى عام ١٥١٦ م ٠ قبل  
بضعة أشهر فقط وقبل أن تلحق به الهزيمة أمام الجيوش  
العثمانية ، ويلقى حتفه فى معركة ( مرج دابق ) ٠

والقلعة قائمة على هضبة تبعد نحو ١٤٠ كيلو مترا من  
السويس و١٢٠ كيلو مترا من العقبة ٠ وهى قلعة مربعة ، ولها  
خمسة أبراج وبنيت بالحجارة ٠ وواجهة القلعة وفوق بوابتها  
كتب عليها : ( مولانا السلطان ٠٠ عز نصره ) ٠ فى جانب ، وفى  
الجانب الآخر ( مولانا السلطان مراد عز نصره ) سنة ٠٠٠ مما

يوصم ان السلطان مراد العثماني هو الذي شيد القلعة ٠٠ الا ان بانيتها هو السلطان المملوكي قنصوه الغوري . ويبدو ان السلطان مراد قام بترميمها ، فوضع الحجر تذكارا لذلك .

والى الشمال الشرقى للقلعة ( قبر الحاج ) ، وهو حاج توفي فى العصر المملوكي ، ويعتقد بدو سيناء حوله انه ( صاحب سر وولاية ) . كما ان فى نخل آبار قديمة ، احدها داخل قلعة الغوري ، ويبدو انه كان قد حفرها هناك .

وكانت مدينة نخل تسمى بطن نخل ، ويصفها مؤرخ بقوله : ( وبطن نخل منهل من مناهل الحاج ، وهى قرية ليس بها نخيل ولا شجر يسكنها نفر من الناس . ويقال بطن نخل لسواف تسفى على الناس فيه ترابا دقيقا كانما نخل بمنخل . وبها خان أنشاء السلطان قنصوه الغوري على يد الامير الكبير خير بك المعمار أحد المقدمين فى سنة خمس عشرة وتسعمائة هجرية ) ٠٠ اى ١٥٠٩ ميلادية . وتم توسيع الخان فى العصر العثماني .

وحين تصل قافلة الحجاج الى منطقة العقبة الجبلية تجسد طريقا مهده ملوك مصر فى الجبل المطل على مدينة العقبة . وسمى الوادى الذى يبدأ من رأس نقب العقبة ويصب فى الخليج على نحو كيلو مترين من مصب طابا ، سمي هذا الوادى ( الوادى المصرى ) . ٠٠ لانه منفذ الحجاج المصريين الى العقبة . والطريق الذى شيده السلاطين متعرج ومنحدر ويسير الى الوادى المصرى . وبه خرائب وجد بينها حجر نقشست عليه العبارات الآتية ، كما نقلها فى كتابه ابراهيم أمين غالى وهى :

( امر بقطع هذا الطريق المبارك السسلطان الملك الاشرف قنصوه الغوري عز نصره ، وكان الواقف فى هذا المكان الامير . . . خان . . . تاسع عشر . . . )

وعلى مقربة من تلك الخرائب التي سميت مقعد الباشا ، مكان  
دعى رجم الدرك ، وقد عثر على حجر منقوش عليه العبارة الآتية :  
بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإصلاح هذه الأماكن مولانا  
الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر فلاوون ، وذلك في  
شهر رجب سنة ٦٢٩ هجرية ، ( ١٢٢١ ميلادية ) .  
ومن الواضح أن هنالك خطأ في التاريخ ، إذ أن دولة المماليك  
لم تكن قد بدأت بعد ، فربما نقشت تلك العبارة بعد ذلك . ولكن  
ذلك قد يدلنا على أن السلاطين الاول كانوا قد مهدوا هذا الطريق  
من القدم .

المهم أنه بعد عبور هذا الطريق يصل الحاج الى العقبة . وهنا  
أيضا نجد آثار السلطان الغوري . قلعة العقبة على مثال قلعة  
نخل . وكذلك فإن على جدرانها اسم السلطان الغوري ، ومرمها  
السلطان مراد الثالث . كما أن هناك نصا عليها يقول : « أمر  
بانشاء هذه القلعة المباركة السعيدة ، السلطان الملك الاشرف ابو  
النصر قنصوه الغوري ، سلطان الاسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة  
والملاحدين ، محيي العدل في العالمين » .

ومن العقبة يسير طريق الحج على الجانب الشرقي للبحر  
الاحمر ، الى المويلح ، وبرج ضبا ، وقلعة الوجه ، ثم مدينة ينبع  
الى أن تصل القافلة الى مكة المكرمة . وكانت القافلة التي تعبر  
سيناء تخضع لإدارة محكمة ، وكان على رأسها أمير يدعى أمير  
الحج ، وموظفون ، وقوة عسكرية . وقد بدأ هذا التنظيم المحكم  
منذ عصر السلطان بيبرس . . حتى أنه في عام ١٧٤٣ ميلادية كان  
أمير الحج يختار من بين الأمراء ( أمير الف ) .

وجدير بالذكر أن عند الحجاج الذين كانوا يعبرون  
سيناء كان يتراوح عددهم بين ٥٠ ألفا و ٣٠٠ ألف . .  
وهذا وحده - كما يرى كتاب سيناء المصرية - يدل على مقدار  
النشاط الذي كان يجري في شبه الجزيرة ، وعلى اهتمام السلاطين  
المماليك بشئونها . وكان العلم المصري يرفرف فوق الحمل في

عهد سلاطين المماليك ، وكان أصغر اللون • وقد قدرت قيمة  
الكسوة المرسله سنويا من مصر بمبلغ ٣٠٠٠ دينار .



أثناء العصر العثماني ظلت سيناء على أهميتها كطريق للتجارة  
والحج •

بل يقال ان العثمانيين ساروا على نفس النهج الذي سار عليه  
المماليك •

فسلطان العثمانيين أقاموا في سيناء القلاع الجديدة ،  
ورممو القلاع القديمة •

ويقول كتاب ( سيناء المصرية ) أن السلطان سليم • أول  
سلاطين آل عثمان ، بنى قلعة الطور • وأنه بقي من عصر العثمانيين  
ما يسمى ( بكتاب الام ) • الذي هو عبارة عن سجل دونت فيه  
صور الدعاوى والاحكام وصكوك المبايعات والرهونات من النخيل  
والاراضي الزراعية ، سواء في الطور نفسها ، أو في فيران  
والضواحي والطور •

وكانت في قلعة الطور حامية من العساكر الطوبجية على  
رأسها ضابط تابع للقائد العام العثماني في السويس • وكان  
مع الضابط مدير لمؤن العساكر ، ومحافظ ادارى على العربان ،  
وقاض على المذهب الحنفي - مذهب العثمانيين - يعينه قاضى  
السويس • وكان السجل بيد القاضى •

وجدير بالذكر ان السجل ( كتاب الام ) خليط من محاضر  
البوليس ، ومحاضر توثيق عقود ، واتفاقات ، وشكاوى • واحكام  
صادرة بشأنها • وهو يحتوى فترة من الزمن طولها ٢٥٩ سنة ،  
من عام ١٥٩٢ الى ١٨٥١ ميلادية •

ومن وثيقة مؤرخة عام ١٧٤٤ نعرف ان الجامع في ديرسانت



كاترين كان لا يزال عامرا . وتقول هذه الوثيقة ، كما أوردها  
ابراهيم امين غالى : ( انه قد تم الاتفاق بيندر الطور بحضرة الامام  
نكينورس اقلوم الدبر وكتابه الخورى جرجس تلحة من جهة ،  
وبين جماع ابو هديب وموسى ولد على وغيرهما من جهة اخرى  
بشان انارة الجامع وتنظيفه ) .

وجدير بالذكر ان السلطان سليمان القانوني ابدى عناية  
خاصة بالجزء الغربى لسيناء ، فبنى قلعة العريش ، كما رمم قلعة  
نخل .

وقلعة العريش كانت تقوم على تل مرتفع يشرف على الطريق  
الملكى الموصل من الشام الى الغرب ، وقد كتب على أحد أحجار  
القلعة : ( أمر بإنشاء هذه القلعة مولانا السلطان سليمان بن  
السلطان بايزيد بن السلطان عثمان ، خلد الله ملكه وقدم شوكته  
واعز دولته بمحمد وآله وسلم ٠٠ )

وعلى قلعة نخل التى رمت بوجد نقش على حجر يقول  
( جدد هذا المكان المبارك مولانا السلطان أحمد بن السلطان محمد  
خان من نصره ، مدة راجى محمد باشا سنة ١١١٧ هجرية ) . .  
أى عام ١٧٠٥ ميلادية .

وقد والى سلاطين آل عثمان اهتمامهم بدير سانت كاترين،  
وجددوا العهد المقطوع منذ القدم - كما يقولون العهد النبوية -  
وان كان ذلك غير صحيح وسنناقشه فى فصل قادم . وفى الدير  
فرمان من السلطان مصطفى الاول الى المطران جفريل الرابع  
وتاريخه ١٦٠٨ ميلادية . وهو فرمان يستأمن الرهبان على حياتهم  
وأموالهم وطقوسهم ، وليس عليهم دفع فوائد أو ضرائب . كما  
يحدد الفرمان الموارث وحق امتلاك الارض . . ولا يتعرض أحد  
لحجاج الدير .

والواقع أنه منذ أن استولى العثمانيون على مصر . . ودور

سيناء، دور عادى • لكن التاريخ يذكر أن على بك الكبير فى أواخر عام ١٧٧٠ ميلادية أرسل حملة مهمتها أن تؤمن الطريق بين مصر وفلسطين • وقد قتلت هذه الحملة شيخ عربان تمره واسمه ( سليط ) وأخوته • لأن وجودهم كان خطرا على طريق حملات على بك المعروفة فى التاريخ •

والمعروف أن على بك الكبير كان صديقا للشيخ طاهر العمر، وقد أرسل إلى الشام ثلاث حملات أحداها عن طريق سيناء الشمالية بقيادة محمد بك أبو الذهب إلى دمشق • وقد خافه أبو الذهب فى مصر • ففر إلى الشام • وحين أراد العودة إلى مصر لينتزع ملكه من محمد أبو الذهب ، أرسل إليه الشيخ طاهر جيشا سار به عبر سيناء ، ومر بغزة ، وخان يونس ، ووصل إلى الصالحية •• لكنه هزم فى معركة الصالحية ، ومات فى عام ١٧٧٣ م •



ورأى الجنرال بونابرت أن مصر ستصبح مهددة إذا لم يضم إليها سورية • وكانت سيناء هى الطريق الحيوى لمسيرة جيشه • وقد وصف الجنرال برتران من ضباط الحملة الفرنسية ، المنطقة الشمالية لسيناء فى كتاب له بعنوان ( معارك مصر وسورية ) قائلا :

« ..... والصحراء التى تفصل بين الشام ومصر ، تمتد من غزة إلى الصالحية ، وهى بطول حوالى ٢٤٨ كيلو مترا ، تقطعها القوافل فى ثمانين ساعة » •

ومن وصف الجنرال برتران نعرف أن المسافة من الصالحية إلى قطية تبلغ ٦٤ كيلو مترا وهى صحراء رملية جامدة • وأنه بالقرب من قطية رمال متحركة لينة • ومن قطية إلى العريش مسافة ١٠٠ كيلو متر • وأنه بين قطية والعريش توجد ثلاثة آبار هامة هى بئر العبد ، وبركة العيش ، وبئر مساعد •• وهذه

الآخيرة تقع على بعد ١٢ كيلو مترا من العريش . وأن آبار العريش تكفى لارتواء دوة من الجند يبلغ عددها ما بين ١٥ و ٢٠ ألفا . وأن المنطقة من العريش الى غزة يبلغ طولها حوالى ٧٦ كيلو مترا . والطريق اليها يمر بالخرابية ، وبيرو زويد ، ورفح وخان يونس .

والواقع أن أهمية سيناء أيام الاحتلال الفرنسى لمصر بدأ نجمها يعلو ويتصاعد . فبالنسبة للفرنسيين كانت سيناء تعتبر البعد الاستراتيجى بينهم فى مصر وبين الاتراك فى الشام . وكان الاحتلال الفرنسى لمصر فى عام ١٧٩٨ قد آثار الانجليز ، فساعدوا الاتراك ووقفوا بجانبهم لاجلاء الفرنسيين .

ولذلك فانه بمجرد أن احتل الجنرال بوناپرت مصر ، أعلن السلطان سليم الثالث الحرب على الفرنسيين ، وأرسل جيشا بقيادة أحمد باشا الجزائر والى عكا ، الذى سار واحتل مدينة العريش ، حيث انضمت اليه قلوب المماليك الهاربة من مصر . وقد انتصر الفرنسيون فى مواجهتهم مع الاتراك فى ١٥ فبراير ١٨٩٩ ، واحتلوا العريش ، وجدير بالذكر أن قلعة العريش ظلت تقاوم الفرنسيين عدة أيام حتى سقطت فى ٢٠ فبراير ١٨٩٩ . وكان بها آلاف الفرسان من المماليك والعرب والترك كما يذكر مؤلف كتاب « يوناييرت فى مصر » ، وهو كريستوفر هيرولد ، والمذى ترجمه قواد اندراوس .

واتجه الفرنسيون الى الشمال ، فاجتلوا خان يونس ، ثم استولوا على غزة ويافا . لكنهم هزموا عند عكا وعادوا الى مصر عن طريق سيناء .

وهذه الحملة الفاشلة الى الشام ، وظروف فرنسا ، جعلت الجنرال بوناپرت يعجل بترك مصر ، وتركها للجنرال كليبر ، الذى بدوره اقتنع بضرورة الجلاء عن مصر . بعد تلك الثورات التى نشبت فيها ومنها ثورة القاهرة الاولى والثانية ، وتهديد الاتراك لهم . ثم اندحار أصطولهم فى موقعة أبى قير البحرية ضد الانجليز .

وبالفعل عقد بالعريش مؤتمر للاتفاق على معاهدة صلح يجلو فيها الفرنسيون بشروط . لكن اتجلترا أمعانا فى اذلال الفرنسيين دفعت الاتراك الى أن يطلبوا جلاء الفرنسيين بلا شرط أو قيد . . مما دفع بالفرنسيين الى أن يرفضوا المعاهدة ، ويصرون على القتال، ويهاجمون الاتراك ، ويحتلون العريش فى ٢٠ مارس عام ١٨٠٠ . ويقولون أن كليبر انتفض ( وبدأ يمج كالجمل الهائج ) (١) . . وعلى أية حال فلم يستفد الفرنسيون من ذلك ، وعادوا لتفاوض للجلاء من جديد . . وقد تم الجلاء عن مصر فى أكتوبر عام ١٨٠١ .

والواقع أنه على الرغم من قصر الفترة التى قضاها الفرنسيون فى مصر فإن سياسة الجنرال بوناپرت وخلفائه قد تميزت بشيئين اثنين :

- أولهما : سياسته ازاء دير سانت كاترين .
- وثانيهما : سياسته ازاء الحج .

أما بالنسبة للدير ، فقد كان به خمسون راهبا أيام الجنرال بوناپرت ، وقد أصدر فى ١٩ نوفمبر قرارا الفرض منه حماية الدير ومن فيه . وقد أورد هذا القرار إبراهيم أمين غالى نقلا عن كتاب ( تاريخ نابليون الاول ) لمؤلفه لوفرى . وهذا المؤلف ذكر أن الجنرال بوناپرت زار الدير فى ديسمبر ١٧٩٨ ووقع على القرار بثوقيه .

وفى كتاب الجنرال بوناپرت فى مصر تأليف كريستوفر هيروولد وترجمة فؤاد اندراوس ذكر أن بوناپرت أول ما ذهب الى سيناء ، ذهب الى عيون موسى . ويقول الكتاب أن وفدا من الطور جاء الى الجنرال بوناپرت ليضمن سلامة قوافل الفحم الى القاهرة .

(١) اقرأ مذكرات تيقولا الترك فيها وصف لهذا الوقت .

وقد وصف وفد الطور الجنرال بوناپرت يقولهم : ( ان ذراعاه قوية  
وكلماته حلوة ) .

وكانت الامتيازات التي منحها لرهبان دير سانت كاترين ، في  
حقيقتها امتيازات سيادة .

وقيل أيضا أنه في أيام الجنرال كليبر عام ١٨٠٠ ارسل  
خبراء الى الدير ، حيث أوصوا بترميم الدير واصلاح حوائطه  
المهدمة ، وأصدر أوامر مشددة بحماية الرهبان .

أما سياسة كليبر ازاء الحج فقد دلت على أن اهتمام كليبر  
بالحج لم يكن بأقل اهتماما من الدير . لكن قلة الاموال لم تسعف  
بسفر الحمل ، ثم أن الظروف العسكرية بين الفرنسيين والأتراك  
لم تكن مواتية .



## الفصل الثالث

### شيء من التاريخ الحديث





فى عصر والى مصر مصر من قبل العثمانيين محمد على باشا ،

كانت سيناء اداريا مقسمه كالاتى : فمدينة الطور تتبع محافظة السويس اداريا . وقلعة نخل كانت ملحقة بالترزنامة بالمالية المصرية . والعريش كانت تابعة لديوان شئون الداخلية فى مصر وحين غزا ابراهيم باشا بن محمد على سورية ، تطلب من مصر أن تكون سيناء طريقا مهيدا أو سهلا للمواصلات بين شقى القطر الواحد . فكان ترميم آبار قطية ، وبير العبد ، وبئر الشيخ زويد . وأنشئ بريد منتظم بين القاهرة وغزة على الجمال .

والواقع ان ابراهيم فى حملته على سورية قد اتخذ الطريق التالى : الموقع الذى عليه مدينة القنطرة الآن ، ثم الى قطية ، وبير العبد ، وبئر المدار . والسويس والشيخ زويد ، وخان يونس . وقد عنيت مصر على هذه الاماكن حاميات للحراسة .

#### هذا من ناحية سيناء الشمالية .

اما من ناحية سيناء الجنوبية فقد جرى اهتمام آخر . لكنه على أية حال لم يعادل الاهتمام بسيناء الشمالية . وهذا يعود الى ان محمد على دخل فى حرب مع الوهابيين ، وانه اذا سار بجبوشه فى طريق سيناء الجنوبية فقد تعوقه قلعة الماء من ناحية وطول المسافة من ناحية اخرى ، ولذلك اتجه الى طريق البحر الاحمر من قنا والقصير عبر البحر الى ينبع .

على أنفى اثر هزيمة السلطان العثمانى فى عام ١٨٣٩ فى موقعة

نصيبين ، فرضت الدول الأوروبية تسوية مع محمد على ، بمقتضاها يعترف له السلطان ولذريته من بعده بولاية مصر ، على أن تجلو جيوش محمد على من سورية وفلسطين . وانكمشت امبراطورية محمد على بحيث صارت الولاية العثمانية تضم مصر بحدودها القديمة .

وكانت سيناء بالطبع ضمن حدود مصر . وكان أهم ما فيها بالنسبة لمحمد على هو طريق الحج ولذلك قامت بتأمين المرور في شبه الجزيرة . كما قامت بإنشاء بعض المراكز على الساحل الشوفى ، وهى طابا ، والمويلح والعفة .

وجدير بالذكر أنه فى عهد محمد على ، وبسبب انقضاى بعض العربان على جيش إبراهيم باشا وهو عائد من سورية ، فنهبت محطات البريد فى الشيخ زويد وبئر المنار . . أقبل بسبب ذلك كلفت السلطات المصرية عرب الهنادى فى مصر القيام بحملة ضد هؤلاء العربان . . وبذلك استتب الأمن على طول الطريق الساحلى حتى خان يونس .

والواقع أن محمد على اهتم بسيناء اهتماما كبيرا ، ومنذ عام ١٨٢٠ . . وهو العام الذى وقعت فيه الصدامات بين قبيلتى اللحيوان والمعازة . ثم انه فى عام ١٨٣٠ أرسل فرقتين من الجيش بسبب ما حدث فى العريش ، حيث انقض عرب الارتيدات على قافلة تحمل البضائع . وكان لهاتين الفرقتين أثرهما فى استتباب الأمن . وفى عام ١٨٣١ عزل محمد على « غطاس أغا » محافظ السويس لاستبداده ببعض القبائل ، ومنها قبيلة سليمان .

والواقع - وكما يذكر إبراهيم أمين غالى - أن سيناء فى عهد محمد على بدأت العيون تتجه إليها . . كما أن محمد على ظل يحمى قوافل التجارة والحج عبرها طوال حكمه ، وحكم من

سبقة حتى صرف النظر عن طريق الحج عام ١٨٨٥ واتخذ الحجاج طريق البحر الاحمر ..

والحقيقة أن خلفاء محمد على سار على نهجه في سيناء من ناحية الاهتمام بشبه الجزيرة .

فعباس الاول مد طريقا من الطور الى جبل موسى ، وطريقا آخر الى جبل طلعة غربى جبل موسى ، وشيد قصرا فخما على قمة الجبل .

وسعيد باشا انشا محجر الطور للحجاج عام ١٨٥٨ ، جنوبى مدينة الطور .

وفي عهد اسماعيل باشا بدأت البعثات العالمية تتوالى على سيناء ، ابتداء من عام ١٨٦٣ . وبعد حفر قناة السويس في عهده عام ١٨٦٩ ، انشئت مدينة القنطرة وقد انشا انقنطرة بعض التجار الوافدين من العريش ، وغزة والصالحية . وبدأت

باكواخ قليلة من الخشب ، ثم صارت هذه المدينة مركزا تجليا لبيع المون الى العمال الذين عملوا في حفر قناة السويس . ثم بنى فيها محجرا للحيوانات القادمة من الشام لبيعها في مصر .

وفي عهد الخديو توفيق اندلعت ثورة الزعيم أحمد عرابى ، واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ ، وقد كان لذلك صداه في سيناء حيث قتل في سيناء المستر ادوين بالمر ، الذى أرسله الانجليز الى شبه الجزيرة .

وعلى ذكر المستر بالمر ، نذكر أن عرب سيناء عرفوه باسم عبد الله افندى ، وكان الرجل يتحدث العربية ، وعمل استاذاً في كيمبرج ، وبحيث عن الآثار في اورشليم واقام في فلسطين فترة . فحين قام عرابى بثورة عام ١٨٨٢ كانت انجلترا ترنو الى احتلال مصر . لكن ثورة عرابى كان معناها قطع الطريق عليها .

وخشيت بريطانيا على أطماعها الاستعمارية ، فدخلت بأسطولها وجيشها للقضاء على ثورة عرابي . وضرب الاسطول البريطاني الاسكندرية . ثم خشي الانجليز أن تحل بهم الهزيمة لأن العرابيين كانوا قد استعدوا باستحكامات كثيرة ، فعولوا على أن يدخلوا البلاد من طريق السويس . لكنهم كانوا يتوجسون من طريق السويس . لأنهم خشوا أن يردم عرابي قناة السويس ، فيسد الباب أمام الاسطول الانجليزي . هذا الى خوفهم من عرب سيناء على طول القناة وحتى مديرية الشرقية . فقام كان من المعروف أنهم موالون للزعيم عرابي . وعددهم كان يزيد على الثلاثين ألف فارس مدربين على السلاح . بمعنى أن الجيش الانجليزي اوسلك طريق القناة فسيكون بين نارين : نار الجيش العرابي من جهة ، ونار العربان من جهة اخرى .

ولذلك اخذ الانجليز يتدبرون أمرهم .

أما مسألة القناة فقد تكفل لهم بها فردناند دي ليسبس ، إذ أقنع عرابي بعدم ردم القناة ، وفي مقابل ذلك أعطاه عهداً به لن يسمح للأسطول البريطاني بالمرور من قناة السويس . كما يقول « عبد الرحمن الرافعي في كتابه عن « الثورة العربية والاحتلال الانجليزي » .

وأما مسألة عرب سيناء فقد دبر لها الانجليز خطة ، وهي « التي تكفل بتنفيذها ادوين بالمر في سيناء . بالإضافة الى استمالة عرب غربي القناة ، كما يقول المستر يلنت في كتابه « التلويح السري للاحتلال » .

وتقول الرواية أن وزارة الحرب البريطانية طلبت من بالمر أن يغير ملبسسه ، ويذهب الى سيناء في ملابس عربية ليؤلب عرب سيناء على أحمد عرابي . وذهب بالمر الى يافا ، وتسمى

باسم عبد الله أفندي وأطلق لحيته ووضع على رأسه طربوشا ،  
وادعى الاسلام .

وفي يافا تعرف بأحد الاعراب ، واتخذ دليلا ، وذهب  
الى السويس عبر الصحراء ، وتعرف الى مشايخ القبائل ..  
ليدعواهم الى الانقضاء على عرابي لانه خارج على طاعة الخليفة  
العثماني ، سلطان المسلمين . وكان الخليفة قد اذاع بيانا يقول  
فيه : « ان عرابي خارج على الخلافة الاسلامية » .

ويقال ان بالمر ومعه الكثير من الاموال ما كاد يصل الى  
السويس حتى استطاع ان يزعزع تلك الجبهة الطويلة ، واعتقد  
الاعراب فعلا ان عرابي خارج على الخلافة ، فكفوا عن تأييده . بل  
ان بالمر اخذ يسير في سيناء ويشترى الجمال والخيول للجيش  
البريطاني ويدفع فيها بسخاء .

ونتيجة لتلك الجهود ونواامرات دخل الجيش البريطاني  
مصر واحتلها ، بعد هزيمة العربيين . وبقي بالمر في مركز القيادة  
البريطانية بالسويس لكنه لم يكن يدري عن مأساة قريبة  
ستحل به .

ففي يوم غادر السويس في رحلة الى سيناء ، وقد سحبه  
في هذه الرحلة ضابطان بريطانيان ، واتخذوا دليلا من العربان  
اسمه « أبو صفيح » . وساروا حتى جاوزوا عيون موسى ثم  
انقطعت اخبارهم .

واهتمت السلطات البريطانية بهذا الامر . واهتمت اكثر  
حين اقترن اختفاؤهم بقطع الخط التليفوني بين القنطرة  
والعريش . فارسل البريطانيون واحدا منهم ل يبحث عن الثلاثة ،  
لكنه لم يعد بمعلومات ذات قيمة .

وعادت السلطات بطنية ، فارسل القبطان « فوستا »

وكان له دراية بشئون العربان والبارية ، ويجيد العربية .. لكنه عاد مثل زميله .

وارسلت السلطات البريطانية بعثة ثالثة للبحث عن بالمر مؤلفة من الكولونيل وارن ومستر ويست القنصل في السويس ، فرجع وارن ، وهو يقول أنه يعتقد أن بالمر ورفيقه سيعودون بعد أسبوعين ، وأنهم على قيد الحياة .

ومضت أسابيع وبدأ البحث من جديد .. وعاد الكولونيل وارن بإنباء تقول أن العرب في سيناء اكتشفوا حقيقة بالمر ، وعرفوا أنه ليس مسلما ولا يدعو للخلافة الاسلامية فقتلوا بالمر ورفيقه عند نخل ، ونهبوا ما كان معهم من مال ومتاع . وأنه عثر على جثتين للقتل ، أما جثة بالمر فلم يعثر عليها (١) .

واهتمت السلطات البريطانية بحادث القتل . وهل هو مجرد النهب ، أم أنه يوجد في سيناء موالون لعراقي ؟ . وأن هذا خطر على الجيش البريطاني ، واهتمت وزارة الداخلية في مصر بذلك الأمر وارسلت الشيخ سلامة بن ابراهيم شديد شيخ العربان في مصر الى السويس . وتصادف في ذلك الوقت أن « أبو صفيح » الذي كان دليلا لبالمر قد ظهر في السويس فقبض عليه العرب وسلموه للقنصل البريطاني .. وقال أبو صفيح أن العرب هجموا على الثلاثة وقتلوهم . وقبض الانجليز على ٢٣ رجلا من بلو سيناء بتهمة القتل والتحريض عليه ، وقلموا للمحاكمة العسكرية التي تألفت في ظل الاحتلال فقضت على ١١ رجلا بالاعدام شسقا ، وعلى ١٢ بالليمان لمدة مختلفة . وقضت على اليوزباشي علي حسين ، محافظ قلعة نخل بالسجن سنة وتجريده من رتبته العسكرية وطرده من الخدمة العسكرية .

---

(١) أنظر كتاب سيناء . ( الأرض والحرب والبشر ) لسالم البستاني الفصل الخاص بنضال أهالي سيناء ضد الاحتلال البريطاني وأنظر كتاب نوم بك شقر الذي اعتبر مقتل بالمر حادث سطو .

والواقع ان سيناء بعد الاحتلال البريطانى لمصر ، تحولت الى مسار آخر ، من ناحية التبعية الادارية . فقد الحقت ببلاد التيه بنظارة الحربية . اداريا وماليا وعسكريا وجعلت تحت امرة مدير المخابرات بالقاهرة ، واشراف سردار الجيش المصرى والحقت منطقة الطور ببلاد التيه .. وصارت المنطقتان تحت امرة قومندان شبه جزيرة سيناء ، ومركزه نخل .. ذلك الموضع الهام الذى يحكم طرق المواصلات فى قلب سيناء . كما الحقت العريش بالداخلية المصرية ، وعين لها محافظ ملكى يعاونه بعض رجال الشرطة .

كما ادخلت سيناء فى الادارة القضائية المصرية ، بعد صدور لائحة ترتيب المحاكم الاهلية عام ١٨٨٣ ، وضمت الى اختصاص محكمة الزقازيق . اما محافظة السويس فقد ادخلت عام ١٨٨٤ ضمن دائرة اختصاص محكمة المنصورة ، الا ان هذا الاختصاص نقل الى محكمة الزقازيق عام ١٨٨٩ .

ثم انفردت الادارة الانجليزية بشئون سيناء ، واعتبرتها مركزا عسكريا لانها على الحدود . ووكلت الادارة الى مدير المحابر الذى لا يتلقى الاوامر الا من سردار الجيش المصرى وهو انجليزى . اما المسائل المالية فكانت من اختصاص سكرتير مالى الحربية كما ان المسائل الهندسية كانت تابعة لمدير أشغال الجيش المصرى .

ويقول ابراهيم أمين غالى ، أنه تولى الادارة المصرية الجنرال فرنسيس جرانفيل بين سنتى ١٨٨٥ و ١٨٩٢ . وفى عهده اُحيلت القلاع الحجازية من وزارة المالية الى الحرية .

وتتلخص التغييرات التى طرات على سيناء فى عهد خلفاء محمد على ، وفى أوائل عهد الاحتلال البريطانى ، انها جعلت سيناء كلها محافظة واحدة . ووضع نظام ادارى وقضائى ،

وانشئت نقط شرطة في الطور ، والشط ، والتوبيع ، ونخل ،  
والعريش ، ورفح ، والقصيصة ، ومشاش الكتيلة ، والشمدة .  
كما خصصت الرواتب لمشايع القبائل بغية اكتساب ولائها .  
الا ان ذلك لم يمنع الكثير من الصدامات بين القبائل .



في اواخر القرن التاسع عشر واولئل القرن العشرين . . لم  
تصبح سيناء حدودا مصرية فقط ، ومعبرا للقوات العسكرية  
فحسب . بل صارت هي البطل ، وهي المنطلق . . أو النجم  
الذي ارتفع في السماء العربية .

وقد اثار الباب العالي مع مصر مشكلتين بسبب سيناء ،  
خرجت منها سيناء مصرية رافعة رأسها عاليا . .

ففى ٨ أبريل ١٨٩٢ ، وهو تاريخ صدور فرمان بتولية  
عبداس حلمى الثانى ، كان هذا فرمان قد أحدث أزمة حول  
سيناء ، لأنه هو مخالف لما سبقه من قرارات التولية ، ومن  
احكام معاهدة لندن . فالباب العالي حاول ادخال بعض التعديلات  
على الحدود المصرية من ناحية سيناء .

لكن الحكومة البريطانية لم توافق على حدوث تغييرات في  
الحدود . وقد بادر لورد كرومر بإرسال خطاب الى تجسران  
باشا وزير خارجية تركيا يقول فيه : « معلوم لدى سعادتكم بأنه  
لا يمكن حدوث تغيير في القرارات المقررة بها الصلات بين الباب  
العالي ومصر بدون رضا حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى .  
وبناء على تلك الاسباب ، وكل الى أن أوجه أنظاركم الى  
ما ذكر بالفرمان الحاضر ، من تحديد تخوم مخالفة لما جاء في  
الفرمان الصادر لسمو الخديو السابق . واذا قرئ على حصة  
يفهم منه أن شبه جزيرة سيناء تكون ادارتها تابعة في الاستقبال  
الى ولاية الحجاز ، لا الى الخديوية المصرية » .



وجدير بالذكر أنه قد جاءت مصلحة بريطانيا ٠٠٠ مطابقة للمصالح المصرية في ذلك الوقت .. وأنتهت الازمة بالاعتراف الصريح بأن شبه الجزيرة جزء من الولاية الخديوية ، لا يجوز اى تعديل فيها بدون موافقة الدول الموقعة على معاهدة لندن الضامنة لبقاء الاوضاع التى تقررت بالنسبة للحدود بين مصر وتركيا .

والحقيقة أن الباب العالى قد « بلغ » ما حاوله بالنسبة للفرمان الخديوية في ٧ يناير ١٨٩٢ .. وانتظر متحينا فرصة أخرى . واعقب تلك الازمة زيادة الخديو عباس حلمي الثاني للطور عام ١٨٩٦ ، فزار جامعتها ومحجرها وحمام موسى . كما قام بإزالة العريش ١٨٩٨ ، وتابع رحلته الى أن وصل للحدود المصرية عند رفح . وسجل محافظ العريش هذه الزيارة على عمودى الحدود الفاصلة بين المتصرفية الفلسطينية ومصر . فنقش على عمود الحدود المواجهة لمصر :

« في يوم السبت المبارك ١٢ شوال سنة ١٢١٥ و ٥ مارس سنة ١٨٩٨ اشرقت شمس طلعة الجنب الاعظم ولى النعم سمو عباس حلمي الثاني الافخم فى سماء الحدود المصرية ، فكتبت هذه العلامة الكائنة برفح » .

وجدير بالذكر أن عباس باشا جدد جامع العريش ، ورمم بئر قطية ، وحفر بئرا جديدا عند النبی یاسر على ساحل العريش .

لكن فى بداية القرن العشرين تطورت الامور فى مصر ، كما تطورت نظرة تركيا الى أهمية مصر ، فضلا عما حدث فى مصر من تطور فى الحركة الوطنية التى ساعد على اشتعالها مجيء جمال الدين الافغانى الى مصر .. وظهور ما يعرف باسم « الجامعة الاسلامية » .

ولقد ظهرت دعوة مصطفى كامل والحزب الوطنى .. لتقول

ان انجلترا التى تحتل مصر هى الخطر الحقيقى على مستقل مصر ، اما الباب العالى ، وعلى رأسه خليفة المسلمين ، فيجب أن يكون التحالف الحقيقى معه ، ليكون عوناً على تحرير العالم الاسلامى من نير الاستعمار .

وتركيا من جانبها شجعت تلك الحركة بهدف استعادة نفوذها فى مصر . ومما يذكر ذلك ما جاء فى مذكرات احمد شفيق باشا ، من عباس باشا .. الذى حاول ان يتقدم عليه فى البروتوكول . هذا باضافة الى قيام الاتراك بانشاء نقطة عسكرية عند القصيمة ، وأخرى فى الكوتيللا ، وكلا الموقعين داخلين فى حلاود سيناء بالطبع وكما أن السلطان العثمانى - وهذا يفصح عن نوايا الاتراك - انشأ قائممقامية فى بير سبع القريبة من سيناء عام ١٨٩٩ .

ونتيجة لذلك رأت الحكومة المصرية أن تطلب من حكومة الباب العالى تعيين لجنة مختلطة من المصريين والاتراك لتحديد الحدود بين سيناء والممتلكات العثمانية فى الحجاز والشام ، خاصة بعد رحلة ( براملى ) الانجليزى ، الذى ذهب الى سيناء وشاهد على الطبيعة محاولات الاتراك .. للدرجة أنهم وضعوا فى العقبة حامية بقيادة رشدى باشا ، برتبة لواء .. واعتبروا أن طابا من حدود العقبة .

**لكن تستجب الحكومة العثمانية لاقتراح اللجنة ..**

ونتيجة لذلك أرسلت مصر حملة برئاسة سعد بك رفعت قومندان سيناء - كما يذكر نعيم شقير - ومعهم براملى ، لاحتلال طابا « لكن قومندان سيناء لم يستطع النزول الى طابا »<sup>١٠١</sup>

هذا التحرك المصرى فى سيناء ، جعل الصدر الاعظم يرسل

برقية الى عباس باشا في ١٩ ابريل ١٨٩٢ ، يرجوه فيها بالآ يحدث تصادما بين جنود سعد بك رفعت وبين الحامية التركية في طابا . ويقول له كما جاء في نص الرسالة التي اوردها احمد شفيق باشا ، ما يلي :

« . . . ومن حيث أن هذه الحالة ربما جاءت بنتيجة قد لا تتفق مع الرضا العالي ، ومن حيث أنه يفهم انكم لم تعطوا تنبيهات من قبلكم ، فنرجو حميتكم وديانتكم أعلم بهما ، العمل بسرعة على ملافاة هذه الحالة » .

وقد كان الانراك يريدون احراج عباس باشا ، واجباره على الاصطدام بالانجليز ، والا يفقد شعبيته . . خاصة وان مصطفى كامل والحزب الوطني كانت وجهة نظره تتفق مع وجهة نظر الباب العالي .

وقد رد عباس على الصدر الاعظم - كما يقول احمد باشا شفيق - « بأن استدعى بطرس غالى باشا بوتفاهم معه . ثم تقرر سحب القوة المصرية من طابا الى جزيرة فرعون . وأرسل الى الصدر الاعظم خطابا يؤكد فيه أن طابا من الحدود المصرية ، ويطلب منه ارسال مندوب من قبله ليتفق مع المندوب المصري على تعيين الحد الفاصل بين الحدود . . لكي لا يحدث تصادم في المستقبل .

ويرسل الباب العالي برقية يقول فيها بخبت « لعدم وجود خلاف بنقطة طابا المجاورة للمقبة ، فلا محل لتعيين خط فاصل ، ونرجو بذل همتكم في منع الخطر الذي يحدث في انشاء نقطة عسكرية هناك » .

والواقع انه من خلال المراسلات بين الباب وعباس حلمي - تلك التي فصلها نعوم بك شقير - ظهر أن لتركيا اطمئنا في

طابا ، بل أطاعا في شبه جزيرة سيناء كلها ، أو جزء منها على الأقل . وهذا مما اقلق الانجليز ، ودفعهم الى ان يرسلوا البارجة « دبانا » الى العقبة في ١٤ فبراير ١٩٠٦ لتخريف الباب العالي ، كما أرسلت بريطانيا البارجة « مينيرفا » الى رفح ، بعد أن جاءت القوات التركية ، وأقامت في رفح فتيرة . بل ان البريطانيين لكي يرهبوا الباب العالي ، قاموا بمظاهرة بحرية امام الشواطئ التركية نفسها .

وقد كان من نتيجة تحرك بريطانيا السياسي والعسكري ، ان أرسلت تركيا الى مصر ، لتفاوض معها . وقبل الخديو مبدأ التفاوض . وكما يقول دكتور يونان لبيب رزق في بحث له عن « ازمة العقبة » المنشور بالمجلة التاريخية المصرية ان تركيا حاولت بكل وسيلة سلخ سيناء عن السيادة المصرية ..

وقد تم ارسال وفود كثيرة بالتبادل بين مصر والامانة ، وفي مايو ١٩٠٦ أرسلت بريطانيا اندادا الى الحكومة التركية تدعوا فيه الى اخلاء طابا في مدة اقصاها عشرة ايام ، بالاضافة الى عودة الجنود الاتراك في رفح الى الحدود القديمة ، واعادة الاعمدة على الحدود في رفح ، تلك التي كانت قد انتزعتها القوات التركية عندما نزلت في رفح ، وهي اعمدة تحدد الحدود ، واعمدة تلغراف .

وقد رضخت تركيا في ١٣ مايو ١٩٠٦ . وبعث توفيق باشا ، الصدر الاعظم رسالة جاء فيها ان : « اخلاء طابا قد تقرر ، وصدرت الاوامر بذلك » . وانه قد قرر الرأي على ان الضباط اركان حرب الموجودين الان في العقبة ، والموظفين المتدربين من قبل سمو الخديو يعمرن معا في الامكنة اللازمة ، ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطبوغرافية ، ويعينوا على خريطة ، النقاط الطبيعية التي يكون بها ضمان

الحالة الحاضرة ، وبقاء القديم على قدمه في شبه الجزيرة ، وان يرسموا خطا للحدود ، يبتدىء من رفح بقرب العريش ، ويتجه جنوبا بشرق على خط مستقيم تقريبا الى نقطة خليج العقبة ، تبعد على الأقل ثلاثة أميال من العقبة » .

وبعد جلسات ومناقشات ، امتدت من ٨ الى ٢٢ يولية ، نوقشت المشروعات والاقتراحات ووجهات النظر ، ثم رجعت اللجان الى حكومتها في ١٣ سبتمبر ١٩٠٦ وتم الاتفاق بين حكومة مصر وحكومة تركيا على الآتى :

- النقب من رأس طابا الشرقى الى نقطة المفرق يسكون للعقبة اما المفرق نفسه وأبواب ما بين عين قديس والقديرات والقسيمة فتكون لسيناء ، وبذا يكون خط الحدود من المفرق الى رفح خطا مستقيما ، كما اقترحته اللجنة المصرية .

- تقام أعمدة على طول خط الحدود للدلالة عليها بحضور مندوبين عن الجانبين .

وفي أول أكتوبر ١٩٠٦ وقع مندوبا اللواتين على الاتفاق على خط الحدود . وقد ظلت هذه الحدود هي حدود مصر الثابتة ، لتنفرج بعدها أزمة طابا ، أو حادثة طابا .. كما سمها الصحف المعاصرة .. أو أزمة العقبة ، كما سمها الوثائق السرية البريطانية المعاصرة .

وقد اجتذبت الأزمة - أزمة طابا - الراى العام المصرى . الذى انقسم آراءها ، كما يقول د. أحمد عبد الرحمن مصطفى فى بحث له بعنوان « حادثة طابا ١٩٠٦ » ، فى مجلة الهلال بتاريخ يونية ١٩٧١ ..

فالبعض من دعاة حركة الجامعة الاسلامية ، ساندوا

الحكومة العثمانية من قبيل الولاء للسلطان العثماني ، الذي كان لا يزال صاحب السيادة على مصر .

ورأى آخر انه لا يجب التنازل للسلطان عن أى جزء من الاراضى المصرية ، بحكم أن مصر مقيض لها ان عاجلا وان أجلا أن تستقل عن كل من إنجلترا وتركيا .

لكن .. أبدى معظم المصريين استعدادهم للتضحية بمصالحهم الخاصة فى سبيل التعبير عن كرههم للاحتلال البريطانى .

ومن الذين وقفوا بجانب تركيا .. مصطفى كامل ورفاقه الذين اجتمعوا .. وكان هذا الاجتماع يعتبر بمثابة نشأة الحزب الوطنى ، وقد رفض مصطفى كامل الاعتراف بحق إنجلترا فى حماية مصر ، وطالبها بسرعة الجلاء ، ووقف الى جانب تركيا مدافعا عن دولة الخلافة جهد ضاوته .. ضد الخديو عباس .

وقد أوضح مصطفى كامل موقف الخديو عباس من حادثة طابا ، فقال :

« منذ بضع سنوات دب اليأس فى قلب الخديوى ، بعد أن سلبه كرومر كل سلطة سياسية ، فاتجه الى محاوله جمع المال . وكان باستمرار محبا لجمع المال . ثم وقع تحت تأثير الملك ادوارد الذى أفهمه أن حياته ستخلو من المتاعب ، وأنه سيسمح له بالانزواء اذا لم يثر أية متاعب فى وجه كرومر لهذا ترك كرومر يفعل مايشاء . وظل على هذا الاتجاه حتى عام ١٩٠٦ حين اصطدم كرومر بالسلطان فى حادثة طابا . وكان الخديوى خلال المرحلة الاولى من الازمة مطواما . لكن حين قدمت إنجلترا انذارها ، وبدا أن مصر كلها تساند السلطان ، بل بدا أن الفلاحين فى القرية يعلنون تفضيلهم سوء حكومة السلطان على الطغيان الانجليزى ، بدأ عباس يتأمل ويفكر » .

والحقيقة أن انقسام الرأي العام المصرى خلال أزمة طابا ، أدى الى ظهور حزب الامة ، والحزب الوطنى . كما انه - كما ذكرنا - أدى اعتراف تركيا بخط الحدود المصرية من رفع الى راس خليج العقبة ، الى الاعتراف بمصرية الساحل العربى لهذا الخليج من النقطة الواقعة غرب العقبة وبثلاثة أميال الى مدخله فى الجنوب . وكانت تركيا حين نشأت الازمة تود الاستيلاء على خليج العقبة ، وتصر على أن الحدود المصرية تمتد من العريش الى السويس . ولما نراجعت . . وتنازلت عن السويس ، لنمد خط هذه الحدود بين رفع ورأس محمد . ثم ما لبثت أن أقرت الحقيقة التاريخية الخاصة بأن سيناء جزء لا يتجزأ من مصر . ولو تحققت الادعاءات التركية ، لتم تهديد قناة السويس، ولتم التنازل عن حقوق مصر التاريخية المقررة على الساحل الغربى لخليج العقبة .

لكن . . تركيا لم تتخل نهائيا عن الاهداف التى من أجلها أثارَت حادثة طابا . . فلما كانت قد انضمت الى ألمانيا ضد انجلترا وحلفائها أثناء الحرب العالمية الاولى ، فانها أرسلت قواتها فى فبراير ١٩١٥ الى قناة السويس . . املا فى احتلال مصر ، واملا فى ثورة المصريين على الاستعمار البريطانى .

وقد اشترك فى الحملة التركية كل من كانوا فى الاستيلاء من المصريين - بعضهم متطوعون يشتركون فى الاعمال الحربية ، والبعض الآخر كملحقين للقيام باعمال مختلفة كالتموين والترجمة - وكان من المقرر أن يتولى الخديو عباس - والذي خلعه الانجليز فى أوائل الحرب - قيادة الحملة على مصر ، وأن يدخل البلاد على راس الجيش الفاتح ، ويأحتفل بالانتصار العظيم . يصحبه محمد فريد رئيس الحزب الوطنى وقتئذ ، والذي كان قد تصالح مع الخديوى للتضافر معه فى خدمة الوطن .

بل . . لقد تعرضت مصر للهجوم من ناحية الغرب ، من

جهة ليبيا ، فقد قام السيد أحمد الشريف ، تحت ضغط الضباط الاتراك والامان الذين جاءوا عام ١٩١٥ لاثارة برقة للقيام بحملة عسكرية على مصر .. القصد منها ارغام الانجليز على القتال على حدود مصر الغربية ، ليخلوا الجو للاتراك على الحدود الشرقية ..

لكن .. فشل الهجوم على مصر ، سواء من ناحيتها الشرقية او الغربية .. وما لبث الانجليز ان جعلوا من مصر القاعدة الرئيسية للقضاء على النفوذ التركي في الشرق العربي .

وهذه بعض الملامح من تاريخ سيناء .. وبعض الملامح ايضا التي حاولت فصل اجزاء منها .. تكن سيناء ظلت ارض مصرية لحما ودما وترابا ورملا .



## الفصل الرابع

### سيناء .. والصهيونية

### أول مواقف مصر ضد المطامع الصهيونية



فى كتابنا «اليهود والحركة الصهيونية فى مصر» الصادر فى  
يونية ١٩٦٩ .. ذكرنا ان البداية الحقيقية للحركة الصهيونية ،  
جاءت فى عام ١٨٩٧ .. ففى هذا العام انعقد اول مؤتمر فى مدينة  
بال السويسرية .

وهذه الحركة الصهيونية ، يعود الفضل فيها الى مؤسسها  
تيودور هيرتزل ، وهو صحفى صهيونى عاش فى النمسا ، وهو  
ايضا الذى استطاع ان يدعو الى الحركة الصهيونية ، حتى نجح  
فى عقد المؤتمر الصهيونى الاول فى سويسرا . وهو الذى خطب فى  
اول مؤتمر صهيونى قائلا : « اننا هنا نضع حجر الاساس فى بناء  
البيت » الذى سوف يودى الامة اليهودية » .

وتيودور هيرتزل هو صاحب كتاب « دير جودنشات » ..  
اى الدولة اليهودية .. وقد ابرز فيه كيف ان اليهود لا بد لهم من  
دولة ، وان تكون هذه الدولة فى ارض الميعاد ، فلسطين .

وهذا « البيت » الذى قصده تيودور هيرتزل فى خطابه الى  
المؤتمر الصهيونى الاول .. هو فلسطين بالطبع .. وعلى الصهاينة  
ان يعملوا لتأسيس الوطن القومى اليهودى .

ويقول محمد فيصل عبد المنعم فى كتابه « فلسطين والغزو  
الصهيونى » :

كانت بداية بعث الحركة الصهيونية الحديثة المؤتمر  
الصهيونى الاول فى « بال » الذى اعقبه عدة مؤتمرات صهيونية  
.. انتهت الى اتخاذ القرارات الاساسية لتنظيم الحركة  
الصهيونية ، والتي يمكن عرضها اجمالا ، وبايجاز فيما يلى :  
١ - تشجيع استعمار فلسطين بواسطة عمال زراعيين  
وصناعيين من اليهود .

٢ - تنظيم يهود العالم وجمع شتاتهم بواسطة المؤسسات  
المطية والدولية .

٣ - تقوية وتنمية شعور اليهود الوطنى .

٤ - القيام بغساع لدى مختلف الحكومات للمحصلول على  
موافقتها على أهداف الحركة الصهيونية .

٥ - تكوين « الكيرين كايبيت » أو الصندوق القومى اليهودى  
لشراء أراضى فلسطين من أصحابها . وتكوين « الكيرين كيسود »  
للائفاق على عمليات تهجير اليهود - بعد تدريبهم الى فلسطين .

٦ - تأسيس شركة يهودية لشراء الأراضى الفلسطينية .

٧ - اعتبار اللغة العبرية الحديثة لغة التخاطب الرسمية  
للحركة الصهيونية .

وعلى هذه الأسس بدأت الحركة الصهيونية العمل .

لجأت الصهيونية الى القيصر غليوم الثانى ، وكانت  
الصهيونية تعرف ان له احلاما فى الشرق .. لكن رغم تعدد  
المحاولات رفض القيصر احلام الصهاينة ..

والواقع ان هيرتزل والصهيونية لم يطالب فى بادىء الامر  
بفلسطين .. فمن المعروف انه كانت هنالك أماكن بديلة مثل  
قبرص ، والارجنتين ، وأوغندة ، وكندا .. كأماكن لاقامة الدولة  
الصهيونية عليها .. لكن رغم هذه الاماكن ، فان فلسطين كانت  
هدفا اسمى . وكما يقول هيرتزل فى مذكراته : « انى افكر فى  
اعطاء الحركة هدفا اقليميا ، واترك صهيون « فلسطين » ليكون  
الهدف النهائى ، وربما استطعنا ان نطالب انجلترا بقبرص ،  
ونفكر فى جنوب افريقية وامريكا ، حتى تنحل تركيا ، وهذا  
افضل بكثير » .

وهذا يعنى .. أن تفكير اليهود فى فلسطين وإن كانت المطالبة بفلسطين غير ملائمة - فهى ، أى فلسطين ، فى النهاية كانت هدف الصهيونية النهائى والاخير لإقامة الدولة الصهيونية .

والحقيقة انه على أثر فشل هرتزل مع القيصر ، قرر أن يتجه مباشرة الى السلطان العثمانى ، باغرائه أن يتولى اليهود اصلاح ميزانية رجل أوروبا المريض .. كما عرض شراء أراض فلسطين بقرض كبير يعطى لتركيا ..

لكن كل هذه المحاولات صادفت الرفض والصد من جانب السلطان العثمانى .

وكما يقول محمد فيصل عبد المنعم ، ان معارضة السلطان عبد الحميد لبيع فلسطين لليهود ، انما كانت تتبع أساسا من المستوى المتهاك ، الذى كانت قد وصنت اليه الدولة العثمانية . فلم يتمكن السلطان من الوقوف رسميا وبصراحة الى جانب مشروع هرتزل .

وفى كتاب « اسرائيل هل هى سامية ؟ » للمؤلف محسب عمارة تدعيم لهذا رأى ، حيث يعتبر ان ضعف الدولة العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كان يفرض على دوائرها الرسمية أن تمنع فى استغلال الدين الاسلامى ، كمنقذ لها من المصير الرهيب الذى ينتظرها ، والانهيال الذى يلوح لها صباح مساء . فلقد كانت تحكم العرب ، لا لشيء الا لانها دولة مسلمة ، تستعبد الولايات العربية باسم الاسلام . وما كان لها أن تسحب الارض من تحت اقدامها ، وتهدم عسما بيديها بتفريطها فى فلسطين للصهيونيين ، لان هذه البقعة من الارض العربية ، انما تمثل بالنسبة للمسلمين أكثر من « مكان قومى » اذ أنها تعنى بالنسبة لروحانياتهم ، احدى القبلتين التى شرفت يوما بالتفاف قلوب المسلمين حولها عند الصلاة ،

واستقبال وجوههم لها ، وهم وقوف بين يدي الله . ولذا فما كان للاتراك الضعفاء المتهاككين على استغلال الدين الاسلامي . الساترين عوراتهم بفلالته أن يضربوا عرض الحائط بهذا الجور الروحي والقموي الذي يغلف علاقات العرب بفلسطين ، فيتخالفون صراحة مع الصهيونية .

وهذا يعني أن الاتراك كانوا على استعداد للتفريط في فلسطين .

على أن هيرتزل لم يئأس ..

فبعد أن فشل في اقناع سلطان تركيا باسكان اليهود في فلسطين والحصول على ترخيص لاستعمار يهودي في فلسطين ، ركز اهتمامه على انجلترا .

وكما يقول د . أنيس صايغ في تقديمه لترجمته « يوميات هيرتزل » ، ٠٠ أن هيرتزل كان يعي استحالة تحقيق هدفه بإنشاء دولة صهيونية على أرض فلسطين ، بدون أن يمهّد لذلك الإنشاء ، وبلون أن يدعم ذلك الإنشاء ويحميه بعد قيامه .. بالتعاون وثيق بين حركته الصهيونية الناشئة ، وبين بعض دول أوروبا . ٠٠ على أساس أن هذا التعاون يمكن الصهيونيين من تحقيق غرضهم وحماية دولتهم ، مثلما يمكن هذه الدولة الأوروبية التي ستساعده من تحقيق مصالحها وخدمة أهدافها الاستعمارية . السياسية أو الثقافية ، أو الاقتصادية ٠٠ في منطقة مهمة من العالم . وكما قال هيرتزل في كتابه « الدولة اليهودية » سنكون نحن جزءا من السور الأوروبية المرفوع في وجه آسيا . سنكون نحن في الصفوف الأولى من الجبهة ، وحماة المدنية وخفراءها ضد البربرية » .

واقوع أن الصهيونية في سبيل تحقيق هدفها طرقت كل الأبواب التي يمكن أن تساعد ٠٠ ففي نفس الوقت الذي بدأ فيه هيرتزل يطرق باب انجلترا ، كانت له اتصالات كثيرة مع كل

القوى، حتى المتصارع والمتنافر منها، مثل بسمارك، ورجال البلقان روما ، وقصر المانيا ، وآل روتشيلد ، وغيرهم من موطنى هذه الدول من اليهود . وفى كل اتصالاته مع هذه القوى ، كان - فى سبيل الوصول الى هدفه - يزعم ان الصهيونية تعمل لها وحدها ، بل انه كان يحرض هذه الدول ضد بعضها لصالح الحركة الصهيونية . لقد استخدم هيرتزل كل الوسائل لتحقيق الهدف ، حتى الرشوة . وفى البحث الذى كتبه الاستاذ صبرى ابو المجد على حلقات فى مجلة المصور خلال عام ١٩٧٨ بعنوان « الصراع العربى الاسرائيلى » نجد الكثير مما فعله هيرتزل ، وفعله خلفاؤه ، وما فعلته الصهيونية حتى استطاعت ان تحقق وعد بلفور اولا . ثم الدولة الصهيونية فى فلسطين استثمرا لهذا الوعد .



ان القصة طويلة ، وليس هنا مجالها .

وانما الذى يعيننا هنا سيناء وعلاقتها بالصهيونية .

فالصهيونية ازاء فشلها مع الذين حاولت معهم مساعدتها فى اقامة دولة فى فلسطين ، نقلت نشاطها الى بريطانيا ، والتي كانت لها فى ذلك الوقت تطلعات استعمارية واسعة النطاق فى منطقته الشرق الاسط الحالية . كما كانت تحتل مصر ، وتقبص على زمام الامور فيها ، وتلعب بحكامها كيفما تشاء .

وسيناء تبدأ علاقتها بالصهيونية فى صيف ١٩٠٢ .

وتقول جالينا نيكييتينا ، الكاتبة السوفيتية فى مؤلفها ( دولة اسرائيل ) انه فى عام ١٩٠٢ تصاون قادة الصهيونية مع الامبرياليين الانجليز . وفى هذا العام تقابل هيرتزل مع اللورد روتشيلد صاحب بنك لندن ، وعرض عليه « مخططا فلسطينيا » لانشاء مستعمرة يهودية فى الشرق الاوسط بمساعدة بريطانيا وفى خريف نفس العام تحدث هيرتزل مع جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانى ، والذى أبدى من جانبيه تفهما كاملا

للاضطلاق ، لان الاراضى الخالية فى سيناء كانت تهم الوزير الانجليزى لاسباب كثيرة . وفى نفس العام ذهبت الى شبه جزيرة سيناء بعثة من الخبراء الانجليز . غير أن المشروع الاستعماري اليهودى لفلسطين تحت رعاية انجلترا فشل بسبب موقف تركيا العدائى .

وهيرتزل لم يتجسرا مع بريطانيا ، الا لان الكثير من الاصدقاء البريطانيين شجعوه على ذلك . فقد لمس اصرارهم حين زيارته لبريطانيا فى نوفمبر ١٨٩٥ ، عندما تناول الغداء عند النائب البريطانى السير صمويل مونتاجو ، الذى كان يدعو الى فلسطين الكبرى .



ذهب هيرتزل الى لندن وكانت تحت حكم المحافظين . وكانت هذه الحكومة تشكو من سيل الهجرة اليهودية اليها ، على اثر المذابح التى حدثت لليهود فى اوربا . وهذه الهجرة اليهودية - بالطبع - تزيد عدد العاطلين فى بريطانيا . ولو وقفت حكومة المحافظين امام هذه الهجرة فستواجه مشاكل داخلية ، لان الراى العام البريطانى سيعارض فى ذلك . خاصة وأن انجلترا كان فيها الكثير من اليهود الذين يتعاطفون مع الحركة الصهيونية .

وقد بدأ هيرتزل هذه الفرصة ، حين اقترح على الحكومة البريطانية ، تحويل افواج اللاجئين اليهود الى قبرص ، بشرط أن تتنازل بريطانيا عن قبرص لليهود . . وكان هذا الاقتراح قد سبق عرضه على السلطان العثمانى . . وهو أن تتنازل بريطانيا عن قبرص للبواب العالى فى مقابل أن يرضى البواب العالى باعطاء فلسطين لليهود .

والحقيقة انه فى لندن تحرك هيرتزل سريعا . . فقد قابل لورد تشايلد ، وهو رجل مالى يهودى . . واتفق معه على الضغط



على الحكومة البريطانية . كما اتفق مع صحفي يهودى يعمل فى انجلترا هو جاكوب جرينبرج ، لكى يهد له لقاء مع جوزيف تشمبرلين . وكان جرينبرج هو أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية .

ولقد انتهى اللقاء بالاتفاق مع الحكومة البريطانية على استعمار منطقة العريش فى شبه جزيرة سيناء . على اعتبار أن منطقة العريش ستكون نقطة وثوب الصهاينة الى قبرص ، ومن قبرص الى فلسطين .. او وثوب الى فلسطين مباشرة .

والواقع أن رئيس الوزارة البريطانية آرثر جيمس بلفور فى ذلك الوقت ، قد وافق على استيطان منطقة العريش . وكان فى رايه ان هذا الاستيطان يخدم الامبراطورية البريطانية فى مد نفوذها الى فلسطين . ثم انه يحل مشكلة الهجرة اليهودية الى بريطانيا .

وبالفعل فان الحكومة البريطانية عرضت استعدادها لتزويد هيرتزل بكل التوصيات اللازمة الى اللورد كرومر ، رجلها فى مصر وكان مشروع العريش يقضى بمنح اليهود حق امتياز على الاراضى الواقعة فى شبه جزيرة سيناء والتى تحيط بمنطقة العريش ، فى مساحة ٦٣٠ ميلا مربعا .

وحول هذه النقطة ، ننقل هنا ما ورد فى « مذكرات هيرتزل » .. التى ترجمتها هيلدا شعبان صايغ .. فيما يختص بقاء هيرتزل مع تشمبرلين فى ٢٢ اكتوبر ١٩٠٢ ..

« ... بعد ذلك سرت الى عرض خطتى التى تبدأ بتهيئة الجو لصالحنا فى قبرص . يجب ان ندعى للذهاب هناك .. ان تأسسنا للشركة اليهودية الشرقية برأسمال قدره خمسة ملايين جنيه للاستيطان فى سيناء وانعريش ، سوف يحمل القبارصة على تمنى هذه الامطار الذهبية فى جزيرتهم ايضا » .

سيرحل المسلمون ، وسينتقل اليونانيون عن طيب خاطر ، بعد ان يبيعوا اراضيهم بأسعار جيدة الى اثينا وكريت .

ويضيف هيرتزل قائلا في مذكراته :

« وقد راقته - أي تشمبرلين - هذه الفكرة ، ولكنه قال انه لا يستطيع أن يقرر أى شيء بخصوص العريش أو سيناء ، لان الحكومة لابد ان تسمع الى رأى لورد كرومر فى الامر ، لانهم يحترمون رأيه كثيرا . ولكن لسوء الحظ لورد كرومر ليس هنا ، لقد ذهب الى مصر .. » .

ويستطرد هيرتزل فى مذكراته ، انه طلب من تشمبرلين أن يبعثه شخصا الى اللورد كرومر . وقد رد عليه تشمبرلين ، بأن هذا يستدعى الاتصال بوزارة الخارجية .

وقال هيرتزل لتشمبرلين : « هناك أراض خالية فى العريش وسيناء ، تستطيع انجلترا أن تعطينا اياها ، ويكون لها بدل ذلك زيادة فى قوتها وولاء عشرة ملايين يهودى . فبت له ذلك مما ترك أنرا فى نفسه . ثم جابته بالسؤال التالى : هل تقبل ان نقيم مستعمرة يهودية فى شبه جزيرة سيناء ؟ . وأجاب نعم اذا وضى اللورد كرومر بذلك .

وفى لقاء هيرتزل باللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا ، يصفه قائلا :

« ... استمع الى بكل لطف ، وسأل بعض الاسئلة ، ثم طلب الى أن أقدم له مذكرة خطية عن الامر .. وقال انه سيكتب الى اللورد كرومر شخصا ليطلب رأيه ، وذلك عندما قلت له اننى سأبعث بجرينبرج الى اللورد كرومر حالا . ثم ذكرنى ان لورد كرومر قد يكون ذهب الى الجنوب . واضاف انه مستعد ان يعطى جرينبرج رسالة تقديم الى لورد كرومر . »

## ويقول هيرتزل في مذكراته :

« بعثت جرينبرج الى مصر ، وقد وصلنى منه برقية من القاهرة ، انه قد وصل الى هناك منذ يومين ، وانه سيعود غدا . وان كل شيء على ما يرام . وعاد جرينبرج من القاهرة بنصر عام . لقد نجح في استمالة اللورد كرومر الى قضيتنا ، وايضا بطرس غالى باشا - وزير الخارجية المصرية - وبعض ذوى النفوذ الانجليز أمثال مستر بويل ، وكابتن هنتر » .



وتقول المذكرات ان هيرتزل بعث الى مصر لجنة عرفت باسم ( اللجنة الصهيونية ) لدراسة منطقة العريش . وقد تكونت هذه اللجنة من المهندس المعماري أوسكار مرموك . وليوبولد كسلر مهندس المناجم وج ه . ستيفنس مهندس الزراعة . وواربورج أحد خبراء الزراعة في فلسطين . ود . سوسكن المهندس الزراعي ومدير مزارع اليهود في فلسطين وجنينج - براملى من العاملين البريطانيين بالسودان . والكولونيل جولد سميث . وجرينبرج الذى كانت مهمته تقديم اللجنة الى اللورد كرومر .

وقد وصلت البعثة الى مصر فى ٣ فبراير ١٩٠٣ . وذهبت الى سيناء ، ومكثت فيها نحو شهر ، وفى ٢٦ مارس ١٩٠٣ انتهت اللجنة من اعداد تقريرها فى الاسماعيلية . وفى هذه الاثناء كان جرينبرج يتفاوض مع اللورد كرومر والحكومة المصرية للحصول على امتياز لانشاء شركة تقوم باستيطان اليهود لسيناء .

بل انه ، وكما جاء فى مذكرات هيرتزل ، فانه هو نفسه قد وصل مصر فى ٢٣ مارس ١٩٠٣ ، وزار اللورد كرومر بعد يومين من وصوله ، لكى يرتب معه الامور ومع الحكومة المصرية .

وقد سجل هيرتزل ما حدث يوما بيوم خلال هذه الفترة  
في مذكراته قائلا : القاهرة في ٢ ابريل :  
« كان أمس يوما خاويا . لا أدري اذا كان ذلك اليوم طيبا  
أم سيئا بالنسبة لنا . فمشروعى عن حق الامتياز في منطقة  
العريش كان جاهزا وموافقا عليه ، ولكن ماذا سيكون تأثيره على  
الحكومة المصرية » .

« اعتقد انه من الخطأ أننا عهدنا الى « مى الوريث » بمشروع  
جرينبرج ، لانه يحتوى على الكثير من التفاصيل . بينما مشروعى  
يتضمن القليل من التفاصيل ، ولا ملامح وقسمات المشروع غير  
العدائى ، باختصار . . . فلننتظر . . . »

القاهرة في ٣ ابريل :

« أمس وبعد غروب الشمس ، كنت مع جولد ساندز ،  
لدى « مى الوريث » واستقبلنا الاخير بملابس التنس . . . وكان  
عائدا لتوه من نادى الجزيرة الرياضى .

« فى هذه المرة قابلنا وهو يبدو عليه الشك فى أن مشروع  
الامتياز سيتاح له النجاح . ويبدو لى أن المستر برنيسانت  
ذلك الانجليزى الذى كان يرتدى الطربوش قد غير فكره ، وعلى  
أى حال ، فان المسألة لن تكون مسألة مشروع مقابل مباشرة ،  
وانما سيكون بحثها بواسطة مجلس الوزراء . . ان اتساع رقعة  
الأقليم الذى طالبنا به هو نقطة الاعتراض الاساسية . انهم  
يريدون أن يعطونا اراض ، ولكنهم لا يريدون اعطاءنا اقليما .

« وقلت . . . لكننا لا نقبل الا الحصول على اقليم موحد . .  
اننا لسنا من المضاربين العقاريين مثل الذين تجلبونهم فى مصر .  
« وقال جولد ساندز : ان الارض لا قيمة لها ، أن علينا  
أولا أن نفعل شيئا » .

« وقال مي الوريث : وما هي مدة العقد : خلال ٩٩ عاما ستفقد الحكومة المصرية حقها في ادارة الارض . ماذا لو أنكم لم تبدلوا الجهود الكافية لضمان النجاح ؟

« وكان ردى على مي الوريث : انه يمكن النص على ذلك في العقد . فالامتياز ممكن أن يلغى اذا لم تنجح بعد عشرين سنة في أن تستخدم مليونين من الجنيهات في الاستثمارات .

والحقيقة أن البعثة اليهودية التي ذهبت الى العريش ، وضعت تقريرا قالت فيه ان المنطقة في حالتها الراهنة لا يمكن السكنى فيها ، اما اذا توافر لها ثلثاء فيمكن السكنى فيها ، وقد حاول هذا التقرير - بخيت - ألا يلفت النظر الى ما في المنطقة من ثروات .. حتى لانرضى مصر ، لكن مصر رفضت مطالب البعثة الصهيونية ، وقد رفضها أيضا الورد كرومر .

وكانت وجهة نظر مصر تلخص في الآتى ، كما جاء في خطاب بطرس غالى باشا وزير الخارجية ، الى المستر جرينبرج في ٢٢ فبراير ١٩٠٣ .

« ان حكومة حضرة صاحب السمو الخديوى ، اخذت علما باقتراحاتكم بشأن الحصول على امتياز ، لانشاء شركة تقوم باستيطان اليهود في شبه جزيرة سيناء .. الا أن الحكومة المصرية لا تستطيع ، وفقا للفرامانات الشاهانية ، لاي سبب أو مبرر التنازل عن جزء أو كل من الحقوق المتعلقة بالسيادة . ولذا فانه يجب أن تستبعد بصفة قاطعة كل فكرة ترمى الى الحصول على اتفاقات من هذا النوع . ومع ذلك فاذا تكونت شركة وفقا للقوانين المصرية لاستغلال اراضى سيناء ، فلا ترى الحكومة المصرية مانعا من عرض الامر على مجلس الوزراء ، على أساس المبادئ الآتية التى يجب اعتبارها ثابتة لا نزاع فيها ..

وهذه المبادئ هي :

يشترط في الوافدين أن يكونوا من رعايا الدولة العلية ، وأن يمرر كل منهم ذلك كتابة ، وأن يقبل اختصاص المحاكم الأهلية والسلطات الادارية المصرية المطلق في جميع المسائل .

ويجب أن ترفق بهذا الاقرار شهادة من السلطات المختصة الوافد منها المهاجر تقرر فيها أن اكتسابه الجنسية العثمانية قانوني ، وانها لن تطالب بأي حق من حقوق مصر .. علما بأنه سيمرعى في تطبيق الاحوال الشخصية ، انشروط الخاضعة لها الملل غير الاسلامية « (١) » .

والواقع ان هذه الشروط التي وضعت بحذق ، والتي جاءت في خطاب بطرس غالي باشا ، قد سدت المنافذ أمام كل محاولة صهيونية لاستعمار منطقة العريش ، وللمحاولة الصهيونية اقامة دولة داخل دولة مصر .

وهذا الانتصار على مشروعات تيودور هيرتزل ، هو في الحقيقة أول موقف وقفته مصر ضد المطامع الصهيونية .. وضد آمال هيرتزل بصفة خاصة .

وجدير بالذكر أن هذا الخطاب لبئرس غالي باشا . أرسل منه نسخة الى الحكومة البريطانية . وقد قام بأرساله اللورد كرومر ..

وقد زاد اللورد كرومر على ذلك ، بأن أرسل خطابا برأيه الى اللورد سنودرز وكيل الخارجية البريطانية في ٢٨ مارس ١٩٠٣ يقول فيه :

« بخصوص موضوع مستعمرة يهودية في شبه جزيرة

---

(١) الخطابات المتبادلة بنصها الانجليزي موجودة في كتاب ( ميثاء المصرية )

سيناء ، ارسلت البعثة الفنية تقريرها - بعثة هيرتزل - واهم مشكلة أمام المشروع هي توفير المياه . وهناك اقتراح بأخذ الزائد من المياه في وقت الفضان ، وتوصيله من تحت قناة السويس بمسحارات - كما يقول تقرير البعثة - الا انه ليس في استطاعتى ابداء الراى فى هذا الخصوص ، قبل استشارة جارستن - وكيل وزارة الاشغال بالحكومة المصرية - وهو لن يعود قبل شهر . . »

وحين عاد سير وليام جارستن . . بحث المشروع مع المفتش العام لرى الوجهه البحرى . . وقد اتفقا معا على ان المشروع الصهيونى لا يمكن قبوله . . وقد قال جارستن ان توصيل مياه النيل الى وادى القوما من المشروعات غير العملية . وقال انه يتعارض مع مصالح الملاك المصريين .

ولدفن هذا المشروع الصهيونى ، ارسلت حكومة مصر - بعد تقرير جارستن - خطابا آخر ، بتوقيع بطرس غالى باشا الى المستر جرينبرج فى ١١ مايو ١٩٠٣ ، تعان فيه رفضها للمشروع . كما ارسل لورد كرومر الى لورد لانسدون بتقرير مفصل فى ١٤ مايو ١٩٠٣ قال فيه : « ارى بصعة قاطعة ونهائية انه يجب صرف النظر عن الموضوع » .

بل ان اللورد كرومر قال هذا الراى للكلونيل جولد سميت بمثل هيرتزل فى مصر ، بعد سفر البعثة الصهيونية .

على أن هيرتزل حتى هذه اللحظة لم ييأس فى تحقيق مشروعه فقد ارسل الى وزير الخارجية البريطانىة اللورد لانسدون خطابا فى ٥ يونية ١٩٠٣ يحوى آراء المهندس ستيفن ، احد اعضاء البعثة الصهيونية الى العريش ، حول مكانية استيطان مساحات شاسعة من سيناء . . تلك التى لم يفصح عنها فى البداية . لكن على نفسها جنت براقش كما يقولون : ولذلك فانه حين حاول أن يجعل اللورد لانسدون التوسط

مرة أخرى ، رفض لان الحكومة البريطانية كانت مقتنعة بوجهة النظر المصرية .

وعلى اثر ذلك كتب هيرتزل في مذكراته رسالة الى  
نورد روتشيلد في ٢٣ مايو ١٩٠٣ يقول له : « ... انهارت خطتي  
لسيناء بكاملها » .

وفي مذكرات هيرتزل ايضا بتاريخ ١٦ مايو كتب يقول :  
« ظننت ان خطة سيناء مؤكدة النجاح الى درجة اني ما عدت  
افكر في شراء مدفن للعائلة في مقبرة دويلنج ، حيث والدي مدفون  
مؤقتا . والآن اعتبر المشروع فاشلا الى درجة انني اتصلت  
بالمسؤولين ، وسأشتري المدفن رقم ٢٨ » .

وفي ٤ يونية ١٩٠٣ أيقن هيرتزل ان عليه ان ينسى مشروع  
العريش بصفة نهائية . ويدلنا على ذلك ما كتبه الى المورخ  
اليهودي الفرنسي « ريناخ » ينعي له مشروع العريش قائلا :

« يؤسفني ان أخبرك ان المشروع الذي كاد ان يجمع بيننا  
قد انهار . فنحن لن نعطى ما نحتاج اليه من ماء النيل . وانا  
أشعر بخجل من توصيل هذا الخبر السيء لزملاك ، الذين لا يد  
انه سرهم ان يروا مجالا للالتجاء مفتوحا امام التعساء الذين  
يهمونك » .

وهكذا لم يستطع هيرتزل قبل وفاته عام ١٩٠٤ ان يحقق  
ما كتبه في « الدولة اليهودية » عام ١٨٩٦ ، حيث ذكر : « امنحونا  
السيادة على قطعة من الكرة الارضية ، لها من المساحة ما يكفي  
لتلبية المتطلبات المشروعة ، ونحن مسوف نتدبر أمر الباقى  
بأنفسنا ... » .



## الفصل الخامس

### سنوات المعاناة

### سيناء .. وضع جديد



لا شك أن الاحتلال البريطاني لمصر كان يضر أمرا كبيرا ، وهو يتلاقى مع مصر ، فى الوقوف ضد محاولات الباب العالى ، حين أراد أن يقطع جزءا من سيناء ، بتغيير حدودها الدولية القديمة . . ثم حين وقف اللورد كرومر مع مصر ضد هيرتزل فى إقامة دولة صهيونية فى منطقة العريش \*

والواقع أن الاحتلال البريطانى لمصر ، لم يقف مع مصر من أجل سواد عيونها ، أو جوعا على مصالح الشعب المصرى . انه كان يخطط من أجل مصالحه \*

فالبريطانيون كانوا يرمون الى السيطرة على فلسطين ، والى السيطرة على قناة السويس ، والاخيرة هى الطريق الامثل الى دوة التاج البريطانى فى الهند ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان بريطانيا كانت ترى فى الكتلة الجغرافية العربية ، خطرا هائلا على مصالحها وعلى مصالح الدول الاستعمارية المشتركة معها فى عملية النهب المنظمة لموارد وخيرات افريقيا وآسيا . ويؤيد ذلك ( تقرير كامبل ) ، الذى وضع فى عام ١٩٠٧ ، وفيه انه اذا تكاملت للشعب العربى مقومات الترابط ، فان ذلك معناه ( ضربة ) قاصمة لعملية المد الاستعمارى \*

فتقرير كامبل - كما أورد منه بعض الفقرات ككتاب (فلسطين والغزو الصهيونى ) لمحمد عبد المنعم - يناشد الدول الاستعمارية: ( أن تعمل على استمرار المحافظة على وضع هذه المنطقة المجرأة ، متأخرة . وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وضرورة محاربة اتحاد هذه الجماهير أو ارتباطها بأى نوع من النلاقى الفكرى أو الروحى أو التاريخى ) \*

وكاجراء سريع ، أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى .  
أيضا فان بريطانيا كانت ترى أن ضم سيناء الى فلسطين ، تضع حدا فاصلا بين مصر وفلسطين ، وتمكن لبريطانيا مركزا قويا

في الشرق الاوسط ، مع اتصال سهل بين البحرين المتوسط والاحمر ، وقاعدة استراتيجية واسعة النطاق . .

وكما جاء في تقرير سكرتير الجنرال اللنبي الكولونيل ماينز تشاجن ، وفي مذكراته ، أن اللورد اللنبي أرسل بمذكرة الى لويد جورج ، يقول له فيها : ان من صفات ضم سيناء الى فلسطين ، أنه سيحبط أية محاولة مصرية لاجلاق قناة السويس في وجه الملاحة البريطانية . كما قال اللورد ماينز تشاجن ، ان ضم سيناء لن يثير أية قومية ضد الانجليز اذ أن البدو الرحل المقيمين فيها لا يتجاوزون بضعة آلاف ) . . !!

ويعلق محمد فيصل عبد المنعم على ذلك في حاشية كتابه ، فيقول : أخطأ الكولونيل ماينز تشاجن ، حين اعتقد أن ضم سيناء الى فلسطين لن يثير قضية قومية ، اذ أن الحكومة المصرية قاومت كل محاولة لفصل سيناء عن مصر - سواء بواسطة الانجليز أو السلطان التركي - وبذلك بقيت سيناء - وستبقى - أرضا مصرية خالصة ، كما كانت منذ أن عرف التاريخ .



نجت سيناء من محاولات الصهيونية ، حتى قبيل الحرب العالمية الاولى . ولكن ما أن قامت الحرب حتى تحولت سيناء الى ميدان كبير ، لعدة معارك عسكرية .

فعندما أعلنت الحرب ، دخلت جيوش تركيا شبه الجزيرة حتى وصلت الى قناة السويس ، فوجدت بريطانيا في قناة السويس حاجزا طبيعيا يسهل الدفاع عنه . وكان وصول القوات التركية الى ضفة القناة في يناير ١٩١٥ . ولقد حاولت عبور قناة السويس ومدت أحد الكبارى عند منطقة طوسون لكن القوات المصرية والبريطانية صدت الهجوم بقيادة الاميرالاي احمد حلمي . وقد كانت القوة التركية مكونة من ثلاث فرق - حوالي ١٢ ألف مقاتل ، بقيادة جمال باشا . . وكان القتال عنيفا تمكنت فيه

القوات المصرية والبريطانية من وقف الهجوم وفقد القائد المصري حياته في هذا الهجوم . لكن في أغسطس ١٩١٦ تقدم الجيش التركي عن طريق منطقة العريش ولثاني مرة هزم . وكانت قواته تربو على ٢٠ ألف مقاتل . كما يقول نادل غنيم في كتابه ( الحركة الوطنية الفلسطينية ) من ١٩١٧ إلى ١٩٣٦ .

ومنذ هذا التاريخ ظلت القوات التركية على ضفة فساة السويس، حتى بدأ الهجوم الكبير عليها ،والى أن استطاعت القوات البريطانية - فى نهاية عام ١٩١٨ - أن تسيطر على منطقة الشرق الأوسط بأسرها .

والقوات البريطانية فى عملية الهجوم على الجيش التركى استطاعت أن تمتد خط سكة حديد عبر سيناء . وشهدت سيناء نفسها نشاطا كبير ، لم تعده منذ أيام الحملة الفرنسية على مصر . وكما يقول عبد الرحمن الراعى . فان هذه الحرب كانت فرصة لبريطانيا ، لاستخدام حوالى مليون مصرى لصد الهجوم التركى . وأن المصريين قاموا بعمل جبار وراء خطوط الجيش البريطانى ،فقد قاموا بمد خطوط السكك الحديدية ، وبنوا الاستحكامات ، وحفروا الخنادق ، ونقلوا التموين والذخائر ، ومدوا أعمدة التلغراف .

والمواقع أن مصر قد ساعدت القوات البريطانية فى الحرب .. على أمل أن تعترف بريطانيا بالجميل ، وتجلوا بقواتها بعد انتهاء الحرب . لكن ، حينما انتهت الحرب أعلن الانتداب على فلسطين . وبالنسبة لسيناء ، فان سلطات الاحتلال البريطانى ضمت خط السكة الحديد ، الذى يمتد من القنطرة الى حيفا ، الى حكومة فلسطين ، واطلق على هذا الخط ، خط فلسطين . بل ان بريطانيا ظهرت على حقيقتها فى محاولة فصل سيناء عن مصر . فقد فرضت على المصريين الراغبين فى التنقل الى العريش او رفح أن يقدموا للسلطات جوازات سفرهم . لا على حدود فلسطين ، وإنما على

حدود الدلتا في القنطرة • ولذلك جعل للقنطرة جمر ك يمن فيه  
المصريون الذين يريدون الذهاب الى سيناء •

وهذا يعنى أن السلطات البريطانية حاولت ضم سيناء الى  
فلسطين ، وفصل سيناء عن مصر ، أو كما يقول صاحب كتاب  
( سيناء المصرية عبر التاريخ ) جعلت شبه جزيرة سيناء منطقة  
عازلة يمتد فيها النفوذ البريطاني ، لا من مصر صاحبها ، وإنما  
من فلسطين التي صدقت عصبة الامم على الانتداب البريطاني فيها  
في ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ •

وهذا - وكما أحسنا جميعا كمصريين - جعل من سيناء  
منطقة شبه محرمة علينا • وقد ظل هذا الوضع دون أن نتنبه اليه ،  
ودون أن نحاول مناقشته ، حتى جاء احتلال سيناء من قبل القوات  
الاسرائيلية في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ • فالذي كان يريد  
الوصول الى مدينة القنطرة شرق ، أو يحاول مغادرتها الى سيناء ••  
كأنه بالضبط قد غادر مصر من مطارها الدولي ، أو أحد موانئها •  
ولم يجر تصحيح هذا الوضع الا في السنوات الاخيرة من السبعينيات

ان الذى فطن الى ذلك هو الرئيس أنور السادات ، الذى كان  
قد زار سيناء في بداية عام ١٩٧٩ ، زيارة للاطلاع على ما يمكن أن  
تساهم به سيناء بالنسبة لاستراتيجية الامن الغذائي والتورة  
الخضراء • وقد ألقى أنور السادات القيود على تحرك المصريين من  
أهل سيناء وأهل الوادى • وقد أرقى القول بالفعل لعملية النذوب  
للحدود المصطنعة ، فضم بعض أراضى سيناء الى محافظات بور  
سعيد والاسماعيلية والقناة •



في عام ١٩٢٠ ، وفي مفاوضات سعد زغلول - ملتر ٥٠ وبعد  
قيام الثورة المصرية في مصر في عام ١٩١٩ •• حاول الاستعمار  
البريطاني أن يستقل بشبه جزيرة سيناء ، مبررا لذلك حماية المواصلات

الامبراطورية • بل حاول الاحتلال البريطاني أن ينص على الآتى :  
( ستحدد المعاهدة المكان الذى سستظل فيه القوات الامبراطورية  
دون أن تعتبر احتلال عسكريا ، ودون الاضرار بحقوق الحكومة  
المصرية ) • لكن الوفد أبدى تحفظا على هذا النص ، وطالب بتحديد  
المنطقة التى سترابط فيها القوات البريطانية ، وعددها ، والفترة  
المصرح لها بالبقاء ، وأن تكون تلك المنطقة فى شرق القناة •

وقد رفضت حكومة بريطانيا تلك ( التحديدات ) على أساس  
أن المواصلات الامبراطورية والدفاع عنها يتطلب أكثر من منطقة  
لرابطه القوات ••

وتجددت المحادثات فى عهد عدلى باشا فى عام ١٩٢١ ••  
وطالبت بريطانيا بأكثر مما طالبت فى محادثات سعد زغلول -  
ملنر • وكانت حماية مواصلات الامبراطورية موضوعا حيويا ، حتى  
أن لورد كيرزون قال : أن تلك الحماية لا تمتد فقط على منطقة  
القناة ، فموقع مصر الجغرافى فى غاية الاهمية ، وتلك الاهمية  
لا تمتد فقط على الطرق الارضية ، بل أيضا على الطرق الجوية •  
ولذلك فانه من الضرورى منح القوات البريطانية حق المرور على  
الاراضى المصرية ، فالدفاع عن حدود مصر ، يتطلب صد كل هجوم،  
سواء من الجنوب أو الشرق أو الغرب ، ويجب على القوة البريطانية  
أن تكون على استعداد فى كل مكان لجعل هذا الهجوم مستحيلا •

وفى عام ١٩٢٤ تجددت المحاولات البريطانية فى مباحثات  
سعد - مكدونالد ، وفشلت فشلا جزئيا • إذا تنازلت انجلترا عن  
مطالبتها بحرية المرور المطلقة لقواتها • وقبلت مبدأ الحصول على  
قطعة أرض فى مقابل مبلغ يقدر فيما بعد ، وهذه القطعة تحددت  
بين قناة السويس والحدود الفلسطينية ، أى فى شبه جزيرة  
سيناء •

وتواصلت المفاوضات ، وهى مفاوضات عبء الخالق ثروت

وأوستن تشمبرلين عام ١٩٢٧ ، ومحمد محمود وهندرسن عام ١٩٢٩ ، والنحاس وهندرسون عام ١٩٣٠ . ولقد فشلت هذه المفاوضات جميعا ، لاصرار بريطانيا أن تكون الاماكن التي ترابط فيها القوات البريطانية لا بد أن تكون شرف وغرب قناة السويس . خاصة وانها اصطلحت كذلك بعقبة ( السودان ) .

وكما يقول ابراهيم أمين غالى من خلال دراسة للوثائق فى عام ١٩٣٦ بدأت وجهات النظر بالنسبة للمشكلة المصرية بين مصر وبريطانيا تتقارب . الى أن قامت الحرب بين أثيوبيا وإيطاليا ، وبدأ التهديد الالمانى بقيام حرب عالمية . فأتت الاحداث الدولية الى التقارب فى وجهات النظر . وكانت معاهدة ١٩٣٦ عبارة عن تنازلات بين الجانبين .

كانت معاهدة ١٩٣٦ كما يرى محمد فريد حشيش فى رسائله للدكتوراه عن معاهدة ١٩٣٦ اقرارا لبريطانيا : ان تبقي قواتها خارج منطقة القناة ، وللإسكندرية لمدة ثمانى سنوات من تنفيذ المعاهدة ، وفى حالة الحرب أو التهديد بها تمنح القوات البريطانية حق التحرك فى مصر كلها . بمعنى أن المعاهدة ، كما يقول ابراهيم أمين غالى ، كانت عبارة عن معاهدة دفاع مشترك بين مصر وبريطانيا امتدت عشرين سنة ، لتحل مؤقتا مشكلة التوفيق بين السيادة المصرية ومقتضيات الدفاع عن سيناء .

وحين قامت الحرب العالمية الثانية ، كانت سيناء هى المعبر ، الذى كانت تنقل عبره القوات البريطانية من فلسطين الى الصحراء الغربية ، لصد الهجوم الذى قامت به قوات المحور على مصر .

وحين انتهت هذه الحرب كانت بريطانيا تعاني فى فلسطين من العصابات الارهابية اليهودية . وهذا ما جعلها تحاول أن تنجو بجلدها من فلسطين لتتركها للصهاينة ، رغم ما فعلوا بقواتها .



ولهذا عرضت مشروع التقسيم الذي لم يقبله العرب واليهود على  
السواء خاصة في عام ١٩٣٩ ..

والواقع - وكما يرى محمد فيصل عبد المنعم - أن بريطانيا  
قد عرضت مشروع التقسيم كخروج لها من أزمته في فلسطين وفي  
مصر أيضا . فبريطانيا لم تكن تتوقع أن توافق هيئة الأمم على إنهاء  
انتدابها على فلسطين .. وكانت أيضا تتوقع أن تزيد شقة الخلاف بين  
العرب واليهود .. مما يتيح لها الفرصة لتبقى في فلسطين وتظل تحكمها  
.. حماية لمصالحها في الشرق الأوسط ، وقناة السويس .. خاصة  
وأن عام ١٩٤٧ قد شهد انتفاضة المصريين مطالبين بالجلد  
البريطاني ، وتخلى بريطانيا عن قواعدها العسكرية في البلاد .

ويدلل محمد فيصل عبد المنعم على ذلك بقوله : انه ما إن  
أوصت اللجنة الانجلو - أمريكية التي أوفدت الى فلسطين عقب  
انتهاء الحرب العالمية الثانية من أن التقسيم أمر غير عملي ، وأنه  
لا يمكن انشاء دولة يهودية أو دولة عربية ، ولكن في الامكان منع  
العرب واليهود بالعيش معا في سلام ( نشر التقرير في ٣٠/٤/  
١٩٤٦ ) .. لم يرق لوزارة الخارجية البريطانية ، التي وصفت  
التقرير بأنه ( شيء مقيت ) ، حيث كان في رأى بريطانيا متساهلا  
مع الصهيونية ، متجاهلا المصالح البريطانية .. حتى أن مستر  
بيغن ، وزير الخارجية البريطاني ، رفض آنذاك أن يقابل أيا من  
البريطانيين من أعضاء اللجنة عند عودتهم .

كما يقول أيضا كريستوفر سايكس ، الكاتب البريطاني في  
كتابه ( مفارق الطرق الى اسرائيل ) : لقد كان ما تنشده بريطانيا  
الآن - ١٩٤٦ - في فلسطين بعد قرار الجلاء البريطاني ، خلق  
قاعدة مضمونة وسليمة ، ولم تكن الحكومة البريطانية قد وعت  
الدرس بعد ، بأن القاعدة لا تكون سليمة ومضمونة في أية بلاد  
ناثرة بصورة دائمة .

وكذلك من الدلائل على هذا الرأي ما قاله وزير المستعمرات

البريطاني في مجلس العموم في فبراير ١٩٤٧ : ( اننا نتوجه الى هيئة الامم المتحدة ، لا لكي ترفض الانتداب ، ولكن نذهب اليها ونضع المشكلة ، كي نحصل على نصيحة في كيفية ادارة الانتداب . فاذا كان الانتداب لا يضار بهذا الشكل الحالي ، فنحن نريد أن نستوضح كيف يمكن تحسينه ) .

لكن حين لم تجد انجلترا شبهة نجاح لخطةها . . سارت مع الموج . وكما قال ديفيد بن جوريون ، فان موقف بريطانيا بزعامة تشرشل هو الذي شجعه على اعلان الدولة . كما أن أمريكا اعترفت بدولة اسرائيل بعد ١٢ دقيقة من اعلانها .

والواقع أنه بعد تقسيم فلسطين قامت حرب ١٩٤٨ . . وكان ما كان من الهزيمة .

لكن قيام اسرائيل كان له صدى آخر في سيناء ، تبلور في عبء جديد على مصر ، وهو عبء الدفاع عن سيناء . . وهذا يستدعي جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وعن منطقة القناة بصفة خاصة ، لتصبح سيناء لمصر خالصة ، ويمكن الدفاع عنها . .

وعملية الجلاء عن مصر استغرقت عدة مراحل، عدة مفاوضات دارت بين الحكومات المتعاقبة وبين البريطانيين ، حتى قيام النورة في مصر عام ١٩٥٢ . وهي مفاوضات كانت تستهدف جلاء كاملا للقوات البريطانية ، وكحد أدنى تنقل القوات البريطانية الى (غزة) . لكن السلطات البريطانية كانت تراوغ . ولم توافق على نقل القوات البريطانية الى غزة . . فهذا معناه ان قواتها على الحدود ، لن تكون بعيدة عن الدولة الصهيونية في فلسطين . . وانجلترا لم نس ما حاق بقواتها في فلسطين أيام فترة الانتداب . وقد حاولت بريطانيا ان تبرر بقاء قواتها في منطقة القناة ، فرهنت اجلاءها بعقد اتفاق سلام بين مصر واسرائيل ، في وقت لم يكن يستطيع فيه عربي أن يلفظ بمثل ذلك .

والحقيقة أن بريطانيا وضعت هذا الشرط ، وكانت متأكدة من أن مصر سترفض هذا الشرط ، لكي تبقى قواتها في مصر ، بل لكي تبقى سيناء مفتوحة أمام الصهاينة يهددون مصر منها كيفما شاءوا . والمهم أن المفاوضات استمرت ، حتى عرضت بريطانيا على مصر الجلاء إذا وافقت مصر على عقد معاهدة دفاع مشترك مع بريطانيا ، على أن يتم هذا الجلاء عام ١٩٥٦ . غير أن مصر استطاعت في ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤ أن توقع اتفاقية مع بريطانيا لجلاء قواتها عن منطقة السويس .

وقد تبع توقيع اتفاقية الجلاء ، وجلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة . . ان امت مصر قناة السويس، ثم ان مصر قبل ذلك وفي يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ وقعت صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا . وكانت هذه - بالطبع - مؤشرات على التزام مصر العربي في القضية الفلسطينية . .

والواقع أن اسرائيل بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، بدأت تمد بصرها الى مصر ، وبدأت تناوشها وتحاول استنزافها . ففي سبتمبر ١٩٥٥ قذفت مدينة غزة بالقنابل ، وفي نفس الفترة احتلت منطقة العوجة ، التي كانت منزوعة السلاح وقتئذ .

والواقع أن صفقة السلاح التشيكية قد أثار مخاوف الحكومة الامريكية . . ولهذا فقد دفعت الحكومة الامريكية القوات الاسرائيلية لان تشن هجومها على سيناء وتحاول تهديد مصر .

وفي أيام بن جوريون حينما صار رئيسا للحكومة الاسرائيلية بدأ الغرب - خاصة أمريكا - تستخلمه ، بعد أن تأكد لديها دور مصر العربي . وهاجمت قوات بن جوريون في أول نوفمبر ١٩٥٥ القوات المصرية في الصبحة . ثم هاجمت غزة في أبريل ١٩٥٦ .

وكانت قمة الهجوم الاسرائيلي على مصر في تلك الفترة هو ما يعرف بالعدوان الثلاثي ، وهذا الهجوم الاسرائيلي ساندته وشاركت

فيه كل من بريطانيا وفرنسا . وهذا الهجوم كان يستهدف بالدرجة الاولى فصل سيناء عن مصر . ويبدو ذلك واضحا من مطالبة دول العدوان الثلاثي لمصر ، بأن تسحب قواتها على مقربة عشرة أميال غربى قناة السويس . بدعوى حماية قناة السويس .

والمهم . أن الدول الثلاث حاولت نصب فخ للقوات المصرية لكن مصر استطاعت أن تنتبه لهذا الفخ ، حين سحبت قواتها من رأس النقب ، وصبحه والكونتيلا ، حتى لا تقع هذه القوات فى كماشه القوات الاسرائيلية عبر سيناء ، والقوات الفرنسية والبريطانية من ناحية بور سعيد . وقد انتهى هذا العدوان الثلاثى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ بعدما تدخلت القوات الكبريان - كما هو معروف - حيث جلت القوات الاسرائيلية عن شرم الشيخ وحدود سيناء الشمالية ، ووضعت مكانها قوات طوارئ دولية .

والواقع - كما يقول هنرى آزو فى كتابه ( فخ السويس ) ، الذى ترجمه محمود حسن ابراهيم - أن سبب تقسيم القوات الاسرائيلية فى سيناء ، هو أن عبد الناصر كان قد حصل على تفاصيل الخطة ( موسكىثو ) للعدوان الثلاثى قبل أن تعدل . وهذه الخطة كانت تشير الى أن الهجوم الرئيسى سيكون على الاسكندرية ، مع احتمال القيام بهجوم على بور سعيد . وقد رتب عبد الناصر جميع قواته على هذا الاساس ، ولم يترك لاسرائيل غير مجرد ستار من القوات ، بينما احتشدت معظم قوات الجيش المصرى فى وسط مصر .



كان العدوان الثلاثى على مصر ، ووضعت قوات الطوارئ الدولية ، كفاصل بين مصر واسرائيل . خطة من أجل أن تلعب اسرائيل بمصر وسورية ، دون أن تستطيع مصر عبور سيناء .

على أن وجود قوات الطوارئ الدولية على حدود سيناء ، أعطى

مصر فرصة لاستعواض سلاحها ، الذي فقدته في العدوان الثلاثي .  
وللحقيقة فان مصر وضعت ثقل دفاعها وراء خطوط الهدنة وخلف  
قوات الطوارئ الدولية .

وقد ظلت هذه الحال كما هي . . الى أن بدأت اسرائيل هجومها  
على سورية في مايو ١٩٦٧ . وكان لا بد من التحرك من جانب  
مصر ، خاصة وقد قيل ان الاتحاد السوفيتي قد أبلغ مصر وسورية  
بان اسرائيل في هذه المرة تستهدف سورية .

وهنا نستخدم مصر حقها في اجلاء قوات الطوارئ الدولية ،  
ويعلن عبد الناصر في ٢٢ مايو ١٩٦٧ اغلاق خليج العقبة على  
السفن المتجهة الى اسرائيل . ونتيجة لذلك كانت حرب يونيو  
١٩٦٧ ، حيث هاجمت اسرائيل مطارات مصر كلها بما فيها مطارات  
سيناء في صباح الخامس من يونيو . كما دمرت الجهاز الجوي  
المصري في بضع ساعات . وبذلك صار الجيش المصري في سيناء ،  
بلا حماية جوية . . مما دفع باسرائيل الى احتلال شبه جزيرة  
سيناء كلها ، واغلقت قناة السويس . واقام الاسرائيليون خط  
بارليف على الضفة القناة الشرقية .

وهكذا . . تم احتلال سيناء ، وبدأت اسرائيل استغلال  
نروات سيناء من البترول خاصة ، وهجرت مواطني سيناء .  
وانشأت المستوطنات ، والقرى الجماعية ، والمسكرات الزراعية  
شبه العسكرية .

وكما احتلت اسرائيل سيناء في هذه النكسة البالغة  
الخطورة ، احتلت أيضا المرتفعات السورية التي تعرف باسم هضبة  
الجولان ، كما احتلت الضفة الغربية لنهر الاردن . وكانت هذه  
أفزع هزيمة ألقت بالعرب في تاريخهم الحديث .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا ، والذي يهم موضوعنا  
في هذا الكتاب هو : ماذا فعل الاسرائيليون بسيناء منذ نكسة

الخامس من يونيو ١٩٦٧ ٠٠ وحتى عقدت معاهدة السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩ ؟!

والواقع أنه من خلال المعلومات المتواترة ، نقول : انه كان بسيماة قبل عدوان حرب ١٩٦٧ مجموعة من الطرق وخطوط المواصلات ، بلغت أطوالها حوالى ١٥٠٠ كيلو متر من الطرق الممهدة ، وحوالى ٤٠٠ كيلو متر من خطوط السكك الحديدية . يضاف الى ذلك مجموعة من حقول البترول ، وبعض المصانع مثل مصنع ( أبو زينة ) للمنجنيز ، تم الكثير من الواحات التى أنشأتها هيئة تعوير الصحارى ، باستصلاح مجموعة من الاراضى ، ومجموعة من الآبار ٠٠ وهذه كلها وقعت بالطبع فى أيدي اليهود ، واستغلها اليهود .

ويقول ابراهيم أمين غالى ، اعتمادا على ما نشر فى الصحف الاوربية ، وبالاخص صحيفة ( الموند ) الفرنسية ، وايضا اعتمادا على ما حاولت أن تروجه اسرائيل ٠٠ فان سياسة الاحتلال الاسرائيلى بالنسبة لسيناء ، كانت على الطريقة التى يمكن وصفها ( بالتوسع الزاحف ) . وأن الاجهزة الاسرائيلية الاقتصادية والعسكرية والعلمية امتدت فى أنحاء سيناء .

فالجهاز الاقتصادى استغل المرافق التى كانت تعمل من قبل ٠٠ وأضاف انشاء فندق فى منطقة شرم الشيخ لتلقى السياح . كما نشطت الشركات السياحية الاسرائيلية فى اعداد الرحلات السياحية ، الى شرم الشيخ ، والى وير سانات كاترين ، والى المستعمرات فى سيناء ٠٠ وقد تطلب ذلك طرد البدو من أماكن نشاط الاسرائيليين .

كما أنه خلال فترة الاحتلال بدأت عملية استعمار رفع منذ عام ١٩٦٩ حينما نزع الاسرائيليون ملكية ٤ آلاف فدان هناك . كما أنه فى عام ١٩٧٢ طرد الجيش الاسرائيلى ١٠ آلاف من البدو

من مزارعهم وهدم منازلهم ووضع الاسلاك الشائكة حول منطقة تقدر بحوالى ٣٠ ألف فدان ، خصصت لايواء اليهود المهجرين الى سيناء ، وحرّم على العرب الاقتراب منها . وقد بلغت أماكن ايواء اليهود فى منطقة رفح ما يزيد عن عشرة آلاف ، منها أربع قرى جماعية ، وهـ مستعمرات زراعية وشبه عسكرية ، وعلى رأس ذلك مستعمرة ياميت ، أكبر المستعمرات الاسرائيلية فى المنطقة . وقد سارت الامور وتوسعت رقعة الاستيطان حتى بلغت ٨٠ ألف فدان، أنصى أصحابها العرب عنها .

أما الجهاز العسكرى ، فقد أقام خط بارليف . . ووراء هذا الخط نشط الاسرائيليون فى استغلال موارد شبه الجزيرة لمعدنية فبدأوا أبحاثهم فى وادى فيران منذ عام ١٩٦٨ ، وبالأخص فى وادى الشيخ . وفى خليج العقبة قامت البعثات بدراسة الطبقات المائية تحت سطح البحر ، ونقبوا كثيرا عن البترول . كما أن اليهود أجروا عدة حفائر فى سيناء ، ليثبتوا وجودا عبريا منذ خروج موسى ، ولكنهم لم يجدوا شيئا يثبت ذلك .

وجدير بالذكر أن الذى فعله الاسرائيليون فى سيناء عقب الاحتلال فى ١٩٦٧ لم يبدأ من فراع فمنذ بداية القرن العشرين تواصلت رحلات الاستكشاف الى سيناء . . وأهمها بالطبع بعثه السير فلندرز بترى فى عام ١٩٠٥ ، وهذه البعثه شملت الكثير من الجهد بتحليل المعادن المستخرجة ودراسة التربة . . بالإضافة الى عمليات التنقيب الانثريه . كما أنه فى عام ١٩١٥ وضعت الادارة الجغرافية بهيئة أركان حرب الجيش البريطانى ، بنساء على الدراسات الجيولوجية ، خرائط ، مدونا فيها التكوين الجيولوجى وأنواع التربة والحجارة والصخور . . مما يساعد على تحديد مناطق البترول وغيرها من مقومات المعادن المتنوعة فى شبه الجزيرة .

وفي دراسة خاصة عز ( الاوضاع والمتغيرات في شمال سيناء خلال فترة الاحتلال ) قدمها اللواء محمد حسين شوكت ، أول محافظ لسيناء الشمالية ، بعد تقسيم شبه الجزيرة الى محافظتين والحاكما بالحكم المحلي ، يقول :

أقامت اسرائيل العديد من المستعمرات الزراعية والسكنية في سيناء ٠٠ في وادي العريش على مشروع مؤسسة تعمير الصحارى المتاحة في شتى المجالات وهذه المستعمرات هي :

### اولا : المستعمرات الزراعية :

● مستعمرة ( ناحال سيناء ) ، التي سميت باسم نبعوت سيناء ٠٠ في وادي العريش على مشروع مؤسسة تعمير الصحارى في هذه المنطقة .

● مستعمرة ( ناحال ديكاليم ) في الشيخ زايد ، وهي غرب طريق العريش - رفح ، ومساحتها حوالى ٣٠٠ فدان ، ويقم فيها ٣٠ مزارعا اسرائيليا . وقد وزعت عليهم ارض المزرعة بواقع من ١٠ الى ٥٠ دونما . والدونم ربع فدان . ونصف حيازة هذه المزرعة يزرع على مياه الآبار ، بينما النصف الآخر يزرع على مياه الأمطار وهذه المستعمرة تحوى عشرة آبار ، خمسة منها احتياطيين . ويتم تجميع المياه في خزان للتوزيع على الارض المزرعة ٠٠

● مستعمرة ( حاروفيت ) ، وهذه المستعمرة اقيمت في منطقة ( خربة ) على المشروع الذى أقامته قبل عام ١٩٦٧ مؤسسة تعمير الصحارى ، والذي يعتمد على خنق المياه الذى أقيم في هذه المنطقة ، والذي كان يصل زمامه الى حوالى ٢٢٦ فدانا ، وهذه المستعمرة شبه عسكرية .

● وهناك أيضا مستعمرات أخرى أقامتها اسرائيل شرق



مدينه الشيخ زويد ، وعددها خمس مستعمرات هي : سدوت ،  
نيتف هاعزرا ، نيرا ابراهام ، أوجدا ، إيشالوم . وهذه المستعمرات  
تحتل المناطق الصالحة للزراعة في الشيخ زويد ، وفي ( أبوطويلة )  
وتشمل هذه المستعمرات مساحة حوالي ٥٠٠٠ فدان بشرق طريق  
العريش - رفح ويسكنها مزارعون اسرائيليون ، موزعة عليهم  
الاراضى بواقع من ١٠ الى ٥٠ دونما .

أما مستعمرات جنوب رفح ، فهي ثلاث مستعمرات زراعية  
غرب طريق العريش - رفح ، وفي المنطقة بين مدينتي رفح والشيخ  
زويد . وهذه المستعمرات عددها ثلاث مستعمرات هي : نلسي  
يوسف . سكوت . هوليت . ويقيم فيها مزارعون اسرائيليون  
موزعة عليهم الاراضى بواقع من ١٠ الى ٥٠ دونما . وتصل حيازة  
هذه المستعمرات الى حوالي ٣٠٠٠ فدان تزرع على مياه الامطار ومياه  
الآبار .

كما توجد أيضا مستعمرات ، أقيمت خصيصا من أجل صيد  
الاسماك وتصديرها . ومن هذه المستعمرات ( مستعمرة يام ) ، وفي  
المنطقة ما بين مصفق ، وسالمانة . ويتركز نشاطها في صيد  
الاسماك من بحيرة البردويل وساحل البحر المتوسط ، وتصديره  
الى الخارج مباشرة ، وخاصة أسواق أوروبا .

### ثانيا - المستعمرات السكنية :

● وأهم المستعمرات هي مستعمرة ( ياميت ) وتقع جنوب  
غربي مدينة رفح على شاطئ البحر المتوسط . وتقوم فيها بعض  
الصناعات الخفيفة ، وتتسع لسكن ٥٠٠٠ اسرائيلي من الذين  
يعملون في المناطق الممتدة من العريش وحتى رفح . وكل بيوت  
المستعمرة مصممة على أساس ( فيلات ) . وفيها مشروع سياحي  
ناجح .

● وبالقرب من مستعمرة ياميت ، وعلى بعد ١٢ كيلو مترا

شرقي مدينة الشيخ زايد ، أقامت اسرائيل كافتيريا ودورات مياه وحمامات سباحة • كما أقامت في المنطقة حجرا ضخما أشعاعت اسرائيل أنه منقول من جبل موسى لتنشيط السياحة • وأعدت ( موقف ) أسفلتي لاستقبال السيارات التي تتوافد على المنطقة حاملة السياح لقضاء طول النهار والعودة في مساء • ويجري تحصيل الرسوم لصالح المستعمرة بدءا من ٥ ليرات اسرائيلية على السيارة الملاكى الى ١٠ ليرات على التاكسى و٢٠ ليرة على الاتوبيس •

● هذا بالإضافة الى المستعمرة التي أقامتها اسرائيل في شرم الشيخ ، والتي تحتوى على فندق سياحي •

● على أنه وبالنسبة للسياحة أيضا أنشأت اسرائيل مطارا يبعد عن دير سانت كاترين بحوالى ثمانية كيلو مترات ، ويستقبل الطائرات العمودية والطائرات الخاصة الصغيرة ، وكذلك الطائرات المروحية الصغيرة والمتوسطة •• من أجل زيارة دير سانت كاترين •

● يضاف الى ذلك تلك المستعمرات التي قامت في مدن البترول •

## ثالثا - المطارات :

الواقع أنه بالإضافة الى مطار سانت كاترين ، فهناك في سيناء ستة مطارات هي :

١ - مطار الجورة الحربى ( إيتام ) وهو من أكبر المطارات وأهمها في سيناء • وقد أقيم في منطقة الجورة ، جنوب شرقي مدينة رفح على مساحة حوالى ٣٦ كيلو مترا مربعا •

٢ - مطار العريش ، وكان - أثناء الاحتلال - قد تم التوسع فيه واعداده لاستقبال أضخم الطائرات • وهو مطار حربى هام ،

ويصلح لان يكون مطارا دوليا ، وقد تم تحويله بعد عودة العريش الى مطار مدني .

٣ - مطار رأس النقب الحربي ، ويقع بالقرب من ميناء ايلات ، وهو من أكبر المطارات في شبه جزيرة سيناء .

٤ - مطار شرم الشيخ ( أوفيرا ) . بالقرب من مدينة شرم الشيخ ، وقريب من الفندق العالمي الذي أقامته اسرائيل لاصحاب الملايين .

٥ - مطار المليز ، في وسط سيناء .

٦ - مطار الطور الحربي .

#### رابعاً - من ناحية التعدين والصناعة :

والواقع أنه من ناحية التعدين والصناعة ، فإن سلطات الاحتلال الاسرائيلي لم تستغل منجم الصفا للفحم بمنطقة المغارة ، وتردد أن ذلك بسبب الاستغلال غير الاقتصادي للمنجم من وجهة نظرهم . كما لم تستغل سلطات الاحتلال أيضا مناجم المنجنيز والفيروز في منطقة أم بجمة .

وبالنسبة للبترول ، فقد تم أثناء سنوات الاحتلال اكتشاف بئر غاز في منطقة ( الثوبة ) جنوب قبر عمير بحوالي عشرة كيلو مترات . وقد أغلق البئر بعد الاكتشاف . وهذا الاكتشاف كما يتردد ، قد تم بمساعدة إحدى الشركات الامريكية .

وهناك أيضا اكتشاف لبعض حقول البترول بالقرب من الطور ، وقد تم ذلك بمساعدة إحدى الشركات الامريكية .

وهذه الاكتشافات سيأتي عنها الحديث في الفصول القادمة .



## الفصل السادس

مصر ٠٠ دائما مصر

وبدا الطوفان والزلازل في سيناء



منذ احتلال اسرائيل لسيناء فى الخامس من يونيو ١٩٦٧  
٠٠ واسرائيل تتباهى بأسطورة الذراع الطويلة ، وجيش الدفاع  
الاسرائيلى الذى لا يقهر ٠٠ وخط بارليف أمنع حصون التاريخ ،  
والذى تجمعت فيه تكنولوجيا العصر ٠

ورغم مرارة النكسة ، وهى نكسة عربية بالدرجة الاولى ،  
والحرب النفسية الرهيبة والمتواصلة ضد العرب ، فان مصر لم  
نيأس حتى النخاع ٠ انها بعد أيام من النكسة بدأت تلتقط  
أنفاسها ، وتسليح جيشها ، وتستعوض الاسلحة التى فقدتها ٠٠  
بل بدأت تعيد تكوين سلاح طيرانها الذى دمر على الارض فى  
مطاراتها ٠

ولكن أهم من هذا وذاك أن مصر حاولت أن تجعل الصراع حيا  
ومستمر بينها واسرائيل ، بترتيب أوراقها ومواقفها ٠ ويمكن  
تقسيم موقف مصر من الاحتلال الاسرائيلى لسيناء الى أربعة  
مراحل :

**المرحلة الاولى :** وهى التى تسمى مرحلة الصمود ، وهذه  
المرحلة شملت الفترة من يونيو الى أغسطس ١٩٦٨ ، وهى مرحلة  
الدفاع الحذر ٠ وفى هذه الفترة حدثت معارك رأس العش، وتدمير  
الباخرة ايلات ، وبعض المعارك الجوية ٠

**المرحلة الثانية :** هى مرحلة الردع من سبتمبر ١٩٦٨ الى  
أغسطس ١٩٦٩ ، وهى مرحلة بناء العدو لخط بارليف ٠

**المرحلة الثالثة :** هى مرحلة الاستنزاف من مارس الى أغسطس  
١٩٦٩ ، وهى مرحلة تميزت بالهجوم الحذر ، فيها تم تدمير خط  
بارليف الاول بالمدفعية ٠ ثم توالى عبور الكوماندوز المصريين  
والضفادع البشرية ، فضلا عن الغارات والمعارك بين مصر واسرائيل

**المرحلة الرابعة :** هى مرحلة وقف اطلاق النار ٠٠ والمعروفة باسم مرحلة اللا سلم واللا حرب ، وتلى المرحلة السابقة ٠

ثم مات عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ٠ وتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية فى ظروف صعبة ، كانت مصر فيها تعاني من مراكز القوى ، ويقاسى المصريون الرعب والخوف بفعل سيطرة جهاز مخابرات عقيم ، والمواطن المصرى يفتقد الامن والامان والمعتقالات مملوءة ، والحراسات مفروضة ، والقانون فى اجازة ٠

لقد ورث أنور السادات تركة ثقيلة من الهموم القومية والوطنية ٠ ورث احتلالا اسرائيليا لسيناء وصل الى الضفة الشرقية لقناة السويس ٠ وورث تشتتا وتمزقا لم يحدث له مثيل فى نفوس المصريين والعرب على السواء ٠ وورث ، وهو الاخطر ، متغيرات دولية تبارك احتلال اسرائيل للاراضى العربية المحتلة ٠ بينما تحرير سيناء ، قدس اقداس ، مطلبيا وطنيا ملحا وجارفا ٠٠

وقد كان لا بد من البداية الصحيحة ٠٠ والبداية الصحيحة للتحرير كانت ( التصحيح ) او ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ٠ بمعنى أنها كانت ثورة فى الثورة ٠٠ لتصحيح المسيرة ، وليعود الامن والامان لشعب مصر ٠ وبدأ السادات مسيرة التصحيح فى كل أجهزة الدولة فى مصر ، بما فيها قيادات الجيش ٠

والواقع أن مصر تحت رئاسة أنور السادات كانت تعمل لليوم التاريخى ، منذ البداية ٠ وهذا اليوم التاريخى جاء فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ( العاشر من رمضان ١٣٩٣ هجرية ) ٠ وكانت الخطة ( بدر ) تبركا بمعركة ( بدر ) التى خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتيمنا بها ٠ وعبرت قوات مصر قناة السويس ، ودمرت خط بارليف ، ذلك ( الصنم ) المكرس للاستعمار الاسرائيلى ٠ دمرت الخط الذى كانت تنبأه به اسرائيل ، وتقول ان المصريين لا يستطيعون عبوره الا على أشلائهم



•• ثم عادت بعد تدميره تقول على لسان موسى ديان وزير دفاعها في ذلك الوقت ، انه مثل قطعة الجبن السويسرى •• فيه من الثقوب أكثر مما به من الجبن • وهذا الخط كما يعرف العالم كلف اسرائيل ٢٣٨ مليون دولار •

وكان عبور القوات المصرية للقناة ، هو أيضا عبور للهزيمة ، وعبور حالة التمزق والتشتت ، وسنوات المعاناة الصعبة • وكان فجرا جديدا لمصر والعالم العربى • بل كان أول مرة يقوم فيها العرب بدور المبادرة والمبادرة في الصراع العربى الاسرائيلى ، بعد صبر طال أمده وتجاوزت سنواته ربع قرن من الزمان •

وكما قال توفيق الحكيم فى جريدة الاهرام بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٧٢ : ( عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء • ومهما تكن نتيجة المعارك ، فان الاهم هى الوثبة • فيها المعنى أن مصر هى دائماً مصر •• تحسبها الدنيا نامت ، ولكن روحها لا تنام • وإذا هجعت نيلها ، فان لها هبة ولها زمجرة • سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والعرفان ) •



وينطوى جدا من ينظر الى حرب أكتوبر فى اطارها الضيق ، وفى أبعادها المحلية ، كمجرد النقيض الموضوعى المباشر للمركة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ • ان هذه الحرب - وكما يقول د. جمال حمدان فى كتابه ( ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية ) - تحول مؤثر فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ، وبالتالي فى تاريخ العرب جميعا •• وتاريخ العالم المرئى كله •• وهى - أى حرب أكتوبر - كما يقول موسى صبرى فى كتابه ( وثائق حرب أكتوبر ) : جاءت لتحقيق انقلابا فى العلم العسكرى •

وللحقيقة فقد كانت الحروب الثلاثة بين العرب - ومصر بصفة خاصة - واسرائيل ، هى جميعا ( حروب اسرائيلية ) تماما أو تقريبا ••

بمعنى أن زمام المبادرة والمبادأة والحركة والهجوم - استراتيجيا وتكتيكيا - كان في يد اسرائيل . هي التي تحدد الزمان والمكان، وهي التي تفرض أسلوب القتال بما يلائمها ، وهي التي تجنى ثمار النصر . أما العرب فكانوا على الدفاع الثابت السلبي ، مجرد رد فعل يحدد العدو إيقاعه . وأما في أكتوبر ، فإن الاستراتيجية العظمى والروح السائدة والعقيدة القتالية هجومية أساسا ، سواء ذلك على المستوى الاستراتيجي أو التكتيكي ، وإبتداء من تحديد الزمان والمكان إلى أساليب القتال الملائمة . ومن حرب خاطفة صاعقة ، إلى مواجهة تصادمية طويلة .

لقد كانت حرب أكتوبر حربا مصرية عربية ، بل هي أول حرب مصرية عربية ، منذ بدأ الصراع العربي الاسرائيلي . وهي ( الزلزال ) الذي دمر أحلام اسرائيل في بقائها في سيناء إلى الابد .

ان الحرب كما يصورها شاعر اسرائيلي كانت ( الطوفان ) الذي جرف شباب اسرائيل ، وجرف ادعاءات اسرائيل . وأنقل هنا أبيات هذا الشاعر ، من كتاب حمدي الكنيسي بعنوان ( الساعة ٢٠٥ بدأ الطوفان ) .. يقول :

( الطوفان ) يجرف البيت من أساسه ..

والطاعنون في السن يجلسون على الصندوق العائم فوق

الماء ..

يبعثون بأبنائهم للاستحمام في المياه الهادرة ..

لأنقاذ ما يمكن إنقاذه من ماضيهم ..

انهم لا يشعرون بأن « الطوفان » سوف يجرفهم ..

فهم يجلسون فوق الصندوق العائم ..

فقط يرسلون الإبتاء للاستحمام ..

وأحيانا للموت غرقا ..

ترى من يستطيع يعيد الحياة للفرقى ؟ ..

وكما كانت الحرب ( طوفانا ) على اسرائيل ، فهي أيضا كانت  
( زلزالا ) ، وخاصة على نظرية الامن الاسرائيلي . وفي كتاب ( حرب  
رمضان ٠٠ الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة - اكتوبر ١٩٧٣ )  
يقول مؤلفوه الذين شاركوا وخططوا لحرب اكتوبر، وهم اللواء  
حسن البدرى واللواء طه المجدوب والعميد أ. ح . ضسياء الدين  
زهدي أن هذه الحرب تدل دلالة واضحة على أن المصريين استطاعوا أن  
يحققوا عنصر المفاجأة ، وأن الضربة المفاجئة صعدت الاسرائيليين .

وكما يقول أحمد بهاء الدين في كتابه ( وتحطمت الاسطورة  
عند الظهر ) ٠٠ ان هزيمة الاسرائيليين كانت المفاجأة الحقيقية ،  
أكثر منها مفاجأة التموية التي يتحدثون عنها . وكانت مفاجأة شرعية  
تلك التي قامت بها القوات المصرية ، يقرها الشرف العسكري .  
فهي تمثل جزءا من صميم العمل العسكري المشروع ، والانتصار  
يعود الى براعة التخطيط السياسى والعسكرى .

والواقع أن الذى حدث ببساطة كما شرحه قائد العبور  
الرئيس السادات هو : ( ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة  
على أى مقياس عسكرى . لقد أعطت نفسها بالكامل لواجبها ،  
واستوعبت العصر كله ٠٠ تدريباً ، وسلاحاً ، بل وعلماً واقتداراً  
٠٠ وسوف يجيء اليوم الذى نجلس فيه لنقص ونروى ، ماذا  
فعل كل واحد منا فى موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وأدى  
دوره . وكيف خرج الإبطال من هذا الشعب وهذه الأمة ، فى فترة  
حالكة ، يحملون مشاعل النور ، لتضيء الطريق ، حتى تستطيع  
أمتهم أن تعبر الجسر بين اليأس والرجاء ) .

ان أكبر مفاجآت حرب اكتوبر كانت روح الجندى المصرى  
العالية وكفائه ٠٠ هكذا قال الجنرال ديفيد اليعازر عقب الحرب .  
والذى نقوله : ان الانسان المصرى بحق كان فى هذه الساعات  
الحاسمة يعطى بسنخه ، وكان فى قمة الاحساس بأصالة تاريخه  
وعظمة مستقبله ، فجاد كما لم يجد به أحد من قبل ، وأثبت أنه

من خير أمة أخرجت للناس ، وأنه - كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير أجناد الأرض .

لقد حقق العرب في السادس من أكتوبر ، ولاول مرة في سجل الصراع الطويل ضد اسرائيل ، المفاجأة الكاملة بمستوياتها الثلاثة . وكان وقع ذلك أليما في اسرائيل .

وأحسن وصف قيل عند تدمير خط بارليف . وقد قاله نوماس تشتيهام . ( لقد أمسكت هذه العمليات بالقيادة الاسرائيلية وهي عارية ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل ) . . . !

ولذلك فقد كانت حرب أكتوبر ، كما وصفها الكتاب الاسرائيلي جان كلود جيبوه ، في كتابه ( الايام المؤلمة في اسرائيل ) : . . كانت كأنها نهاية العالم .

فالمفاجأة المذهلة التي قام بها الجندي المصري والعربي قوضت صروح نظرية الامن الاسرائيلي ، التي طالما ارتكزت عليها المؤسسة الاسرائيلية .

ومن الواضح كما قال الجنرال اندريه بوفر الفيلسوف الاستراتيجي الفرنسي الشهير ، ان مفهوم الحدود الآمنة في قاموس اسرائيل ينبع أساسا من فكر توسعي عدواني ، اذ كلما زادت أراضي الدولة اتساعا ، زادت حاجتها الى نقل حدودها الى أرض جديدة على حساب جيرانها . . الامر الذي لا يقف عند حد معين أو يحكمه منطق عاقل . ان الاسرائيليين - وكما قال شلزنجر وزير الدفاع الامريكى - أدركوا أخيرا أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق بمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن أصبحت حالة دولتهم التي لا تقهر موضع تساؤل !!

لقد جاءت حرب أكتوبر كما يقول الهيثم الايوبى في كتابه ( درس الحرب الرابعة ) . . لتهدد الكثير من المفاهيم ، وتقلب العديد من المسلمات .

ويتساءل د . لواء عيسد الكريم درويش ود . ليلي تكللا في كتابهما ( حرب الساعات الست ) عن الحدود الآمنة لمن ؟ ويقولان ان اسرائيل لم تكن تريد أن تستقر في حدودها القديمة التي وضعها قرار التقسيم . وكان فكرها عن نهاية حدودها ، فكرا غير منضبط . فعندما بحث موضوع الحدود الآمنة في الكنيسة عام ١٩٤٨ ، سخر بن جوريون من العضو الذي أثاره وقتئذ قائلاً: ان هذا الاقتراح غير عملي ، اذ من الصعب تحديد حدود آمنة لاسرائيل ، لانه اذا نزح اليها عدد أكبر من المهاجرين ، فان اسرائيل سوف تحتاج الى مساحة أكبر من الارض .

وقد ظل هذا الفكر الاسرائيلي مسيطرًا على عقليتها حتى نسفته حرب أكتوبر . والدليل على استمرارية هذا الفكر ، ما قاله موشى ديان قبل الحرب : ( لا أعرف حدودا لاسرائيل الا حدود النوراه ) . وما قاله أيضا عزرا وايزمان عندما كان وزيرا للمواصلات : ( لا أعرف حدودا لاسرائيل سوى حدود هيرتزل التي رسمها في خريطة معينة من النيل الى الفرات ) .

بل ان هذا الفكر ظل مسيطرًا على العقلية الاسرائيلية حتى ان الكاتب اليهودي الالماني ميكائيل حاييم ، تصصور في روايته ( مياه أسوان ) أن اسرائيل قادرة على الوصول الى السد العالي ورفع علمها عليه ، وتحقيق حلمها الذي يمتد من النيل الى الفرات .

لقد انهار ذلك كله بالزلزال الذي حدث . وصار ( يوم الغفران ) . أو يوم كيبور . هو يوم الحزن في اسرائيل والذي لن تنساه ابدا .



اجمع الخبراء العالميون على أن معركة أكتوبر تعد واحدة من أكبر معارك التاريخ العسكري الحديث . لا تقل عن كبريات معارك الحرب العالمية الثانية ، ومعارك الدول الكبرى عموماً .

كذلك أجمعوا على أن ملحمة المعركة المصرية في سيناء جاءت - وبكل المقاييس - قطعة مذهلة من الاستراتيجية الممتازة في جميع مراحلها : العبور ، اجتياح خط بارليف ، رهوس الجسور ، القاعدة الأرضية . ولهذا فإن على أكاديميات العالم العسكرية أن تستوعب درسي العبور جيدا .

ان حرب رمضان غيرت الاستراتيجية العسكرية في العالم كله ، حتى باتت القيادات العسكرية في الدول الكبرى تعكف على دراسة وتحليل حرب رمضان ، كما أنها أوقفت انتاج الاسلحة التي ثبت علم جدواها .

وهكذا جاءت حرب العبور تكذيبا عمليا لادعاء اسرائيل ، وضربة لاوهامه النظرية . كما جاءت لتثبت القدرة العربية على التخطيط الثاقب والواق ، بل الانضباط المطلق والتنفيذ الدقيق .

وكما قال أحمد بهاء الدين في كتابه : ان هزيمة يونيو ، لم تجعلنا نركع - كما كانت تريد اسرائيل - ولكن ظل سيفها مصلت فوق رهوسنا ، قريبا جدا من أعناقنا . وحرب أكتوبر كسرت هذا السيف المسلط وخطمت القيد الذي كان يكبلنا .

ونضيف الى هذا ما قاله تشرشل الحفيد مؤلف كتاب ( حرب الستة ) ، فهو يقول : لقد فوجيء جنرالات اسرائيل وهم غافلون!! ويرجع ذلك أساسا الى ما كانت تشعر به اسرائيل من نشوة لانتصارها في ١٩٦٧ . كذلك فإن اسرائيل لم تكن مستعدة لمواجهة هذا النوع من الحرب الذي خاضه العرب بالسلح الحديث . فاسرائيل ظلت تعتمد في استراتيجيتها على انتصاراتها بالطائرات والمدافع ، كما حدث في عام ١٩٦٧ . بينما أغفلت المدفعية والمشاة ، وهما السلاحان اللذان تحملا عنف الهجوم .

لقد كان انتصار اسرائيل السهل في عام ١٩٦٧ - كما يرى الهيثم الايوبى - أكبر أعدائها ، وأخطر ما تعرضت له في حياتها .

فهزيمة يونيو علمت العرب دروسا كثيرة ، وكانت أفضل حلفائهم في الحرب الرابعة • بمعنى أنه انطبقت على الصراع العربي الاسرائيلي قاعدة أثبتتها التاريخ العسكري أكثر من مرة ، وهي أنه يندر أن ينعلم المنتصر الكثير من انتصاره • أما المهزوم فهو أكبر المتعلمين من الهزيمة • فالعرب قد استفادوا من هزيمتهم في ١٩٦٧ ، بأفضل مما تعلم الاسرائيليون من انتصارهم •

وهكذا جاءت الحرب انجازا كبيرا لترد على الذين قالوا عنها أنها حرب ( تحريك ) • لا حرب ( تحرير ) • فالحرب وضعت القضية العربية بصفة عامة ، والقضية الفلسطينية بصفة خاصة في وضعها الصحيح •• بل انها كانت - وبحق - البداية لتحرير سيناء •• وهذا ما أثبتته الأيام •• والبداية أيضا للحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة ، بما فيها القدس العربية • ثم ان هذه الحرب اثبتت بما لا يدع مجالا لأى شك أن خطوط ١٩٦٧ ليست هي الخطوط الآمنة كلية ، وأنه لا يمكن تحقيق أمن اسرائيل ألا بعد التوصل الى سلام حقيقى •

وهذا بالطبع يتفق مع الهدف العسكري للحرب ، والذي أشار اليه مؤلفو كتاب ( حرب رمضان ) •• حيث قالوا ان الهدف كان هو : هزيمة تجمع قوات العدو الاسرائيلي في سيناء والهضبة السورية ، والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية ، تهيب الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الاراضي المحتلة بالقوات المسلحة ، ولغرض الحل السياسى العادل للمشكلة • وبناء على هذا الهدف الواضح كان على القيادة المصرية أن تخطط للقيام بعملية هجومية استراتيجية مشتركة ، تنفذ بالتعاون مع القوات المسلحة السورية ، وتقوم فيها مصر بالاقتحام المدبر لقناة السويس ، وتدمير خط بارليف ، والاستيلاء على رموس كبرى بعمق ١٠-١٥ كيلو مترا على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة ، وصد وتدمير هجمات العدو المضادة ، والاستعداد لتنفيذ

أى مهام قتالية أخرى تكلف بها فيما بعد . أما سرورية فتشن الهجوم وتخترق دفاعات العدو بالجولان ، وتجزى تجمعاته وتدمر قواته وتصل الى الخط : نهر الاردن ، والشاطئ الشرقى لبحيرة طبرية .

وقد نجحت القوات المصرية فيما أوكل اليها من مهام . . وكان النجاح رائعا بشهادة كل الشهود من الخبراء والمعلقين العسكريين ، وحتى من المهزومين الاسرائيليين أنفسهم .



لكن كيف سارت الحرب . . فى سيناء ؟ :

بدأت الحرب بضربة جوية كبرى : ٢٤٠ طائرة من القاذفات المقاتلة انطلقت الى أعماق سيناء ، لتدك مطارات العدو وقواعده فى الميز ، وتماده ، والجبجبة ، والقاعدة الجوية فى العريش فى الشمال ، ومطار رأس نصرانى فى الجنوب ، ثم مراكز التشويش فى أم خشيب ، وأم مرجم ، والطاسة ، وغيرها على المحور الاسط .

وفى نفس اللحظة ٤٠٠٠ مدفع كاملة تنطلق ، مضافا اليها قوة صواريخ أرض - أرض ، تضرب فقط خط بارليف الحصينة ، وبطاريات المدفعية ، وتجمعات الاحتياطى الامامية والخلفية ، التكتيكية منها والتعبوية . . هذا فضلا عن انطلاق الآلات الهيدروليكية لهدم الساتر الترابى .

وتحت هذه النيران كلها ، كانت مرحلة العبور الاولى . فقد انزلق الى الماء - ماء القناة - ألف قارب مطاط ، بالاضافة الى العربات البرمائية ، تحمل المهندسين والفنيين لكبارى والمعابر ولفتح الثغرات فى الساتر الترابى ، ولابطال مفعول أنابيب النابالم . هذا بالاضافة الى المشاة والصاعقة والكوماندوز ، لتأمين رموس الجسور ، والتعامل المباشر مع طلائع العدو ، وصد وتصيد دباباته ، وبث الالغام فى مصاطبها لمنعها من الحركة والتدخل .



وكانت النتيجة لهذه العملية الجماعية ، سبق ٨٥ ثغرة في الساتر الترابي ، واقامة حوالى عشرة من الكبارى العائمة الثقيلة ، و ١٠ أخرى للمشاة ، ونحو ٥٠ معدية ، على طول القناة البالغ حوالى مائة ميل أو حوالى ١٨٠ كيلو مترا .

وهكذا نجحت عملية العبور التاريخي ، وتدفق المد المصري كالطوفان نحو الضفة الشرقية للقناة . .

وإذا كان العبور ، هو الخطوة الاولى فى المعركة - كما يقول د . جمال حمدان - فقد كان بمثابة عبور للهزيمة ، وكان نجاحه بمثابة هزيمة للهزيمة . فالواقع أن العبور كان مفراج المعركة ومفتاح النصر .

لقد فال الجنرال جونين قائد جبهة سيناء يصف عبور الجيش المصري على جنوده :

كان الجندي المصري يتقدم فى موجات تلو موجات ، وكنا نطلق عليه النار وهو يتقدم ، ونحيل ما حوله الى جحيم . . ورغم ذلك ظل يتقدم . .

وكان خط بارليف يتكون من ٢٢ موقعا حصينا ، ويتألف من حوالى ٣٠ نقطة قوية تبدأ من الشط ، وتنتهى عند رأس العش . وهذه النقطة يتراوح البعد بينها وبين الاخرى بين ٤ و ١٠ كيلو مترات . وهى نقط اقامها العدو الصهيونى لمنع العبور أساسا . وهى كلها تقترب من رؤوس المحاور ، وهى : الجنوبي ، والاورسط والشمالى .

كانت أول نقطة سقطت فى يد الجيش الثانى هى نقطة الكيلو ١٩ جنوبى بور سعيد . كما أن أول نقطة سقطت فى يد الجيش الثالث هى نقطة الشط .

وكما ظهر ، فإن خط بارليف لم يكن هو خط الدفاع الوحيد

على جبهة القتال . كان هناك خطان دفاعيان آخران خلف خط بارليف ، ويفصل بين كل منهما بين ٣ و٤ كيلو مترات . وكان الخط الثاني هو الخط الاحتياطي التكتيكي . أما الخط الثالث فكان الخط الاحتياطي التعبوي . وقد تم هدم الخطوط الثلاثة ، في الأيام الثلاثة الأولى من القتال .

وقد كانت حصيلة الأسبوع الأول للقتال ، تحرير منطقة أرضية بطول قناة السويس ، يتراوح عمقها ما بين ١٠ و ١٨ كيلو مترا .

أما أكبر معارك الدبابات ، فقد بدأت قبل يوم ١٥ أكتوبر ، وبلغت قمتها في يوم ١٥ أكتوبر نفسه . وهذه المعركة الفريدة في التاريخ العسكري العالمي ، استمرت عشرة أيام كاملة ، أى حتى يوم ٢٥ أكتوبر . وقد اشتركت فيها من الجانبين حوالى ٣٠٠٠ دبابة . لقد تجاوزت هذه المعركة كل حروب المدرعات . إذا اشترك فيها الكثير من الأسلحة غير المدرعات .

كان ( الطوفان ) المصرى مزلزا و رهيبا . حتى أن إسرائيل انهارت ، الى أن دخلت أمريكا المعركة مباشرة ، فكانت إمداداتها تهبط في مطار العريش وتنقل مباشرة الى ساحة المعركة . وكانت طائرات أمريكا أو الحاملات الضخمة المعروفة باسم ( جلاكسى ) . تأتي بالمدد المستمر ، فقد كان هناك جسر جوى أمريكى بين العريش وبين مخازن الأسلحة الأمريكية فى أماكن تجمعاتها فى دول حلف الأطلسي .



فى حديث له ، قال الرئيس أنور السادات : ( سوف يجرى اليوم الذى نجلس فيه لنقص ونروى ماذا فعل كل واحد منا فى موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وأدى دوره ، وكيف خرج الأبطال من هذا الشعب وهذه الأمة . فى فترة حالكه ، يحملون

مشاعل النور ، حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر بين اليأس والحياة ٠٠ )

والواقع أن مصر بعبورها القناة ، قد عبرت نهائيا الجسر بين اليأس والحياة ، بل أنها أغرقت اليأس فى مياه القناة ، لتبدأ حياة جديدة فى سيناء ومن سيناء ٠

فرغم أن القتال ، بعد أن أطال أمد التدخل الأمريكى ، قد توقف ، فانه توقف فى يوم ٢٢ أكتوبر بعد أن كانت مصر قد وضعت أسس وقواعد التحرير لشبه الجزيرة ٠ فقد كان الموقف كالاتى فى يوم ٢٢ أكتوبر :

كان الشاطئ الشرقى للقناة برمته من رأس مسلة على خليج السويس ، وحتى بور فؤاد بطول ٢٠٠ كيلو متر ، وبعمق يتراوح ما بين ١٢ و ١٧ كيلو مترا شرقا ، بما فيها القنطرة شرق تحت يدى قوات مصر الباسلة ٠ وهذا بالطبع لا ينسبنا عملية الثغرة فى غرب القناة ، والتي تراوح عمقها ما بين ٧ و ٨ كيلو مترات ٠ لكن هذه الثغرة لا تهم فى سير معركة تحرير سيناء ٠ فكما وصفها الجنرال أندريه بوفر : ( كانت عملية شارون مظاهرة تلفزيونية لا أكثر ولا أقل ) ٠٠ وهذه العملية كادت تحدث معركة أخرى بعد توقف القتال ٠٠ لولا محادثات الكيلو ١٠١ التى أنقذت جنود اسرائيل فى الثغرة ٠ ثم كانت اتفاقية فض الاشتباك الاولى والثانية ٠٠ حيث سلمت اسرائيل بالانسحاب المباشر من جميع الاراضى الواقعة غربى خط يوازي قناة السويس بطول امتدادها ، ويبعد عنها ٣٠ كيلو مترا ٠٠

والحقيقة أن حرب أكتوبر ، كما قال الرئيس أنور السادات : ( غيرت التاريخ ، ليس فقط فى بلدنا أو أمتنا ، وانما غيرت تاريخ العالم كله ) ٠

ان حرب أكتوبر جعلت العرب يبدأون منعطفا جديدا فى

تاريخهم كقوة سادسة .. كانت الحرب ، يقدر ما جرى فيها من تنسيق للعمليات الحربية ، ذلك التنسيق الذى أعده جيل أكتوبر بحنق ومهارة .. بقدر ما كان فيها من تضامن عربى ، وخاصة بالنسبة للبترول بالذات .. لدرجة - وكما قال وولتر لاكير فى كتابه "خرب يوم كيبور" - ان قوة البترول جلبت التضامن بين العرب . ويبدى كل الحق فى استعمال هذا السلاح . ألم يحتكر اليهود مئة طويلة ، المال فى كل أنحاء العالم ؟

والواقع أنه لأول مرة يظهر الوجه السياسى للبترول العربى ، بعد أن كان قوة اقتصادية يستفيد منها الغرب وهو مطمئن . لقد اكتشف الغرب أن البترول سلاح سياسى جبار ، وأن العرب يستطيعون استخدام هذا السلاح بحنق ومهارة .

ان العالم بعد معركة أكتوبر ، ليس هو العالم قبلها .

لقد خلقت سيناء ، قدس أقداس مصر ، موقفا جديدا من أجل القضية العربية ، وهدمت نظرية الامن الاسرائيلى من أساسها تلك النظرية التى حلمت بها وآمنت بها منذ بدأ الصراع العربى الاسرائيلى .. (ب) ان سيناء فتحت الطريق للسلام فى المنطقة .

الفصل السابع

السلام

اصعب المعارك



لم تحارب مصر فى سيناء من أجل الحرب ، وإنما من أجل الحق والسلام . . هذا بالرغم من أن حرب أكتوبر - أو حرب كيפור كما يسميها الاسرائيليون - قطعت الذراع الطويلة لاسرائيل التى كانت تتباهى بها ، وهدمت نظريتها فى الامن .

والدليل على أن مصر حاربت من أجل السلام ، ما قام به الرئيس أنور السادات فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ومصر فى قمة الانتصار . فقد نادى فى مجلس الشعب المصرى ، بأنه يفتح القلب والعقل للسلام العادل فى المنطقة . ومصر دولة تمشق السلام ، وهو نابع من ديننا ومعتقداتنا . كما أن ذات عقل راجح ومتسع ، وقيادتها تفهم أبعاد اللعبة السياسية ، وتدرك المتغيرات الدولية .

ان مصر لا تطلب سوى تحرير الاراضى العربية التى احتلت فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، واقامة الدولة الفلسطينية بما فيها القدس العربية . . وهو هو الدافع الى القتال . بمعنى أنه قتال حق ، لا قتال عدوان . . وهذا يختلف مع الاستراتيجية الاسرائيلية ومع الفكر الاسرائيلى ، الذى يعتبر كل أرض احتلت فى عام ١٩٦٧ هى أرض اسرائيلية محررة . . كما يقول مناحم بيجين فى كتابه ( التمرد . . قصة الارجون ) والذى نشرته فى عام ١٩٧٨ هيئة الكتاب فى مصر .

ايضا فان الاسرائيليين منذ انتصارهم فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ملأوا الدنيا ضجيجا وعجيجا بأجهزة اعلامهم الزكية ، من أن هذه الاراضى التى احتلوها ، هى ضرورة حيوية لامن اسرائيل وسط بحر الكراهية العربى ، هؤلاء العرب الذين يريثون القاء اسرائيل فى البحر . بل ان اسرائيل أشاعت أن العرب لا يريدون السلام . بل ان جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل أيام حرب أكتوبر قالت : ( ان الحكام العرب يدعون أن هدفهم محـدد

بالوصول الى خطوط الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، ولكننا نعرف أن هدفهم الحقيقي هو القضاء كاملا على دولة اسرائيل ) .

والواقع أن الذي ساعد اسرائيل على دعم هذه الغريات التي افترتها على العرب ، تلك الاختلافات والمزايدات بين الانظمة العربية ، وهذه التصريحات اللا مستولة من الذين ينتمون الى العرب .

وحين بدا أن السلام وشيك ، وأن مؤتمر جنيف للسلام سينعقد .. كانت الاختلافات البيزنطية على أمور شكلية حول المؤتمر . وكان مؤتمر جنيف حلا يقترب من السلام ، وهو حل دولي أمريكي سوفيتي .

وجنوب كان فيه تيارات : اختلاف العرب على وفد واحد متحد ، او عدة وفود .. وعلى أوراق سوفيتية وأخرى أمريكية . وإذا عرفنا أن اسرائيل أصلا لم تكن تريد مؤتمر جنيف للسلام .. فإن تلك الاختلافات قد أعطتها ذريعة للتملص من الذهاب الى جنيف .

والحقيقة أن اسرائيل بعد حرب أكتوبر كانت تخشى السلام الحقيقي ، أكثر مما تخشى الحرب ، وتفضل حربا دموية غير مضمونة على سلام دائم قائم على العدل . ولا تعترف بالسلام الا كمناوره سياسية مضادة . وهكذا ، فعلى حين تعلن مصر أن على اسرائيل أن تختار بين السلم أو الحرب ، فإن اسرائيل لم تقدم الا لعبة السلام المراوغ ، أو المراوغة السياسية ، ولا تملك الا استراتيجية السلام الكاذب .

وكما يقول د. جمال حمدان في كتابه ( ٦ أكتوبر .. ) بطريقة ذكية : ( حقيقة الامر أن اسرائيل في قرارة نفسها ، تبني في الشرق الاوسط نظرية الدومينو ، تلك التي كانت أمريكا تبنيها في الشرق الأقصى ، والتي تقول ان فقد قطعة من الارض للخطر الشيوعي في جنوب شرقي آسيا ، يؤدي الى فقد قطعة أخرى ، وثالثة .. وهكذا ، حتى تسقط المنطقة جميعها . وبالمثل .



تعتقد اسرائيل أن تنازلها عن الاراضى العربية المحتلة اليوم سيعقبه  
حتما تنازل عن جزء من فلسطين غدا ، ثم عنها كلها بعد غد ٠٠ )  
ومن هنا جاءت محاولات اسرائيل المستميتة في افشال أية  
جهود للسلام القائم على الحق والعدل ، وعلى عودة الارض العربية  
المحتلة ٠٠

لقد بذل أنور السادات جهودا خارقة ، لكى يشرك أوروبا  
وأمریکا فى محاولات السلام ، وفى طرح وجهة النظر العربية التى  
كانت غائبة عن العقل الاوروبى والامريكى . فما أكثر الرحلات التى  
تعددت للرئيس السادات حاملا القضية بنقلها على كتفيه لكى  
يعرضها بصلق على الملوك والرؤساء وعلى شعوب ٠٠

وقد نجح أنور السادات فى حث الارض وتمهيدها ، وفى  
اقناع العالم بقضية العرب ، بل ان السادات استطاع أن ينقل  
عدالة القضية العربية الى قلب المواطن الأمريكى ، بل الى ( اللوبى )  
اليهودى داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، معقل الصهيونية  
وحامى حماها . لقد استطاع السادات فك وخلق العلاقة العضوية  
بين أمريكا واسرائيل ، وأن يجعل رئيس أمريكا يصرح - ولأول  
مرة منذ ٢٥ سنة - بأن السلام ممكن فى المنطقة . كما استطاع  
من خلال الأمم المتحدة ، ومن الزيارات والمباحثات لدول العالم ، أن  
يجعلها تعترف بالوجود الفلسطينى أولا ٠٠ وبأن منظمة التحرير  
الفلسطينية هى المعبّر عن الشعب الفلسطينى .

ومع هذه الجهود كلها فان اسرائيل ظلت تراوغ وتماطل ،  
لا تريد سـلاما ٠٠ بل تريد حالة من اللا سلم واللا حرب  
التى كانت قبل حرب أكتوبر ، اقتناعا منها بأن العرب قوم سرعان  
ما ينقلبون على أنفسهم وينسون قضاياهم المصرية .

ووصل الامر فى أواخر عام ١٩٧٧ ، وكان جولة خامسة من  
الحرب تلوح فى الأفق بين مصر واسرائيل ، وتوشك على الوقوع .

فعلى الجانب الاسرائيلى كان العمل المضاد لجهود السلام ومحاولة نسف المساعي الصادقة التى قامت بهما مصر ، واذاغت اسرائيل أن العرب يعدون أنفسهم للحرب .  
وعلى الجانب المصرى ، قال الرئيس السادات فى خطاب له :  
( اننى لا أهدد أحدا . ولكن على الجانب الآخر - أى الاسرائيلى - أن يدرك أنه لن يستطيع البقاء فى بلادى ، الا اذا كان يفكر فى حرب أخرى بالطبع ) .

وتواترت الانباء وطيرتها وكالات الانباء ، بأن الجانبين العربى والاسرائيلى يستعدان بتسليح المكثف المخيف .. لجولة خامسة .  
وفجأة تلوح فى الافق ( مبادرة السلام التاريخية ) .. التى قام بها الرئيس أنور السادات الى القدس .



المبادرة التاريخية الى القدس ، كانت زلزالا آخر .. مثلما كانت حرب أكتوبر .. كانت المبادرة لحظة تاريخية هزت ضمير العالم .

لقد استغرقت هذه المبادرة ثلاثين ساعة وقف العالم كله وقلبه يخفق لهذا الحدث الحضارى الذى لم يحدث له مثيل من قبل .

كانت المبادرة ابداعا تاريخيا لقائد موهوب بحق ، عميق الاحساس بضمير شعبه الحضارى التليد . كما كانت عملا محسوباً بدقة عميقة .

وقد استهدفت المبادرة شيئين أساسيين :

أولهما : أن تعود الحقوق العربية الى أصحابها .

والثانى : أن تكون هناك مبادئ انسانية تضمن لكل شعوب المنطقة

العيش فى سلام ، وتقف النزيف الدموى المراق ، ثم نزع الفتيل المتفجر فى المنطقة التى شهدت عدة حروب دامية .

لقد أراد السادات مواجهة العدو الصهيونى مباشرة وجهها لوجه . ومادام العرب كان من المقرر أن يجلسوا مع الاسرائيليين فى جنيف ، فلماذا لا يجلسون اليهم فى القدس أو فى القاهرة ، أو فى أية عاصمة عربية . أراد السادات أن يقف المدلهمة التى كانت على وشك الوقوع ، ويكسب الوقت الثمين ، ويصل الى جوهر الموضوع مباشرة .

ولقاء الاسرائيليين مباشرة ، وليس من وراء حجاب ، لم يكن بدعة ابتدعها أنور السادات . فقد التقى السوريون والاردنيون واللبنانيون والمصريون أكثر من مرة بالاسرائيليين فى السرمند عام ١٩٤٨ ، أو منذ وقعت كارثة فلسطين .

والذى يدرس ، ( البحث عن الذات ) بعمق . . ويدرس الكتب التى ألفها السادات قبل ( البحث عن الذات ) ، يجد أنه انسان - قبل أن يكون رئيسا - لديه اقتناع جازم أنه لا يمكن اخفاء شئ، يتعلق بقضية المصير . فالسادات دائما ، وكما عاصرناه يختلف عن كثير غيره بوضوحه وعلايته واستقامة منهجه ، ولا يعمل بوجهين . وهو دائما لا يتخلى عن مبادئه وعن قيمه ، وهى قيم ومبادئ القرية المصرية المتميزة . لا يعرف المزايدة على حقوق شعبه وحقوق أمته العربية .

ولم يذهب السادات الى القدس باسم مصر وحدها ، ولو كان قد ذهب لكان معه الحق ، وانما ذهب باسم الامة العربية وحدها . وهو لم يسع الى حل منفرد ، كان يستطيع أن يناله لشعبه فى مصر بلا مجهود أو معاناة . كما لم يذهب ليعطى ظهره للامة العربية أو لينزع عن مصر غروبها كما ادعى البعض للأسف ، هؤلاء الذين لا يعملون ، ويؤذى نفوسهم أن يعمل الناس . . انه ذهب يحمل

رسالة مصر وأمة العرب ، تلك الرسالة التي حملتها مصر منذ أن  
أخضر الإسلام في قلبها .

ولذلك فحقاً ما قاله السادات في القدس . . . ان الامة العربية  
لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف  
أو اهتزاز ، بل انها على العكس تماماً تملك من مقومات القوة  
والاستقرار ، ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ،  
صادرة عن ادراك حضارى ، بأنه لكي نتجنب كارثة محققة ، علينا  
وعليكم وعلى العالم كله ، فانه لا بديل عن اقرار سلام عادل ،  
لا تزعزعه الانواء ، ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد  
أو التواء النوايا ) .

كانت المبادرة شيئاً لم يطرأ في ذهن انسان غير أنور  
السادات .

بل انها كانت ، وكما وصفها أحد الحاخامات اليهود : ( حدث  
من فعل الله ، وليس من عمل انسان ) . . ووصفتها مجلة ( تايم )  
الامريكية قائلة : ( لم يكن الامر يبدو أقل احتمالاً أو توقعا ، فقد  
بدا كما لو أن رسولا من عند الله نزل الى أرض الميعاد على بساط  
سحري ) . وكانت المبادرة قبل كل ذلك شجاعة نادرة من قلب  
مؤمن لا يحسه الا من درس السادات ونفسيته وحياته وتاريخه .

لكن ماذا قال السادات للاسرائيليين في عقر دارهم ؟

قال السادات أمام ممثلي الشعب الاسرائيل في الكنيست في  
٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ :

( لقد أصبحت اسرائيل حقيقة واقعة اعترف بها العالم ،  
وحملت القوتان الاعظم مسئولية أمنها وحماية وجودها . . ) وقال  
أيضا : ( اننا لا نقبل عقسد اتفاق منفرد بين مصر واسرائيل ،  
ولا نقبل سلاما جزئيا ، ولا اتفاقية تالفة لفض الاشتباك ان أرضنا

لا تقبل المساومة ، وليست عرضة للجدل ، لا يملك أى منا أو يقبل أن يتنازل عن شبر واحد فيه ، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه . هناك أراض عربية احتلتها - لا تزال تحتلها - اسرائيل بالقوة المسلحة . ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية . ليس من المقبول أن يفكر أحد فى الوضع الخاص لمدينة القدس ، فى إطار الضم أو التوسع ، وانما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين . أن تلك المدينة يجب ألا تفصل عن هؤلاء الذين اتخذوها مقرا ومقاما لعدة قرون . يجب ألا يخطئ أحد فى تقدير الاهمية والاجلال اللذين نكنهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين ( .. )

ويقول أنور السادات للاسرائيليين أيضا :

( ان الانسحاب الكامل من الارض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ أمر بديهى لا نقبل فيه الجدل ، ولا رجاء فيه لاحد أو من أحد . ان السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين . وقضائية شعب فلسطين ، وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد ، بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو انكار . لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى اقامة دولته وفى العودة . لا داعى للدخول فى الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطينى ، ولا جدوى من خلق العقبات ، الا أن تتأخر مسيرة السلام أو أن يقتل السلام . اللغة الواحدة لمعالجة المشكلة الفلسطينية هى أن تقوم دولتها ) .

وختم أنور السادات خطابه الى الكنيست الاسرائيلى قائلا :

( لتتجه الجهود الى بناء صرح شامل للسلام ، بدلا من بناء القلاع والمخابىء الحصنة بصواريخ الدمار . . قدموا للعالم كله صورة الانسان الجديد فى هذه المنطقة . بشروا ابناءكم أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام . وأن ما هو قادم هو البداية للحياة الجديدة ، حياة الحب والخير والحرية والسلام . . )

( ويا أيتها الام النكلي ، ويا أيتها الزوجة المترملة ، ويا ايها الابن الذي فقد الاخ والاب .. يا كل ضحايا الحرب .. املأوا الارض والفضاء بتراتيل السلام ، املأوا الصدور والقلوب بآمال السلام ، اجعلوا الانشودة حقيقة ، تعيش وتثمر .. اجعلوا الامل دستور عمل ونضال ، وارادة الشعوب هي ارادة الله ) .

ويقول السادات للاسرائيليين والاسرائيليات مخاطباً :  
( لقد جئت اليكم اليوم على قنعين ثابتتين لكي نبني حياة جديدة ، لكي نقيم السلام . وكلنا على هذه الارض ، أرض الله ، كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود ، نعبد الله ولا نشرك به أحداً ..  
وتعاليم الله ووصاياه هي حب وصدق وطهارة وسلام ) .



والواقع أنه اذا كانت مبادرة السادات التاريخية الى القدس قد هزت وجدان العالم ، فانها وضعت القادة الاسرائيليين - وعلى رأسهم مناحم بيجين رئيس الوزراء - بين فكي الكماشة . بل هي وضعت نهاية للمراوغات السياسية أو السلام المراوغ كما سبق أن ذكرنا .

واعتقد أن هذه المبادرة كانت قمة الحصار السياسي الذي التف حول اسرائيل ، كما يلتف الحبل حول عنق المحكوم عليه بالاعدام ، ان جاز هذا التعبير . فلقد كانت هذه المبادرة - كما اعتقد - موجهة الى شعب اسرائيل والى قادة اسرائيل بالدرجة الاولى .

كما اعتقد أيضاً - كدارس للحركة الصهيونية - أن مبادرة السادات للقدس جاءت في وقتها المناسب ، والمناسب جداً .. خاصة بالنسبة للقيادات الاسرائيلية ذوى الثقل السياسي عند الشعب الاسرائيلي . فمناجم بيجين من جيل القادة القدامى الذين بنوا اسرائيل ، أو هو آخر أبناء هذا الجيل بالمعنى الاصح .

ولقد كان لبيجين دور خطير ، ومفاهيم عتيقة ظل يمتنقها ، وربما لا يزال - بالنسبة لفلسطين وللارض الفلسطينية ، ضمنها كتابه ( التمرد .. قصة الارجون ) .. ذلك الكتاب الذى أوردنا بعضا من تفاصيله فى كتابنا ( اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ) ، والذى صدر فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٩ ، فى الذكرى الثانية لنكسة يونيو عام ١٩٦٧ .

فمناحم بيجين من أشد الدعاة المتعنتين لفكرة التفوق الصهيونى ، وحق اليهود فى أرض الميعاد ، ومن أشد معتنقى مذهب القوة فوق الحق ، والغاية تبرر الوسيلة ، مذهب مكيافيللى ، وأنه لا وسيلة لتحقيق الحلم الصهيونى سوى العنف والدماء وحمل السلاح بصفة دائمة .. للدرجة أنه كان يقول لشبيب عصاه ( الارجون ) .. ومن يست منكم وهو يحارب العرب ، فسوف يبقى خالدا فى مخيلة اليهود .. !!

وبيجين تلميذ مخلص لافكار زعيم التصحيحين : أو اقصى اليمين - فى المنظمة الصهيونية العالمية فى الثلاثينيات ، وهو فلاديمير جابوتنكس ، الذى التقى به بيجين عام ١٩٢٨ وأعجب به ، وأعتنق نظريته التى تؤمن بالعنف المطلق . وبيجين أيضا بلور هذه النظرية فى قوله : ( أنا أحارب .. اذن فأنا موجود ) .. على غرار منهج الشك الديكارتى ( أنا أشك ، اذن فأنا موجود ) .. !!

كذلك فهناك الكثير من معتنقات بيجين التى بنىها فى منظمته الارهابية ، التى تحولت الى حزب ( حيوت ) الذى ترعيه بيجين ، حيث من مبدئها ( كن أخى والا قتلتك ) .. بل كان يبيت فى الشباب قوله : ( لن يكون هناك سلام لشعب اسرائيل ، ولا فى أرض اسرائيل ( ارتز اسرائيل ) ، ولن يكون سلام للعرب أيضا ، ما دمتنا لم نحرر وطننا بأكمله ، حتى لو وقفنا مع العرب معاهدة صلح ) .

وبيجين وجماعته ، هؤلاء من الصقور المؤمنين بإسرائيل

الكبرى ، حتى أن شعار منظمة ( الارجون ) كان خريطة كبيرة المساحة تمتد من النيل الى الفرات ، وعليها بندقية جاهزة للانطلاق ، وتحتها كلمتا ( وراك كاخ ) .. اى ( هكذا فقط ) .. وكان من عقيدتها أن الهجوم على العرب لا يعتبر عدوانا ، وانما دفاعا ما النفس ) .

ولم تهاجم الارجون العرب وحدهم بل هاجمت بريطانيا لاصدارها الكتاب الابيض فى عام ١٩٣٩ ، وهى التى نسفت فندقا الملك داوود فى ٢٢ يوليو ١٩٤٦ . كما أنها فى أول مارس ١٩٤٨ نسفت نادى الضباط الانجليز فى القدس ، وهى أيضا التى اختطفت الانجليز وبيعهم وحبسهم .. مما زعمت حرب سرقة الاسلحة البريطانية لتضرب بها العرب . والارجون مع عضابة شترن هى التى دبرت ملبحة دير ياسين فى ١٠ ابريل ١٩٤٨ حيث بلغ عدد ضحاياها حوالى ٢٠٠ ضحية كما يروى القائد عبد الله التل فى كتابه ( كارثة فلسطين ) . وقد قال بيجين دون خذى : ( نولا النصر فى دير ياسين لما كانت دولة اسرائيل ) . لقد كانت دير ياسين كما يقول الكاتب اليهودى الفريد ليلينتا فى كتابه ( الوجه الآخر للعملة ) .. حمام دم رهيب ..

ولكى نقترّب من فكر بيجين أكثر نقول :

انه فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وجه مناحم بيجين خطابا الى اليهود فى اسرائيل بمناسبة قيام الدولة ، قال ضمن ما قاله فيه بالحرف الواحد ( .. ومن لا يعترف بحقنا الطبيعى فى وطننا كله ، فهو لا يعترف بحقنا فى أى جزء منه ، ولن نتنازل مطلقا عن هذا الحق ، بل سنظل ساهرين على العمل لتحقيق استقلال الوطن اليهودى بأكمله ) .

ولقد ظل بيجين يردد هذا المعنى ، حتى أنه فى عام ١٩٦٨ وبعد عام من نكسة يونيو ١٩٦٧ قال : ( ان شرط الامن الاساسى



لاسرائيل هو الاحتفاظ بسيطرة اسرائيل على المناطق التي احتلتها ، والاستيطان الواسع النطاق في مناطق الضفة الغربية - يهودا والسامرة - وغزة والجولان وسيناء ) .

وفي عام ١٩٧٠ كان لدى بيجين اقتناع بأن الارض العربية المحتلة ما هي الا مناطق محررة اسرائيلية ، حتى أنه طالب - ولم يكن في السلطة - بأنه من أجل ضمان سيادة اسرائيل على جميع ( المناطق المحررة ) !! يجب تطبيق انقانون والقضاء والادارة الاسرائيلية عليها .

وحتى عندما جاء بيجين الى السلطة في مايو ١٩٧٧ ٠٠ لم يغير شيئا من معتقداته رغم المتغيرات الدولية والمحلية في المنطقة ، ورغم حرب أكتوبر ، ورغم مساعي السلام ، بل كان يؤمن كما قال : ( ان استيطان شعب اسرائيل على نطاق واسع في يهودا والسامرة - كما يسميها دائما - وفي غزة والجولان وسيناء ، لا بد وان يكون في مرتبة القداسة لدى اليهود ) .

هذا الفكر الصهيوني المسيطر على بيجين وعلى صقور اسرائيل كان هو السبب في تعثر المباحثات ، والسبب أيضا في تلك المزاوغات ، وتعثر مسيرة السلام ١٦ شهرا عصبية ، بذلت فيها مصر وقائدها أنور السادات المستحيل ، وطرقت كل السبل . فقد كان اصرار بيجين دائما ، الذي يصل اليه الى درجة اليقين ، أن تظل شئون الامن والنظام العام في الضفة الغربية وغزة بيد السلطة الاسرائيلية ، وأن تظل السيادة في يهودا والسامرة بيد الاسرائيليين ، وأن يكون من حق اسرائيل امتلاك الاراضي في الضفة وغزة ٠٠ وكان مصرا أيضا على بقاء المستوطنات الاسرائيلية في أماكنها كشرط للتسحاب من سيناء .



وقد اطنبنا في شخصية متناحم بيجين ومعتقداته لكي ندلل بالبرهان القاطع ، على أن غزو السادات للقدس بمبادرته التاريخية

من أجل السلام ، جاءت على غير ما يريده صقور اسرائيل وعلى راسهم مناحم بيجين رئيس الوزراء . انهم لا يريدون السلام ... ولذلك أطلقوا ما فى جمعيتهم من سهام لكى يفشلوا مبادرة السلام بكل السبل والوسائل .

وحين ضيق عليهم السادات الخناق ليعريهم أمام العالم ، وليكشفهم أمامه بأنهم هم الذين لا يريدون السلام ، وليس العرب .. حاولوا الفكاك بكل الطرق ، وفى كل اللقاءات والمباحثات التى جرت : فى مؤتمر القاهرة التحضيرى بفندق مينا هاوس بالقاهرة فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٧ ، وفى لقاء الاسماعيلية فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٧ ، ثم خلال اللقاءات التى تمت عام ١٩٧٨ بدءا من مؤتمر كامب ديفيد الاول الى مباحثات قصر ليدز فى بريطانيا ، الى محادثات بروكسل ثم محادثات بلير هاوس ، ثم فى كامب ديفيد الثانى .. و .. و .. وخاصة حول قضية المستوطنات .

فى المؤتمر التحضيرى بالقاهرة ، الذى انعقد بحضور الامم المتحدة ، ومصر واسرائيل وأمريكا عرضت على مائدته مسائل أساسية للبحث هى : الانسحاب الاسرائيلى من الارض العربية التى احتلت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ كجزء من الحل الشامل . ثم الاتفاق على حدود معترف بها ، ثم المسألة الفلسطينية ، ومفهوم السلام ، ونوعية العلاقة التى ستنشأ بين العرب واسرائيل فى ظل السلام .

وفى ٢٥ ديسمبر كان لقاء الاسماعيلية بين وفد مصر برئاسة الرئيس أنور السادات ، ووفد اسرائيل برئاسة مناحم بيجين . وفى هذا اللقاء أبلغ مناحم بيجين الرئيس السادات ، بأن مجلس الوزراء الاسرائيلى وافق على إعادة سيناء كاملة كمنافذة من اسرائيل لكن الرئيس السادات رفض الموافقة على استعادة سيناء المصرية .. الا اذا ارتبط ذلك بالحل الشامل والكامل للقضية الفلسطينية . وانتهى اللقاء بتكوين لجنة عمل مصرية - اسرائيلية ، ورفع التمثيل

فى مؤتمر القاهرة الى مستوى الوزراء ، وتكوين مجموعتى عمل  
سياسية وعسكرية يرأسهما وزيران من كل جانب ويجتمعان  
بالتناوب ، فى القدس والقاهرة .

ومع بداية عام ١٩٧٨ انعقدت اللجنة العسكرية فى القاهرة .  
كما انعقدت اللجنة السياسية بالقدس . وفى اللجنة السياسية  
التي حضرتها الولايات المتحدة كشريك ، كما حضرها الجنرال  
سيلاسفو المنسق العام لقوات الامم المتحدة فى الشرق الاوسط .  
قدمت مصر مشروعا من خمس نقاط على أساس تطبيق قرارى  
مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وتشمل : الانسحاب الاسرائيلى  
الكامل من سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة . وضمان سلامة  
الاراضى ، والاستقلال السياسى لكل دولة عن طريق ترتيبات أمن  
يتفق عليها . وتحقيق تسوية عادلة للمشكلة الفلسطينية بجميع  
جوانبها ، على أساس حق تقرير المصير . وانهاء دعاوى الحرب  
واقامة علاقات سلمية بين الاطراف .

على أن هذه المباحثات أكدت تعنت وهروب الجانب الاسرائيلى  
أو تهريبه من السلام ، والخلاف ظهر فى نقطتين أساسيتين : تفرعت  
بهما اسرائيل لنسف جهود السلام ، وهى : المستوطنات . ثم  
المسألة الفلسطينية ، بمختلف جوانبها . السياسية والانسانية

وأمام التعنت والتسويق الاسرائيلى ، استدعت مصر فى ١٨  
يناير ١٩٧٨ وفد التفاوض المصرى فى اجتماعات اللجنة السياسية  
بالقدس ، وأوقفت اجتماع اللجنة العسكرية . أما السبب فى ذلك ،  
فقد أزاح الرئيس السادات عنه الستار فى اجتماع طارىء لمجلس  
الشعب المصرى فى مصر ، حيث قال : ( ان مصر ترفض أن تتيح  
للطرف الآخر استغلال عنصر الوقت ، كما ترفض أى موقف يقوم  
على التشبث بمنطق التوسع والاحتفاظ بالارض المحتلة ، بحجة  
دعاوى الامن ) .

وقال الرئيس السادات أيضا : ( ان اسرائيل لم تستوعب  
بعد جوهر وروح مبادرة السلام ) .

ولقد توفقت المباحثات وقطعت ، وبدا أن حماسة السلام  
ستقتال ٠٠ الى أن صدر بيان من البيت الابيض الامريكى فى ٩  
فبراير ١٩٧٨ ، يؤكد أنه لا يمكن تحقيق السلام العادل والدائم  
دون حل للمشكلة الفلسطينية ، وهذا البيان الامريكى اوضح أيضا  
الاسس التى ينبغى أن يقوم عليها السلام الدائم فى المنطقة ،  
وطبيعة الالتزام الامريكى تجاه جهود السلام ٠٠ وهو التزام استطاع  
الرئيس السادات بجهد شاق أن يجعل من أمريكا شريكا كاملا فى  
المباحثات ٠٠ حتى لا يدع مجالا لإسرائيل لكى تقلب الحقائق ،  
وتدعى أن مصر هى التى تتسبب فى توقف مباحثات السلام .

والواقع أنه فى الفترة من ٢٨ يناير الى التاسع من فبراير  
١٩٧٨ قام الرئيس السادات بجولات نشطة زار فيها كلا من أمريكا  
وبريطانيا ، وألمانيا الغربية ، والنمسا ، ورومانيا ، وإيطاليا ،  
والفايتكان ٠٠ وقد شرح لهذه الدول رؤسائها التعتن الاسرائيلى .  
ومنذ هذا الوقت شاركت أمريكا مشاركة فعلية فى مباحثات  
السلام والتفاوض المضمنى الصعب ، ذلك الذى انتهى بعقد معاهدة  
السلام بين مصر واسرائيل فى السادس والعشرين من مارس  
١٩٧٩ ٠٠ أى بعد عام كامل صعب من صدور البيان الامريكى .



أدى هذا البيان الى عقد مباحثات مصرية اسرائيلية فى (قصر  
لينز ) بلندن . . لمناقشة مشروع مصر و مشروع أمريكى معه ،  
بالإضافة الى مقترحات تقدم بها الجانب الاسرائيلى . لكن هذه  
المباحثات انتهت دون التوصل الى نتائج محددة .

وقد أدركت الادارة الامريكية بصدق ، أن اسرائيل هى التى  
تحاول نسف جهود السلام ٠٠ ولذلك فقد كان لا بد من أن يتدخل

الرئيس الامريكى جيسى كارتر شخصا • حتى لا تضيق الفرصة  
التي حققته مبادرة السلام الى القدس • وأرسل الرئيس الامريكى  
وزير خارجيته فى ٥ أغسطس ١٩٧٨ • • لمحاولة استعادة قوة  
الدفع لجهود التسوية السلمية • واستطاع وزير الخارجية  
الامريكى أن يقنع مصر واسرائيل بحضور مؤتمر قمة فى ( كامب  
ديفيد ) ، وهو المؤتمر الذى بدأ اجتماعاته فى الخامس من سبتمبر  
عام ١٩٧٨ ، وحيث جرت مباحثات السلام بين الرئيس السادات  
والرئيس جيسى كارتر ، ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل •

والواقع أن جهود مصر فى مباحثات ( كامب ديفيد ) - كانت  
• لايجاد حل لمشكلة الضفة وغزة ، على اعتبار أن القضية  
الفلسطينية هي لب الازمة فى الشرق ، وهى جوهرها أيضا •

وقد أنهى مؤتمر ( كامب ديفيد ) اجتماعاته بعد ١٣ يوما من  
الجهود المضنية فى ١٨ سبتمبر ، حيث أمسك العالم قلبه عسة  
مرات ، توقفت فيها المباحثات ، وهدد السادات بترك كامب ديفيد  
• • لولا النشاط المكثف الذى بذله الرئيس كارتر لانقاذ المؤتمر  
من الفشل •

وانتهى مؤتمر كامب ديفيد بالاتفاق على وثيقتين  
هامتين ، لتحقيق تسوية شاملة للنزاع العربى الاسرائيلى ، وذلك  
فى الساعات الاخيرة للمؤتمر • •

وقد أطلق على الوثيقة الاولى : ( اطار السلام فى الشرق  
الاوسط ) • وجاءت الوثيقة الثانية لعنوان : ( اطار لابرام معاهدة  
سلام بين مصر واسرائيل ) ( ١ ) •

وتنص الوثيقة الاولى ، على الاعتراف بالحقوق المشروعة  
للشعب الفلسطينى ، وعلى ترتيبات أمن تستهدف حماية وتعزيز  
امن اسرائيل • وفيما يتعلق بالفلسطينيين فتنص الاتفاقية على أن

(١) انظر لصوص اتفاقتى كامب ديفيد •

تكون لهم الفرصة لتقرير الكيفية التي يرغبون فيها لحكم انفسهم ، من خلال حكم ذاتي لفترة انتقالية اقصاها خمس سنوات .

وبناء على الاتفاقات المبرمة لن تقام مستوطنات اسرائيلية جديدة في المنطقة خلال المفاوضات حول اقامة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة .

وتتيح الوثيقة للفلسطينيين ، أو بمعنى أصح لممثليهم الاشتراك في المفاوضات الخاصة فيما يتعلق بمستقبلهم ، ويكون للممثلين الفلسطينيين المنتخبين فرصة متاحة للموافقة على الاتفاقية التي تنظم قواعد الوضع النهائي للمنطقة . وتجري هذه المفاوضات على أساس جميع البنود والمبادئ الواردة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، والذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ . وعودة النازحين ، وحل سريع لمشكلة اللاجئين .

كذلك تنص هذه الوثيقة على ترتيبات الامن ، وتعهيدات السلام ، التي يتوقع أن تكون جزءا من أية تسوية شاملة بين اسرائيل وجيرانها ، بما في ذلك انشاء مناطق منزوعة السلاح . ومناطق محدودة التسليح ، ومناطق ائذار مبكر ، وتواجد قوات دولية .

**اما الوثيقة الثانية والمتعلقة بسيما ، فهي تنص على الانسحاب من شبه الجزيرة على مرحلتين : انسحاب رئيسي يتم في فترة تتراوح ما بين ثلاثة وتسعة أشهر بعد توقيع اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية . كما تقضي بأن يتم الانسحاب الاسرائيلي النهائي من سيناء في فترة تتراوح ما بين عامين وثلاثة أعوام بعد توقيع اتفاقية السلام . كما تقضي الوثيقة باقامة علاقات طيبة بين مصر واسرائيل عند اتمام انسحاب المرحلة الاولى ، والتي تمثل الجانب الاكبر من عملية الانسحاب .** بالإضافة الى اعادة كل المطارات الاسرائيلية في

سيناء لمصر ، وتحويلها الى مطارات مدنية . . على أن يضمن مجلس الامن هذا الاتفاق ، والحدود الآمنة للدول العربية واسرائيل .

وفي ٢٣ سبتمبر ١٩٧٨ أذاع البيت الابيض الامريكي نصوص الرسائل التسع (١) التي تم تبادلها بين الرئيس السادات والرئيس الامريكي جيمي كارتر ، ومنحاح بيجين رئيس وزراء اسرائيل حول اتفاقيات كامب ديفيد .

وتحمل ثلاثا من هذه الرسائل توقيع الرئيس السادات ، واثنان توقيع منحاح بيجين ، والاربعة الاخرى تحمل توقيع الرئيس كارتر . وهذه الرسائل تحدد فيها الآتي :

**أولا :** ان القدس العربية جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية لنهر الاردن ، وان الحقوق القانونية والتاريخية للعرب بالمدينة يجب أن تحترم وأن يتم الحفاظ عليها .

**ثانيا :** ان القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية .

**ثالثا :** ان السكان الفلسطينيين في القدس العربية لهم الحق في ممارسة حقوقهم القومية الشرعية ، باعتبارهم جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني في الضفة .

**رابعا :** ان القرارات الصادرة عن مجلس الامن والخاصة بالامور في مدينة القدس يجب أن تطبق ، وأن كل الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة لا يعتد بها ، وتعتبر لاغية وباطلة .

**خامسا :** أن يكون لكل الشعوب حرية الوصول الى المدينة المقدسة ، وأن تكفل لهم حرية ممارسة تقاليدهم في العبادة ، وحرية الزيارة والتنقل بين الاماكن المقدسة دون أية تفرقة أو تمييز .

---

(١) انظر ملاحق اتفاقيات كامب ديفيد .

والواقع أن اتفاق كامب ديفيد في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ كان انجازا كبيرا على طريق السلام ، حتى أن الرئيس السادات قال في رسالته من كامب ديفيد لشعب مصر : ( حققت ما كنت أريد ، ولم نعد في حاجة إلى أن نرسل أبناءنا للحرب مرة أخرى ) .



ويتنافس محبو السلام الصعداء ، وتشرح صلورهم لتوقيع اتفاقية كامب ديفيد .

لكن إسرائيل حتى هذه اللحظة يبدو أنها لم تستوعب الدرس جيدا .. لتتعرض لعملية السلام مرة أخرى وتفقد دفعها . ويبدو أن إسرائيل اعتبرت أن وثيقتي كامب ديفيد ( فخا ) أوقعها فيه أنور السادات ، ولذلك لم تتجاوب بالقدر الكافي مع أفكار مصر من أجل السلام .

وبدأت جولة أخرى ، كانت المباحثات فيها مضمّنية ، والاتصالات مكثفة مع الولايات المتحدة الشريك الكامل في المباحثات .. فقد سافر السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية المصرية إلى أمريكا في ١٥ نوفمبر ١٩٧٨ ليسلم رسالة عامة من الرئيس السادات إلى الرئيس جيمي كارتر ، توضح وجهة النظر المصرية . كما قام رئيس وزراء مصر دكتور مصطفى خليل ، في أول ديسمبر عام ١٩٧٨ بزيارة الرئيس كارتر في واشنطن ، وشرح له موقف مصر من المباحثات والعقبات التي تعترض سير المفاوضات .

ولبحث سبل استئناف المفاوضات بين مصر وإسرائيل .. عقدت اجتماعات في برزوكسل في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٨ حضرها د. مصطفى خليل رئيس وزراء مصر ، وسيروس فانس وزير خارجية أمريكا ، وموشى ديان وزير خارجية إسرائيل . وفي هذه المباحثات تمسكت مصر بموقفها من ضرورة تحقيق السلام الشامل والدائم ، وضرورة إعادة النظر في ترتيبات الأمن بعد مضي فترة زمنية معينة



على توقيع معاهدة السلام . كما تمسكت مصر بالتزاماتها بالمعاهدات والاتفاقات المبرمة مع الدول العربية ، وعلى وجه الخصوص ميثاق الضمان الجماعى العربى .

لكن مباحثات بروكسل لم تكن جوعة كافية فى دفع عجلة المباحثات ، فكان لا بد من نقلها الى واشنطن ، حيث بدأت فى كامب ديفيد فى ٢١ فبراير ١٩٧٩ . وهناك أسفرت المباحثات عن صياغة يمكن أن تكون نهائية للنقاط الرئيسية موضوع الخلاف . وقد مثل مصر فى المباحثات الفريق أول كمال حسن على وزير الدفاع . والمهم أن هذه المباحثات التى أوشكت على النجاح توقفت ، بعد أن تذرع موسى ديان ، رئيس وفد إسرائيل ، بأنه سيتشسر حكومته .

على أنه خوفا على ضياع فرصة السلام ضياعا نهائيا ، فقد ألقت الولايات المتحدة الأمريكية بكل ثقلها فى اللحظات الاخيرة الحاسمة . وكانت زيارة الرئيس جيمى كارتر لمنطقة الشرق الاوسط فى ٨ مارس ١٩٧٩ بمقترحات أمريكية محددة ، تحاول التوفيق بين النقاط التى تعترض توقيع معاهدة السلام . وقد تم خلال هذه الرحلة المكوكية للرئيس كارتر بين مصر واسرائيل ، والتى انتهت يوم ١٣ مارس ١٩٧٩ ، تذليل كل العقبات .

ثم وقعت معاهدة السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ فى واشنطن على مرمى ومشهد من العالم كله ، ونقلها القمر الصناعى على شاشة التليفزيون . وقد وقع على هذه المعاهدة الرؤساء أنور السادات وجيمى كارتر ، ومناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل . وهى ثلاث نسخ : بالعربية ، والعبرية والانجليزية « ١ » .

---

١٤١، انظر الملاحق .



## الفصل الثامن

التحدى عظيم ... والمستقبل أعظم

---



في السادس والعشرين من مارس عام ١٩٧٩ . تم في مدينة واشنطن توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، في حفل كبير أقيم بالبيت الابيض ، المقر الرسمي للرئيس الامريكى . وقد وقع على هذه المعاهدة الرئيس محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية . ومناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل ، والرئيس جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، باعتبار امريكا شريك كامل في مباحثات السلام ، وفي مباحثات الحكم الذاتي للفلسطينيين . وهذه المعاهدة صيغت من ثلاث نسخ ، بالغات العربية والعبرية والانجليزية .

وبالنسبة لسيناء ، فقد نصت معاهدة السلام على انسحاب اسرائيل الى خط العريش - رأس محمد « ثلثي سيناء » خلال تسعة أشهر ، على أن يبدأ الانسحاب من العريش ، بعد شهرين من توقيع المعاهدة ، ومن مناطق البترول بعد سبعة أشهر ثم يتم الانسحاب من سيناء كلها ، وحتى الحدود الدولية ، خلال ثلاث سنوات .

والحقيقة أن معاهدة السلام ، لم تعط لاسرائيل أية اية امتيازات أو أفضليات لاسرائيل في سيناء ، تحت أى ظرف من الظروف . كما أنها نصت - وبصراحة - على أنه لا وجود لاسرائيل على الارض المصرية بعد الانسحاب . كما أكدت المعاهدة التزام مصر بجميع ارتباطاتها العربية . . وأنه لا قيود اطلاقا على سيادة مصر على ترابها الوطنى .

أما بالنسبة لصلاحيات وسلطات الحكم الذاتى للفلسطينيين فقد نصت معاهدة السلام على أن تبدأ المباحثات بشأنها بعد توقيع المعاهدة . كما نصت أيضا أنه لايد من انتقال حقيقى للسلطة الى الشعب الفلسطينى ، مع تأكيد حق هذا الشعب فى تقرير مصيره

واقامة دولته على أرضه ، ولذلك ففي الوثائق الملحقه بالمعاهدة  
المصرية الاسرائيلية ، جاء النص ، على أن تجري انتخابات الحكم  
الذاتي في الضفة الغربية وغزة بعد عام من بدء المفاوضات ، وأنه  
لا حل لمشكلة الشرق الاوسط برمتها ما لم تجر تسوية القضية  
الفلسطينية .

والواقع ، انه وكما كانت وثيقتا كامب ديفيد اطارين للتسوية  
الشاملة ، فان معاهدة السلام كانت فقط بداية للتحدى العظيم  
والمستقبل الاعظم لترسيخ أساس السلام في هذه المنطقة المشتعلة  
من العالم .

وكما قال الرئيس أنور السادات ، بعد توقيع اتفاقية السلام

« لقد سعيانا الى السلام من موقع القوة ، ومضينا على طريقه  
بقلمين ثابتين ، لأن الروح التي نزهق في الحسرب هي روح  
انسان عربي كان أم اسراييليا . لكن النصوص وحدها لا تبني  
السلام ، انما تبنيه الارادة القوية وانوايا الصداقة والنظرة  
البعيدة . والاختبار الحقيقي للسلام ، سوف يأتي بعد توقيع  
المعاهدة ، لاننا ننشد سلاما عادلا ، سلاما شاملا ، سلاما لا يقوم  
على احتلال اراضي الغير . سلاما تعود فيه السيادة الكاملة للقدس  
القديمة لان فيها حقوقا مقدمة لاكثر من ٨٠٠ مليون مسلم .  
سلاما يتمكن في ظله أشقاؤنا الفلسطينيون من الحصول على  
حقوقهم المشروعة » .

وما قاله الرئيس أنور السادات في واشنطنون يعني أن توقيع  
معاهدة السلام ، ليس سوى مجرد خطوة على طريق « نعرف مسبقا  
أننا سوف نواجه خلال الكثير من المشكلات ، ولكننا مصممون على  
تحقيق الأهداف » . وقد تحقق ما قاله الرئيس أنور السادات  
حول تلك المشاكل التي نشأت بعد توقيع معاهدة السلام ، وهي  
مشكلات بلا شك متنوعة خاصة بقضايا الانسحاب ، وتطبيع

العلاقات .. وكذلك مشكلات صعبة صسادت الحديث حول مباحثات الحكم الذاتى وتفصيله .. تم تلك الصعوبات التى واجهت حقول البترول المصرى فى سيناء .. بم مشكله المرافقين الدوليين ، الذين يحلون محل قوت الطوارئ الدولية .

لكن فى الحقيقة وكما قال الرئيس الامريكى جيمى كارتر : « اننى على يقين من أن معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، سوف تكون حجر الزاوية فى سلام شامل ، يجنب كل شعوب المنطقة مرارة الصراعات الطويلة السابقة . لقد جاء الرئيس السادات ليهد يده القوية مغيرا مجرى التاريخ ، داعيا الى وقف دوامة الحرب والكرامية ، وفى الحقيقة ، فانه ما من زعيم فى الشرق الاوسط بذل جهودا مضمينة من أجل استعادة الحقوق الفلسطينية، مثلما فعل الرئيس السادات » .



ولأن توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل حدث تاريخى ، دخل به الشرق الاوسط مرحلة جديدة تفتح الطريق أمام الاستقرار الشامل .. فاننا نورد هنا نص معاهدة السلام ، الذى يبدأ بديباجة نقول :

ان حكومة مصر العربية وحكومة اسرائيل ، اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لاقامة سلام عادل وشامل ودائم فى الشرق الاوسط ، وفقا لقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ اذ تؤكدان من جديد التزامهما باطار السلام فى الشرق الاوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

واذ تلاحظان أن الاطار المشار اليه انما قصد أن يكون أساسا للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل ، بل أيضا بين اسرائيل وكل من جيرانها العرب ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها هذا الأساس .

ورعبه منهما في انتهاء حالة الحرب بينهما ، وإقامة سلام  
سسطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن ، واقتناعا  
منهما بن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل يشكل خطوة هامة  
على طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصل الى تسوية للنزاع  
العربي الاسرائيلي من جميع جوانبه .

واذ تدعوان الأطراف العربية الاخرى في النزاع الى الاشتراك  
في عملية السلام مع اسرائيل على أساس مبادئ اطار السلام  
المشار اليها آنفا واسترشادا بها .

واذ ترغبان أيضا في تطوير العلاقات الودية والتعاون بينهما  
وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي الذي ينظم  
العلاقات الدولية في زمن السلم .

فقد اتفقا على الاحكام التالية بمقتضى ممارستها الحرة  
لسيادتهما من أجل تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين  
مصر واسرائيل .

### المادة الأولى

١ - تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ، ويقام السلام بينهما  
فور تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ - انسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من  
سيناء الى ما وراء خط الحدود الدولية المعترف بها بين مصر  
وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه  
المعاهدة « الملحق الأول » وتستعيد مصر ممارسة سيادتها الكاملة  
على سيناء .

٣ - عند اتمام الانسحاب المبدئي المنصوص عليه في الملحق



الاول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقاً للمادة  
الثالثة « فقرة ٣ » .

### المادة الثانية

ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هي الحدود الدولية  
المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو واضح  
بالخريطة في الملحق الثاني ، وذلك دون المساس بالوضع الخاص  
بغزة . . . و يقر الطرفان بأن هذه الحدود مصنونة لا تمس ، ويتعهد  
كل منهما باحترام سلامة أراضي الطرف الآخر ، بما في ذلك مياهه  
الاقليمية ومجاله الجوي .

### المادة الثالثة

١ - يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة  
ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات بين الدول وقت السلم،  
وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة  
أراضيه واستقلاله السياسي .

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر في أن يعيش  
في سلام داخل حدوده الآمنة المعترف بها .

(ج) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة ،  
أو استخدامها أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ،  
وتحل كافة المنازعات التي تنشأ بينهما بالوسائل السلمية .

٢ - يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال  
الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من  
داخل اقليمه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على

اراضيه ، ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر . كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب أو أفعال العدوانية، او النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أى مكان . كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الاعمال للمحاكمة .

٣ - يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ، ستتضمن الاعتراف الكامل ، والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية ، وانهاء المقاطعة والحواجز ، ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الافراد والسلع . كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطنى الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائى ، بكافة الضمانات القانونية . ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة « المرفق الثالث » وذلك بالتوازي مع تنفيذ الأحكام الاخرى لهذه المعاهدة .

### المادة الرابعة

١ - ضمانا لتوفير الحد الأقصى للامن لكلا الطرفين ، وذلك على أساس التبادل ، تقام ترتيبات أمن متفق عليها ، بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الأراضى المصرية والاسرائيلية ، كما تسمح باشتراك قوات أمم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة ، وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الأول .

٢ - يتفق الطرفان على تمركز أفراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الأول ، ويتفق الطرفان على أن يطلب سحب هؤلاء الأفراد على أساس أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم الا بـ موافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، بما فى ذلك التصويت الإيجابى

للاعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس ، وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .

٣ - تتولى لجنة مشتركة الاشراف على تنفيذ المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه في الملحق الأول .

٤ - يجوز بناء على طلب أحد الطرفين إعادة النظر في ترتيبات الامن المنصوص عليها في الفقرتين ١ و ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين .

### المادة الخامسة

١ - تتمنع السفن الاسرائيلية وشحنات المجهزة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر في قناة السويس ومداخلها في كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط ، وفقا لاحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول . كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها ، وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز في كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة .

٢ - يعتبر الطرفان أن مضيق ثيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو ايقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوي ، كما يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور الجوي من أجل الوصول الى أراضيها عبر مضيق ثيران وخليج العقبة .

### المادة السادسة

١ - لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على أي نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٢ - يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة

عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر ، وبشكل مستقل عن أى وثيقة خرج هذه المعاهدة .

٣ - كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكي ينطبق في علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف التي يكونان من أطرافها بما فى ذلك تقديم الاخطار المناسب للامين العام للأمم المتحدة وجهات الايداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات .

٤ - يتعهد الطرفان بعدم اللجوء فى أى التزام يتعارض مع هذه المعاهدة .

٥ - مع مراعاة المادة « ١٠٣ » من ميثاق الأمم المتحدة ، يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتها الأخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة .

### المادة السابعة

١ - تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق التفاوض .

٢ - إذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق التفاوض ، تحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم .

### المادة التاسعة

١ - تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها .

٢ - تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ م .

٣ - تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها .

٤ - يتم إخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المساهمة لنسجيلها ، وفقا لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة (١) .  
والواقع أن المعاهدة بموادها التسع واضحة ، وليست فيها مواد أو بنود سرية ، كما حاول البعض أن يوهم بذلك . وهذه المعاهدة بموادها التسع وملاحقها وخرائطها الملحقة بها استطاعت أن تغير التاريخ الدموي الذي اتسم به الصراع في منطقة الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل .

والمعاهدة أيضا ، ليست حلا منفردا مع إسرائيل كما حاول البعض أن يوهم ذلك . إنها في الحقيقة جراحة وشجاعة من مصر التي انفردت في سعيها للحل الشامل في الشرق الأوسط .  
ومعاهدة السلام بالدرجة الأولى تحقق قرارات مجلس الأمن الخاصة بالانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلت في حرب يونيو ١٩٦٧ ، والتي كانت إسرائيل لا تقيم لها وزنا ، وتضرب بها عرض الحائط .

واستطاعت المعاهدة أيضا - وكما يقول عبد المنعم شمس في كتابه «دقت أجراس السلام» - أن تجعل إسرائيل تعترف اعترافا كاملا بأن المستوطنات التي أقامتها في سيناء غير شرعية ، وغير قانونية . فانسحاب إسرائيل - كما في معاهدة السلام - ليس عسكريا وحسب ، ولكنه انسحاب مدني أيضا . وهذا المبدأ ينطبق بالطبع على المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الضفة الغربية وفي غزة ، وفي المرتفعات السورية .

---

(١) انظر الجزء الخاص بالملاحق .

ومع اعتراف اسرائيل بأن اقامة المستوطنات الاسرائيلية في الاراضى المحتلة عمل غير شرعى ٠٠ فان المعاهدة أيضاً جعلت امريكا أيضاً تشجيب انشاء المستعمرات ، حين وقعت على هذه المعاهدة تشريك كامل في المباحثات التى دارت والتى أدت الى توقيع معاهدة السلام ٠ وبذلك فان قرار مجلس الامن الخاص بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة قد بدأ يتحقق على أرض سيناء ، وهى جزء من الأرض العربية ٠ وكان الحوار - قبل معاهدة السلام - قد ظل دائراً فى حلقة مفرغة حول تفسير قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ٠ هل يعنى انسحاب اسرائيل من « جميع » الاراضى العربية المحتلة قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، أم أنه يعنى الانسحاب من «أراض» محتلة ؟! ٠ أى أن اسرائيل كانت تريد اقتطاع بعض الاراضى العربية المحتلة لتضمها اليها ٠ ولذلك فانه فى معاهدة السلام ، اعتراف مبدئى من اسرائيل بالانسحاب الكامل ٠٠ كما نصت على ذلك ، المادة الثانية ، حيث تقول : « تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب » ٠

وهذا الاعتراف من اسرائيل يعنى أنه نظرية الأمن الاسرائيلى ، التى اتخذت سلاحاً للتوسع فى الارض العربية تكون قد أفرغت من مضمونها ٠ وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ هى التى وضعت المسمار الاخير فى نعش هذه النظرية ، حينما تأكد للعالم أن العرب قادرون على قطع ذراع اسرائيل الطويلة بعد أن عبر المصريون قناة السويس ، وبعد تحطيم خط بارليف بنقاطه الحصينة ، وتبديد الجيش الاسرائيلى فى صحراء سيناء ٠ بمعنى أن معاهدة السلام جاءت لتؤكد الانتصار العسكرى بانتصار سياسى مكمل له ٠ أيضاً فان معاهدة السلام ٠٠ أقرت المرحلة الاولى للحكم الذاتى للفلسطينيين ، ثم يكون لهم حق تقرير المصير واقامة دولتهم على ارضهم ٠ لقد وضعت مصر قضية فلسطين والشعب الفلسطينى فى

متانها الصحيح داخل اطار معاهدة السلام وجعلها ،لقضية الأساسية في كل المفاوضات ، وخاصة في مباحثات كامب ديفيد . وهذا في حد ذاته خطوة جسارة على طريق اقامة الدولة الفلسطينية . ويرز هذا في وثائق معاهدة السلام ، وخاصة من خلال الخطاب المتبادل بين الرئيس أنور السادات وبين مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل . فهذا الخطاب ليس الا وثيقة شرعية للاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . . ودون حاجة الى اللجوء للامم المتحدة ومنظماتها أو مجلس الامن . . للاعتراف بهذا الحق .

والخطاب نصه التالي :

عزيزي . .

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا على ما يلي :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل انهما قد اتفقتا في كامب ديفيد ، ووقعتا في البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار السلام في الشرق الاوسط المتفق عليه في كامب ديفيد » . . و « اطار لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » .

ومن أجل تحقيق تسوية سلمية شاملة وفقا للاطارين المشار اليهما آنفا ، ستشرع مصر واسرائيل في تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة . وقد اتفقتا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام . ووفقا لاطار السلام في الشرق الاوسط ، فان المملكة الاردنية مدعوة للاشتراك في المفاوضات . ولكل من وفدى مصر والاردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة ، أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك .

وهدف المفاوضات هو الاتفاق قبل اجراء الانتخابات على الترتيبات اللازمة لاقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة « المجلس الادارى » وتحديد سلطاتها ومسئولياتها ، والاتفاق على ما يرتبط بذلك من مسائل أخرى . وفى حالة اذا ما قرر الاردن عدم الاشتراك فى المفاوضات ، فستجرى المفاوضات بين مصر واسرائيل .

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا بصفة مستمرة ودون توقف وبحسن نية من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات فى أقرب تاريخ ممكن . كما تتفق الحكومتان على أن الهدف من المفاوضات هو اقامة سلطة الحكم الذاتي فى الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتي الكامل للسكان .

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هدفا لانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد ، بحيث يتم اجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن ، بعد أن يكون الأطراف قد توصلوا الى اتفاق ، وتنشأ سلطة الحكم الذاتي المشار اليها فى « اطار السلام فى الشرق الاوسط » ، وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتبارا من هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية ، ويتم سحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها . كما هو منصوص عليه فى « اطار السلام فى الشرق الاوسط » ، وحينئذ يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية ، واعادة توزيع القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمن محددة .

ويؤكد هذا الخطاب أيضا ما اتفقنا عليه ، وهو أن حكومة الولايات المتحدة ستشارك اشتراكا كاملا فى كافة مراحل المفاوضات (١) .

محمد انور السادات

مناحم بييجن

---

(١) راجع نص اتفاق كامب ديفيد .



والواقع ان المفزى الحقيقى لمعاهدة السلام ، والذى لم يلمعت ابيه الكثيرون ، وحتى أولئك الذين تخصصوا ودرسوا الصراع العربى الاسرائيلى ، فان هذه المعاهدة استطاعت - ولأول مرة - « تحجيم » اسرائيل ، ان صبح هذا التعبير . فاسرائيل ، ومنذ قيام دولتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ لم تضع لنفسها دستورا ، ولم ترسم لنفسها خريطة تبين حدودها الدولية . والسبب فى ذلك هو ما اعتنقه قادتها ، من أن الدولة الاسرائيلية ، أو أرض اسرائيل « ارتز اسرائيل » لا يد أن تمتد حدودها من النيل الى الفرات ، وهى ما سميت باسرائيل الكبرى . وهذا هو ما جعلها تعتبر كل أرض احتلتها بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ بمثابة « أرض محررة » من العدو العربى !!! . وهذا ما يؤكد من أن معاهدة السلام - ولأول مرة - وضعت اسرائيل فى منطقة لا تتعداها . بل ان معاهدته السلام أيقظت اسرائيل من أحلامها التاريخية . . . الممتدة من لنيل الى الفرات !!

والذى تابع معركة الانتخابات الاسرائيلية فى عام ١٩٧٧ . وجد أحزابها ، وبخاصة الدينية منها ، قد طالبت فى برامجها وضع دستور مكتوب لاسرائيل . فخلال ثلاثين عاما من قيام اسرائيل لم تضع الدولة دستورا مكتوبا ، أو بالمعنى الأصح لا يوجد فيها دستور بالمعنى المتعارف عليه لتلك الكلمة . . . ان الذى يوجد فى اسرائيل ، لا يعدو أن يكون بضعة أحكام دستورية ، أو بضع مواد تشكل ما يسمى « بالدستور المرن » . وهذا الدستور المرن تتحرك من خلاله دولة اسرائيل وجهازها السياسى والاقتصادى والاجتماعى . . . وغيزها من مؤسسات الدولة الاسرائيلية . وهو لا يزيد عن خمسة عشرة مادة : مادتان تختص بالتشريع ، وهو ما يسمى « بالتشريع الصغير » . . . أما الأعمال الحكومية - أى الجهاز التنفيذى - فيحكمه خمس مواد . . . بالإضافة الى خمس مواد أخرى للرئاسة ، وثلاث مواد تختص بالمشاكل الدينية والاجراءات .

بمعنى أن القوانين التي تحل محل الدستور هي القانون التنظيمي الصادر في ١٦ فبراير ١٩٤٩ ، والقانون المؤقت للاجتماع الثاني الصادر في ١٢ ابريل ١٩٥١ ، وقانون واجبات الرئيس الصادر في ١٧ فبراير ١٩٥٥ . ثم القانون الاساسي للبرلمان - الكنيست - الصادر في ١٢ فبراير ١٩٥٨ . وأخيرا القانون الاساسي لرئيس الدولة الاسرائيلية الصادر في ١٦ يونيو ١٩٦٤ والحقيقة أنه برغم تلك المواد ، فإن الحكومة الاسرائيلية في حكومة اسرائيلية منذ قيام دولة اسرائيل - تلتقي تلك المواد ، ونصبح هي المسيطرة أساسا على كل السلطات .

وكما تقول جالينا نيكيتينا ، الباحثة السوفيتية في كتابها « دولة اسرائيل » الذي أصدرته دار الهلال مترجما : ان الحكومة الاسرائيلية - الرجعية البورجوازية الصهيونية ، كما تصفها المؤلفة - هي المسيطرة على نظام الحكم في اسرائيل من خلال الاحزاب التي تمولها الجهات الصهيونية . وهي احزاب تتضارب في أهدافها جميعا وإن اختلفت في التسميات . فهذه الاحزاب جزء من الحركة الصهيونية العالمية ، وهي جميعا تتحد في المطالبات الأساسية . فجميع الاحزاب الصهيونية « تطالب » بحق الشعب اليهودي في أرض فلسطين وفي حدوده « التاريخية » ، بلا تغيير ، وتكوين الأمة اليهودية على أرض الأجداد !

ومن هذه الاحزاب بالطبع حزب حيروت . . الذي أسسه مناحم بيجين . . ثم بقية الاحزاب مثل المابام ، ورافى ، والحزب الليبرالى ، والحزب التقدمي ، وحزب المستقلين ، وحزب مزراحى ، والماباى . . وغيرها من الاحزاب الاسرائيلية .

والواقع أن عدم وجود دستور في اسرائيل معناه غياب الاسس والمفاهيم التي تقوم عليها دولة اسرائيل . . وكذلك غياب ما يحدد دولة اسرائيل بأرضها . . وذلك اعتمادا على اصول الفكر

الصهيوني ، كما عبر عنه بن جوريون ، ومن بعده مناحم بييجين ، وفاده اسرائيل الدين يوصفوا بالصقور . وهذا الصقور يرى ان اسرائيل قد فاضت في عام ١٦٤٨ على جزء من أرض اسرائيل . بمعنى ان دولة اسرائيل لم تكتمل ، وهي لذلك في حاجة دائمة الى التوسعات - أو كما يعبر الصقور عنها ، بحاجة الى تحرير الارض التي اغتصبها العرب !! - وهذا هو السر في أن اسرائيل كانت نشن - كل عشر سنوات تقريبا - حروبا ضد العرب ، لتكسب في كل مرة أرض جديدة ، لتحقيق حلم صهيون : من النيل الى الفرات .

فاذا كان الحلم قد بدأ بالعودة الى جبل صهيون ، فان هذا الحكم قد توسع في عام ١٩٤٨ . وتوسع مرة في عام ١٩٦٧ . ولذلك فانه في السنوات من ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٩ كان الاسرائيليون يصرون على البقاء في الاراضي التي احتلوها ، وكانوا يقيمون بها المستوطنات - أي المستعمرات بأنواعها . العسكرية والزراعية - باعتقاد أنهم لن يتزحزحوا بوصة واحدة عما احتلوه ، وعما تحقق لهم من حلم مرحلي يضم أراضي سيناء ، والضفة الغربية وغزة والمرتفعات السورية . بل انهم وحتى معاهدة السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩ كانوا يرفضون حتى المناقشة في احتلالهم للاراضي العربية .

وقد جاءت معاهدة السلام لتضع حدا لأحلامهم ، بل ولنبذ هذه الاحلام . . . ولتضع الاسس والقواعد بأن اسرائيل الكبرى أضفأت أحلام في عقول الصهاينة . . . وتغيير المفاهيم الصهيونية لم يكن على أية سهلا ميسورا . ومن هنا تأتي كلمة الرئيس السادات عند الزيارة الثالثة لاسرائيل ، في مدينة حيفا في سبتمبر عام ١٩٧٩ ، حيث قال :

« اننا . . مصممون على أن نمضي في تحقيق السلام للشعب

الفلسطيني الذي سينزل مخلصين له . . وقد يكون التحدي عظيما .  
ولكن المستقبل أعظم ، واننا على استعداد لقبول التحدي » .



كانت العريش هي البداية التنفيذية لبنود معاهدة السلام  
بين مصر واسرائيل . .

والعريش هي عاصمة سيناء كلها عند بداية الاحتلال الاسرائيلي  
لها عام ١٩٦٧ . . ثم صارت عاصمة سيناء الشمالية ، بعد أن  
قسمت سيناء الى قسمين ، شمالي وجنوبي . . أو الى محافظتين من  
خلال الحكم المحلي .

والواقع أنه منذ حرب ١٩٦٧ تحولت سيناء وعاصمتها العريش  
الى حصن كبير للاسرائيليين ، الذين وطئوا أنفسهم على البقاء  
ومنها مستوطنة « ياميت » أكبر مستوطناتهم في سيناء قرب  
« رفح » ، والتي اعتبرت مركزا حضريا لحوالي ٢٣ مستوطنة أخرى  
« زراعية » ، ومنها أيضا مستوطنة « ينوت سيناء قرب العريش » .

وجاء الجلاء عن العريش وما حولها طبقا للمرحلة الأولى من  
الانسحاب الاسرائيلي عن سيناء بعد جهد ومراوغات ومباحثات  
طويلة ومضنية . وذهب الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ليرفع  
علم مصر خفاقا ، في احتفال تاريخي ، وصلى صلاة شكر لله على  
مطار العريش . . وسط الفرحة الكبرى التي عمت مصر بعودة  
العريش الى الأم مصر .

وفي اليوم الذي ارتفع فيه علم مصر على مدينة العريش ، زار  
الرئيس أنور السادات مدينة بير سبع ، وخطب في جامعته .  
مشددا أن الأرض لا يمكن أن تعطى الأمان للاسرائيليين . وشدد  
على أن الاسرائيليين ينبغي عليهم أن يسلموا بحقوق الشعب  
الفلسطيني ، وأن يجلووا عن الضفة الغربية وغزة . ولا بد  
للفلسطينيين من أن يقرروا مصيرهم بأيديهم .

وما قاله الرئيس أنور السادات في مدينة بير سبع ، يؤكد  
ون كان الامر لا يحتاج الى تأكيد ، قناعات مصر ، بأن الجلاء عن  
سيناء لا بد أن يواكبه مباحثات الحكم الذاتي للفلسطينيين .  
وعذا ما حدث بالفعل . ففي الثاني عشر من مايو ١٩٧٩ بدأت أولى  
جلسات مفاوضات الحكم الذاتي للفلسطينيين في الاسكندرية .  
ونعقد اللقاءات بين المصريين والاسرائيليين والأمريكيين ، باعتبار  
أمريكا شريك كامل في المباحثات ، من أجل الفلسطينيين . كما  
هو مرسوم في وثيقة كامب ديفيد بالنسبة للحكم الذاتي  
للفلسطينيين .

على أنه بعد تحرير العريش في ٢٧ مايو ١٩٧٩ ، تواصلت  
المفاوضات من خلال لجنة عسكرية مصرية - اسرائيلية مشتركة  
لانسحاب المرحل حيث تم في ٢٦ يونيو ١٩٧٩ الانسحاب من  
المرحلة الفرعية النانية ، في المنطقة الواقعة شرق خليج السويس  
وتشمل عددا من آبار البترول والمواد الخام ، وهي المنطقة التي  
نحوى على رأس سدر حتى قرية أبو خربة . والتي تبعد جنوبا  
عن بلاعيم بحوالى ١٥ كيلو مترا .

ثم تواصلت المباحثات مرة أخرى . لتبدأ القوات الاسرائيلية  
الانسحاب الثالث من سيناء ، والتي عادت للسيادة المصرية في  
الخامس والعشرين من سبتمبر ١٩٧٩ . وهي منطقة تشمل ٩٥٪  
من منطقة خليج السويس .

وهكذا تواصلت المباحثات وعمليات الانسحاب طبقا لمرفق  
الملحق رقم «١» من تنظيم الانسحاب من سيناء حيث نصت المادة  
الثانية على المراحل الفرعية للانسحاب كما يلي : (١)

(أ) المرحلة الفرعية الأولى : خلال شهرين ، وتنسحب  
القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة العريش ، بما في ذلك مدينة

العريش ومطارها ، والمشار إليها ، بالمنطقة «١» على الخريطة  
رقم «٣» .

**(ب) المرحلة الفرعية الثانية :** خلال ثلاثة أشهر ، وتنسحب  
القوات المسلحة الاسرائيلية من المنطقة الواقعة بين الحط «م» المقرر  
بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ والخط «أ» المشار اليه بالمنطقة «٢»  
على الخريطة رقم «٣» .

**(ج) المرحلة الفرعية الثالثة :** خلال خمسة أشهر ، تنسحب  
القوات المسلحة الاسرائيلية من المنطقة الواقعة شرق وجنوب المنطقة  
«٢» المشار اليها بالمنطقة «٣» على الخريطة رقم «٣» .

**(د) المرحلة الفرعية الرابعة :** خلال سبعة أشهر تنسحب  
القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة الطور ، ورأس النيسه  
والمشار اليها بالمنطقة رقم «٤» على الخريطة رقم «٣» .

**(هـ) المرحلة الفرعية الخامسة :** خلال تسعة أشهر تنسحب  
القوات المسلحة الاسرائيلية من المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب  
المرحلي بما في ذلك منطقة سانت كاترين والمنطقة شرقى ممر  
الجنى ومتلا ، المشار اليهما بالمنطقة «٥» على الخريطة رقم «٣» .  
ويكتمل بذلك الانسحاب الاسرائيل الى ما وراء خط الانسحاب  
المرحلي من العريش الى رأس محمد . ثم بعد ذلك تقوم اسرائيل  
بسحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء فى موعد لا يتجاوز  
ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام،  
وذلك الى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت  
الانتداب .

وجدير بالذكر هنا ، أن زيارة الرئيس السادات الى حيفا  
فى سبتمبر ١٩٧٩ ، ومباحثاته مع الاسرائيليين ، قد استطاعت أن  
تشر انسحابا مبكرا من منطقة سانت كاترين فى ١٦ نوفمبر .  
أى قبل ما هو محدد للانسحاب المرحلي من هذه المنطقة فى ٢٥  
ديسمبر ١٩٧٩ . لاتاحة الفرصة للرئيس السادات للاحتفال فى

١٩ نوفمبر يمرور عامين على زيارة سيادته للقدس . وقد قام الرئيس السادات بالبحث لوضع حجر الاساس للمجمع الدينى فى المنصه والذى يضم مسجدا وكنيسة ومعبدا .

على أن زيارة الرئيس السادات لحيفا قد أكدت ما سبق أن قلنا حول القضية الفلسطينية فقد قال الرئيس فى حيفا : ان القضية الفلسطينية هي لب المشكلة التى عشناها منذ ثلاثين عاما . اننا قد وضعنا أسس السلام الشامل فى كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية .

وبخصوص القدس ، فانه أمر طبيعى أننا فى كامب ديفيد اتفقنا على أن القدس جزء من الضفة العربية ، وأن الحكم الذاتى الكامل للضفة الغربيه يعنى أننا نناقش قضية القدس . وبعد ناقشنا الوضع . وهناك اتفاق حول الحكم الذاتى . وتعتبر مسألة القدس أمرا ذو حساسية خاصة بالنسبة للاديان الثلاثة ، وأن ٨٠٠ مليون مسلم يتطلعون الى القدس العربية ولا يمكن تجاهل هذا الامر .

والمهم أن عجلة السلام تسير ، وأن الذى يحركها بحق هو أنور السادات رئيس مصر . . . بداية بحرب العبور فى أكتوبر ١٩٧٣ . .

على أن مبادرة السلام التى انتهت بتوقيع معاهدة السلام ، بالمنظور التاريخى ، ستظل انطلاقة دائمة ومتجددة يحسبها التاريخ لمصر الحضارة . فهذه المبادرة بلا شك كانت التحدى العظيم . وقد استطاعت أن تفرض السلام فى المنطقة ، حتى وإن صادفته وتصادفه الكثير من العقبات . فالحاجز النفسى الهائل بين العرب والاسرائيليين بدأ يتآكل وينقرض ، الى أن يسقط نهائيا على المستوى المصرى وعلى المستوى الفلسطينى وعلى المستوى العربى .

ان « الجمود » انتهى . . . وبدأت « الحركة » مسيرتها . وكما

يقول أستاذنا توفيق الحكيم في مقال له في ٢٧ مارس عام ١٩٧٩ بعنوان « الحركة » والجمود » مصورا النفسية العربية بصفة خاصة . يقول عن معاهدة السلام :

« انها خطوة مصر نحو الهدف . خطواتها التي تبدو في أول أمرها دائما غامضة أو ناقصة يحف بها النقد ، ثم تسفر بعد ذلك عن خير ييشر بالمجد . هكذا عاصرت في حياتي هذه الخطوات منذ مبدأ العشرينات »

« ففي عام ١٩٢٢ صدر تصريح ٢٨ فبراير ، فانتقده سعد زغلول ، ثم رضى أن يدخل الانتخابات على أساسه بدستور ١٩٢٣ في إطار الحكم الذاتي ، وأصبح رئيسا للوزارة في ظل الاحتلال البريطاني . وفي عام ١٩٣٦ وقع النحاس المعاهدة التي سماها « معاهدة الشرف والاستقلال » ، دون أن تزحزح الاحتلال ، وقوبلت كذلك بالنقد . . الى أن جاءت معاهدة ١٩٥٤ فظفرت مصر بالجلاء ، ولكن مع بند ينص على عودة الاحتلال اذا لاح خطر حرب أو اعتداء على بلد مجاور لمصر . وتهامس المتهمسون بالنقد أيضا ، وقابلني أحد رجال الاحزاب السابقة ساخرا من هذا الجلاء والاستقلال المشروط بإمكان عودة الاحتلال ، ولكني لم ألتفت الى هذا الناقد ، كما لم ألتفت الى أى ناقد لاي خطوة سبقت ، لان المهم عندي الحركة وليس الجمود . والفعل وليس النقد . والبناء وليس الهدم . ووضع طوبة واحدة خير من صيحة فارغة . والتحرك خطوة أهم من وقوف عظيم »

« لذلك انظر الى هذه المعاهدة نفس نظرتي المستبشرة التي لازمتني منذ أكثر من خمسين سنة »

« أتطلع الى مصر وهي تنهض لتبنى نفسها ، بعد أن قصدت طويلا لا تنبس بكلمة بناء لانه لا صوت يعلو على صوت الحركة !!



لقد أصاب أستاذنا الحكيم بخبرته الطويلة الثرية فيما قاله  
في هذه الكلمة المعبرة حول معاهدة السلام • وأعتقد أن الذين  
رفضوها ، يرتكبون أشنع الذنوب ، وخاصة بالنسبة للشعب  
الفلسطيني • انهم يرفضونها من أجل الرفض ، بل ربما لأن مصر  
بادرت لتسعى بنفسها منفردة للحل الشامل العادل في المنطقة ••  
ولو أن عندهم البديل – كما قال الرئيس السادات – فائنا سنسير  
وراهم ونلغى كل ما فعلناه •• !!



## الفصل التاسع

سيناء ٠٠ الطبيعة الصعبة

---



فى مفتتح عام ١٩٦٩ زار الرئيس محمد أنور السادات ،  
مدينة القنطرة شرق ، وبعض القرى المحررة ٠٠ وذلك قبل توقيع  
معاهدة السلام ٠ ووقف الرئيس ليقول :

( ان لسيناء ديننا فى رقبة كل مسلم ٠٠ وكل مسيحي ٠٠  
وكل يهودى ، لانها الارض التى اختارها الله سبحانه وتعالى ، لكى  
يبدأ منها رسالاته السماوية ، ويكلم الانسان لأول مرة فى تاريخ  
هذه الدنيا ٠ من أجل هذا فلسطيناء حق على الجميع ، وسوف  
تشارك مصر كلها فى صبغ رمال سيناء باللون الاخضر ، بدلا من  
اللون الاصفر . وسوف تنتهى عزلة هذه الارض المصرية المقدسة )  
وأعلن الرئيس أيضا :

( اعتبارا من اليوم نفتح سيناء على الوادى ، ونفتح له  
ذراعيها ، وسوف يذهب أبناء الوادى الى أراضيهم المقدسة فى  
سيناء ، ويفخروا بما حققه شعبنا ٠٠ وسوف تتدفق مياه النيل الى  
شمال وجنوب أرض سيناء ، وسوف تسرع وبقوة فى تعبير هذه  
الارض ، بالناس ، وبالخير ، وبالنماء ٠٠ لكى تصبح قرة عين  
مصر كلها ) ٠

وأضاف الرئيس السادات ، وهو يوقع خريطة الحدود  
الادارية الجديدة لمحافظة القناة وسيناء :

( ان ما اتخذناه اليوم من اجراءات كان لا بد وأن يتم منذ  
أجيال طويلة ٠٠ وهو ينهى الى الابد تلك الاحلام التى كانت تراود  
بعض الطامعين فى وقت من الاوقات ، بأن القناة حد فاصل بين  
سيناء وأرض وادياها ٠٠ )

وأثناء هذه الزيارة أيضا ، اتخذ الرئيس السادات قرارا  
فوريا بإلغاء الاجراءات الاستثنائية التي كانت تتحكم فى عمليات  
التنقل داخل سيناء ، وكانت تقف حائلا دون زيارة أبناء الوادى  
لسيناء .

وهذا الذى قاله أنور السادات .. كان تصورا متقدما ، قبل  
معاهدة السلام ، وقبل أن يبدأ تحرير سيناء ، بداية بالعريش ..  
وهو فى الواقع ، كان يعتبر عبورا جديدا الى سيناء ، يكسر حاجز  
العزلة الذى فرض على شبه الجزيرة سنوات طوال ، منذ أواخر  
القرن التاسع عشر .. خاصة بعد حفر قناة السويس فى بداية  
النصف الثانى من هذا القرن الماضى .. حيث كن الذهاب الى  
سيناء ، لأبناء الوادى ، لا بد أن يواكبهم اجراءات ، كتلك  
الاجراءات التى تتبع مع المسافرين الى خارج مصر .

وفى نفس الوقت ، فإن خريطة الحدود الادارية الجديدة ،  
تلك التى ألحقت بعض أجزاء سيناء بمحافظات القناة ، هى محاولة  
للقفز فوق حاجز قناة السويس المائى وتلاشيته ، وكذلك فإن  
الاتفاق تحت مياه القناة .. تبلور هذا الصور الجديد الى سيناء  
بلا موانع .. بل أن خريطة الحدود الادارية اعتبرت «تكاملا» جديد  
بين سيناء والدلتا .. بل محاولة للتلاحم ، تدل على أن فكر ما بعد  
أكتوبر ١٩٧٣ هو غير ما قبله . وتؤكد أن المؤمن لا يلدغ من جحر  
مرتين .. كما تدل على الفكر التخطيطى الذى بدأ قبل عودة سيناء  
فى كل المجالات .

والواقع أن سيناء التى وصفها نعيم بك شقير فى كتابه  
( تاريخ سيناء القديم والحديث .. ) .. بأنها ( قنطرة النيل الى  
الاردن والفرات ) .. شبه الجزيرة هذه حاولت معها قوى كثيرة ،  
وعلى رأسها الاستعمار البريطانى لمصر ، عزلها عن الدلتا .. لكن  
هذا كله أذاخته حرب أكتوبر العظيم . وقد كانت محاولات العزل  
بدعى أن سيناء ليست مصرية .. وهى دعوة كاذبة من أصولها

وجذورها . ولذلك فقد كانت محاولات أنور السادات لالغاء العزلة منذ عام ١٩٧٤ ، حين صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٨١١ لسنة ١٩٧٤ ، الذى اعتبر سيناء وحدة من وحدات الحكم المحلى فى مصر .

ومعلق سالم اليمانى على هذا القرار فى كتابه « سيناء .. الأرض والحرب والبشر » بقوله : لقد عرف أنور السادات بفكره العميق ونظره البعيد ورايه السديد .. أن عزلة سيناء لم تكن لنا بقدر ما كانت علينا ، وأن شعب محافظة سيناء الذى أثبت أصالته خلال المعارك وفهمه الواعى لامن قواته المسلحة .. جدير بأن يقف على قدم المساواة مع أشقائه فى المحافظات الاخرى ( .. )

وكما يقول اللواء صلاح الحديدى فى كتابه ( شاهد على حرب ١٩٦٧ ) : ( نجحت الادارة المحلية فى السنوات الاخيرة فى ازالة شكوك الاهالى فى علاقتهم بعاصمة الدولة واعتبارهم مواطنين من الدرجة الاولى ، لا يقلون ولاء لوطنهم عن اخوتهم فى وادى النيل ، ذلك الشك القديم الذى وضع بذوره المحافظون الانجليز لسيناء ، أثناء ازدياد النفوذ البريطانى فى مصر ، والذين كانوا يسمون على الفصل بين وادى النيل وسيناء ، والاتجاه بشسبه الجزيرة نحو فلسطين ) .

ولذلك فان دعوة الرئيس لمشايع سيناء ، بعد آخر مراحل الانسحاب من خط العريش الى راس محمد - واستضافتهم فى قصر عابدين .. كانت خطوة ذكية ، لم يفعلها حاكم لمصر من قبل.



سيناء كقطعة عزيزة غالية من مصر تبلغ مساحتها ٦١ ألف كيلو متر مربع ، ونسبة مساحتها الى ارض مصر هى ٦٪ . وهى تعادل ثلاثة أمثال مساحة الدلتا أو واحد على ستة عشر من مساحة

مصر وشبه الجزيرة المثلثة الشكل تقع بين ذراعى البحر الاحمر ،  
وهما خليج السويس وخليج العقبة • وتمثل شبه الجزيرة جزءا  
مرتفعا من صخور القاعدة الافريقية الضاربة فى القمم • والخليجان  
عبارة عن أخدودين • وكتلة شبه الجزيرة تنحدر بانخفاض نحو  
الشمال ، لتنتهى بقسمها الشمالى الذى تتمثل فيه تكوينات الغطاء  
الرسوبى •

وتبدو شبه الجزيرة كمثلث منتظم بدرجة أو بأخرى ، ولعل  
الادق كما يقول د • جمال حمدان مثلث مائل قليلا فى الجنوب ،  
يرتكز على قاعدة عريضة كالمستطيل تقريبا فى الشمال •  
والمستطيل الشمالى ، أو شمال سيناء أضلاعه قناة السويس غربا ،  
والحدود الدولية مع فلسطين شرقا بطول ٢١٥ كيلو مترا من رفح  
الى شمال طابه • ثم ساحل البحر المتوسط شمالا من بور قوادالى  
رفح بطول ٢٠٠ كيلو متر • وأخيرا الخط المائل بين رأسى خليج  
السويس والعقبة جنوبا ، أو - تجاوزا - خط عرض ٣٠ درجة •  
ومتوسط هذا المستطيل نحو ٢٠٠ الى ٢١٠ كيلو مترات ، وعرضه  
ثلث ذلك تقريبا • أى نحو ١٥٠ كيلو مترا • أما المثلث الجنوبى ،  
أو جنوب سيناء ، فراسه عند رأس محمد جنوب خط عرض ٢٨  
درجة بقليل ، أما أضلاعه ، فخليج السويس وطوله ٢٧٥ كيلو مترا ،  
وخليج العقبة ، وطوله ١٨٠ كيلو مترا • وكما يقول د • عبد  
الرحمن زكى فى كتابه ( سيناء أرض المارك ) فإن هذا المثلث ،  
طوله من الشمال للجنوب ٤٠٠ كيلو متر • ومن الشرق للغرب  
٢٠٠ كيلو متر •

والحقيقة - كما يرى د • جمال حمدان - أن سيناء ثلاثية  
فى مثلث ، فهى تنقسم الى ثلاثة أقاليم طبيعية ، أو فيزيوغرافية ،  
تتوالى من الشمال الى الجنوب :

١ - سهول واسعة تعرف اصطلاحا بسهول العريش ، وأحيانا  
بالصحراء •



٢ - هضبة وسطى ، وتطلق عليها تعميما اسم هضبة التيه .

٣ - كتلة جبلية تسمى عموما جبل الطور ، وفيها اكبر الجبال ارتفاعا في مصر .

(أ) أما السهول : فتعلو في الارتفاع من الشمال الى الجنوب ، وهي تنقسم الى :

● **سهول ساحلية شمالية** ، وتتراوح ارتفاعاتها ما بين مستوى سطح البحر وارتفاع ٢٠٠ متر . فهي منخفضة وفضيحة بعامة ، تحف سواحلها المستنقعات ، وأهمها سبخة البردويل ، وامتدادها بحيرة الزرائق ، وسبخة سهل الطينة في مواجهة بحيرة المنزلة . وأبرز ما يميز هذه السهول الساحلية الشمالية هي الكتبان الرملية - الثابتة والمتحركة - والتي تغطي الجزء الاكبر منها ، وأعطتها اسمها العربي القديم وهو ( اقليم الجفار ) . كما تعطى ( اللاندسكيپ ) أخص ملامحه ، وتلعب دورا خاصا في الحياة الاقتصادية ، وتعين حدود الحركة والمواصلات .

والظر على الشريط الساحلى أغزر ما فى سيناء ، ولكنه يقل بسرعة نحو الجنوب . وهو على الساحل يزداد كلما اتجهنا شرقا ، حيث امكانيات الحياة والزراعة ، وموارد المياه اغنى والعمران أكثر ، خاصة فى قطاع العريش - رفح . واذ تسقط الامطار على الكتبان الرملية ، فهذه الكتبان تتحول الى خزانات طبيعية ثمينة جدا للمياه ، فتصبح المياه الجوفية والآبار عماد الاستقرار والحركة ، أى العمران والزراعة ، وحركة المواصلات ، والجيش من الناحية الاخرى .

وكما يقول كتاب ( سيناء ٥٥ ) لسالم اليماني : توجد بشمال سيناء مساحات واسعة تزرع على الامطار وبعض المياه الجوفية . ومن أبرز هذه المساحات أرض المقبرة بجهة قسم بئر

العبد ، والزقية والقلس أيضا بنفس القسم ، والجورة بجهة قسم الشيخ زويد ، وعدد من هذه المساحات يقع بجوار العريش ، حيث تعتمد المدينة في استهلاكها من الخضروات والفواكه على هذه الاراضى . كما أن منطقة الاراضى فيما بين الشيخ زويد ورفع مشهورة بتربتها الخصبة ، ولذلك يزرع فيها الاهاالى الموالح كاشجار البرتقال ، كما يزرعون أشجار الزيتون والعنب والقمح والشعير والخروع ، والاخير صار ذا قيمة اقتصادية كبيرة . . ويساعد على ذلك أن التربة أغلبها من الطفل والرمل الطينى نتيجة التعرية لصخور شبه الجزيرة . . كما تقول دراسة بقلم اللواء محمد عبد المنعم القرماتى محافظ سيناء السابق بعنوان ( سيناء ) .

ومن أشهر الآبار الموجودة بشمال سيناء ( بير دويدار ) شمال القنطرة شرق . ( وبئر القلس ) بقسم بئر العبد . ( وبئر قطية ) و ( بئر المسمى ) بالعريش و « بئر المساعيد » و « بئر كريم » بالشيخ زويد . بالاضافة الى « بئر الشيخ زويد » ، و « بئر قبر عمير » ، و « بئر الجورة » ، و « بئر الخروبة » .

ويصف القريرزى الجفار ، اى شمال سيناء يقوله :  
 « أن سمي الجفار لشدة المشى فيه على الناس والعيال لكثرة رماله وبعد مراحل . والجفار تجر فيه الابل . وكان الجفار فى الزمن الاول متصل العمارات كثير البركات مشهورا بالخيرات لكثرة زراعة اهله الزفران والعصفر وقصب السكر ، وكان ماؤها غزيرا حلوا » .

كما يسكن هذه المنطقة عدة قبائل من البدو من السواركة ، والرميلات ، والرياضات ، والكمور ، والملاحة ، وبلي ، والدواغرة ، والبياضية ، والاخارسة ، والعيادة ، والمساعيد ، والعقيلة ، والسماينة .

● أما السهول الجنوبية ، فأكثر ارتفاعا . وتتراوح ما بين

٢٠٠ و ٥٠٠ متر فى المتوسط . فهى سهول متموجة عالية نسبيا ،  
يميزها الجبال القبابية الواسعة الانتشار ، التى تعلو مسطح  
السهل ، فلا تقل عن ٥٠٠ متر ، وقد تصل الى ١٠٠٠ متر . وهى  
صخور جيرية . وبين هذه القمم فتحات تفصل بينها ، ذات قيمة  
كبرى كطرق للحركة والمواصلات الطبيعية .

ورغم أن هذه الجبال تنتشر على صفحة السهول الجنوبية  
عموما بلا تحديد أو نظام صارم ، وأحيانا تتجاوزها الى أطراف  
السهول الشمالية ، فانها تؤلف فى مجموعها خطا واضحا الى حد  
بعيد ، أشبه بالقاطع الذى يخطط المستطيل القاعدى الشمالى  
بجامعة ، من الجنوب الغربى ، الى الشمال الشرقى . أى من قرب  
منطقة السويس الى قرب منطقة أبو عجيله ( أبو عويقله )  
والعوجة . والادوية ، والفتحات والممرات التى تفصل بين حلقات  
هذا الخط تقدم مفاتيح الحركة الحرجة . فإذا بدأنا من الجنوب  
الغربى ، وجدنا أولا كتلة جبلية طويلة تنقسم بصدد من الادوية  
والممرات العرضية الى عدة جبال منفصلة .

فهناك ( جبل الراحة ) ، الذى يحده جنوبا وادى مسدر ،  
فاصلا اياه عن كتلة الهضبة الوسطى ، بينما يحده شمالا ممر متلا ،  
الذى يقع الى الشمال منه ( جبل حيطان ) . ويمتد ممر متلا بضع  
عشرات من الكيلو مترات ، ولكنه يضيق حتى يصل أحيانا الى عدة  
عشرات من الامتار فقط .

ثم يلى الى الشمال ( جبل أم خشيب ) ، ويفصله من ( جبل  
حيطان ) وادى ممر الجدى . وأخيرا فى أقصى الشمال ( جبل  
الختمية ) التى يفصلها عن ( جبل أم خشيب ) ممر آخر هو ممر  
الحتمية .

وإذا ما عدنا مع القاطع الاساسى ، وجدنا الى الشمال الشرقى  
فى قلب الوسط ( جبل يلق ) أو يلىج . ثم فى الاتجاه نفسه ( جبل

حلال ) ، الذى تتمه تلال أقل ارتفاعا ، تصل الى منطقتى أبوعجيلة والعوجة . والى الشمال كثيرا من جبل يلقى ، وبعيدا عنه جبل صغير هو ( جبل المغارة ) ، ينظره الى الشمال من جبل حلال ، جبل صغير آخر هو جبل لبنى . وكلا الجبلين الصغيرين يمثلان بعض مقدمات ، أو طلائع ، القاطع الجبلى .

أما وادى العريش الذى يمنح السهول الشمالية من سيناء اسمه ، فهو أكبر أودية مصر الصحراوية ، طولا وتشعبا ومساحة . ولا غرابة فى أنه كان يسمى فى العصور القديمة ( نهر مصر ) . . . كما ( تصفه التوراة ) . وطوله ٢٤٠ كيلومترا ، بينما حوض صرفه يضم نصف مساحة سيناء ، ويجمع ثلثى مياهها تقريبا . وهو على الخريطة (المورفولوجية ) - كما يقول د. جمال حمدان - ( شجرى ) . أى كقرع الشجر ، يتألف من عدد كبير جدا من الروافد كالمروحة . . أهمها وادى العقبة من الجنوب الشرقى ، ووادى البروك من الجنوب الغربى . وأغلب مواقع وسط سيناء وشمالها المعروفة تقع على هذه الروافد ، مثل : نخل ، وبئر جبل الحصن ، وبئر التمادة ، والتمد ، ثم الكونتيللا ، والقصيبة ، والعوجة على الحدود . ثم أبو عجيلة قرب مصب وادى العريش ، وبعدها بير لحفن قرب مدينة العريش .

(ب) ثم نأتى الى الهضبة الوسطى . . . والى تحتل نحو ثلثى شبه الجزيرة المحصور بين ذراعى خليج السويس وخليج العقبة . ومعظم مناجم سيناء المعدنية ، خاصة المنجنيز والفوسفات ، تقع على الضلوع والمنحدرات الغربية لهذه الكتلة الهضبية ، أى الى تطل منها على خليج السويس .

وإذا كانت الهضبة الوسطى تسمى هضبة التيه - أو يرية التيه - فهى فى الواقع هضبتين ، هما :

هضبة التيه فى الشمال ، وهضبة العجمة فى الجنوب .  
وتتكونان من الصخور الجيرية ، وتنحدر فى الشمال بحافة حادة .

وهضبة التيه يغلب عليها الصخور الطباشيرية ، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ متر . وتقع فى حوض وادى العريش . أما هضبة العجمة فأقل عرضا ، ومساحتها نصف مساحة هضبة التيه ، لكنها أشد ارتفاعا ، وتتراوح ما بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ متر .

وكما يذكر سالم اليماني ، فإن من أشهر جبال الهضبة الوسطى ، ثلاث مجموعات كبيرة هى :

جبل الراحة ، فى الطرف الغربى ، وهو يطل على رأس خليج السويس ، وبينهما سهل وملى عرضه حوالى عشرة أميال .

جبل خشم الطرف ، فى الطرف الشرقى ويطل على خليج العقبة ، ويسمى أيضا طرف الركن ، ومنه فرع يسمى « جبل الطاقة » .

جبل العجمة ، ومنه فرع يمتد الى داخل التيه ويسمى ( شويشة العجمة ) فيه خرائب كثيرة .

وهذه الجبال مشهورة بوعورتها ، ولا يستطيع المرء سلوكها الا من خلال خمسة أنقاب صعبة وهى من الشرق : نقب الميراد ، ونقب المريخي ، ونقب ورساء ، ونقب الراكسة ، ونقب رطاه . وأشهر الانقاب وأكثرها استعمالا ( نقب الراكسة ) فى الطريق من مدينة الطور الى بلدة نحل .

كما أنه من أشهر جبال التيه فى الجنوب : جبل بضيج ، وجبل المنيدرة ، وجبل قلعة الباشا ، وجبال الحمراء ، وجبال الصفراء لتلون صخورهما بهذين اللونين . وجبل عريف الناقة . وأشهر جبال التيه فى الشمال هى : جبل الحلال ، وسمى

بهذا الاسم لوجود الراعى فيه للأبل والاغنام ، وهذه يطلق عليها  
اليليو اسم ( الحلال ) . بالاضافة الى جبل النبى ، وجبل  
الابرقين .

(ج) وأخيراً ٠٠ نأتى الى الكتلة الجبلية، أو المنطقة الجنوبية ،  
وهى كتلة الطور ، التى تحتل الثلث الجنوبى الاقصى ، ويفصلها  
عن نهاية الهضبة الوسطى - اى التى تنتهى اى خليجى انعقدة  
الاودية الجبلية المعقدة العميقة ، التى تنتهى الى خليجى العقبة  
والسويس ، شرقا وغربا ، والتى تحدد طريق المواصلات الاساسى  
عبر شبه الجزيرة فى هذا الجزء الوعر منها . ويمكن تحديد هذا  
الفاصل يوادى نصف شرقا ، ووادى فيران غربا .

وهذه الكتلة تتكون من الصخور النارية ، والمتحولة القديمة .  
يسودها الجرانيت بالوانه المختلفة . والارتفاع لا يقل عن ٢٠٠٠  
متر فى المتوسط ، ويتجاوز ٢٥٠٠ متر فى قمم الجبال العالية .  
وأعلى الجبال هنا هو ( جبل كاترينا ) ، أو جبل الطور - كما  
يسمى - والذي استمدت منه المنطقة كلها اسمها الجغرافى .  
والامطار هنا بفضل الارتفاع أغزر مما هى عليه فى الهضبة الوسطى،  
وموارد المياه فى الاودية أعذب ، والجبال جرداء ووعرة وقاسية .

وعلى امتداد مثلث شبه الجزيرة فى مجموعه ، هناك فارق هام  
بين السهول الساحلية ، كما بين الخليجين شرقا وغربا . فعلى  
الغرب تترك الهضبة والجبال سهلا ساحليا متسعا نسبيا ، يصل  
الى أقصى مداه فى نصفه الجنوبى ، حيث يعرف باسم ( سهل  
القاع ) الذى تتوسطه مدينة الطور . كذلك تكثر الاودية الجبلية  
الطويلة مثل سدر ، وسدرى ، وفيران ٠٠ والاخير أطولها وأغناها  
بالنباتات والواحات . أما على خليج العقبة ، فلا تكاد المرتفعات  
تترك سهلا ساحليا بمعنى الكلمة . والاودية الجبلية قصيرة  
ومنحدرة ، أهمها وادى نصب ، حيث يقع عليه ( ميناء ذهب ) .  
والخليجان يختلفان : فخليج السويس اعرض وأطول من

العقبة • لكن خليج العقبة أعمق من خليج السويس • وعمر خليج السويس قديم جدا ، أما خليج العقبة فهو حديث النشأة • ومدخل خليج السويس أكثر انفتاحا واتساعا •• الا من جزر الشعاب المرجانية التي من أهمها ( شدوان ) • أما خليج العقبة ، فبحر شبه مغلق ، يختنق مدخله بعنق ضيق هو ( مضيق تيران ) ، الذي تتوسطه جزيرتا ( تيران ) و ( صنافير ) •

على أن المنطقة الجبلية وإن كانت وعرة وصعبة ، فهي تعتبر من أغنى مناطق مصر استراتيجيه والبتروليه ، ففيها توجد مناجم الفيروز ، والنحاس والمنجنيز ، كما توجد بها أكبر حقول مصر البترولية •

ويرى سالم اليماني أن أشهر الجبال في هذه المنطقة هي :

● **جبل طور سيناء** : والذي يقع قريبا من مدينة الطور ، وهو الجبل المعروف في التوراة بجبل حوريب ، أو جبل سيناء ، أو جبل الله ، الذي تجلى الرب عليه لسيدنا موسى عليه السلام في عليقة مشتعلة وأمره بالعودة الى مصر واقفاذ بني اسرائيل من الاسر •

● **جبل موسى** : ويبلغ ارتفاعه ٧٣٦٣ قدما عن مستوى سطح البحر ، وقد بني على قمته كنيسة صغيرة لرهبان دير سيناء ، وجامع صغير • ويتميز هذا الجبل وغيره من الجبال المجاورة باللون الاصفر •

● **جبل المناجاة** : ويقع شمالي جبل موسى • ويقول البدو من أهل سيناء انه الجبل الذي عليه ناجى موسى ربه • وهو يعلو ٦٠٠٠ قدم على مستوى سطح البحر •

● **جبل الصفاة** : ويقع الى الشمال الغربي من جبل موسى • وقد سمى كذلك لان في جهته الشرقية صفاة • وهو

يعلو ٦٧٦٠ قدما عن مستوى سطح البحر ، ويطل على سهل فسيح يدعى ( سهل الراحة ) . ويقال انه الجبل الذى وقف عليه سيدنا موسى عند تلقيه الوصايا العشر . ويزور بلد سيناء هذا الجبل مرة كل عام ، حيث يضربون خيامهم فى سهل الراحة عند مقام النبي هارون ، ويصعدون الجبل ليزبحوا نذورهم ، ومن هذه القبائل قبائل الجبالية ، والصوالحة ، والعليقات وأم زينة أو مزينة ، والقراوشة .

● **جبل القديسة كاترينا** : ويقع الى جانب جبل موسى الى الجنوب الغربى منه وله ثلاث قمم أعلاها ٨٥٣٦ قدما ، ويعتبر من أعلى قمم الجبال فى سيناء .

● **الجبل الاحمر** : وسمى بذلك من أجل لون تربته الحمراء ، وهو يقع الى القرب من جبل سيناء أو حوريب ، وللجبل عدة فروع منها ( جبل الفريخ ) .

● **جبل سريال** : وهو أشهر جبال سيناء بعد جبل موسى ، ويقع الى الشمال من مدينة الطور ، وله خمس قمم تشمل تاجا عظيما على شكل نصف دائرة ، ارتفاع أعلاها نحو ٦٧٣٠ قدما ، ونحو ٤٠٠٠ قدم عن وادى فيران الشهير فى سفحه الشمالى .

● **جبل البنات** : وهو جبل يقع مقابل جبل سريال حيث يفصل بينهما وادى فيران ، وترجع أصل تسميته كما يقولون ، ان بعض بنات البادية كن يلدن به من أهلن ، خلاصا من زواج غير مرغوب فيه ، ولما كن يطاردن من الاهل ، كن يرمين بأنفسهن الى الوادى منتحرات . كما يرجع البعض أصل التسمية الى بعض الراحيات اللاتي انتحرن من فوقه .

● **جبل أم شومر** : ويقع الى الشرق من مدينة الطور ، ويبلغ ارتفاعه حوالى ٨٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر .

● **جبل حمام موسى** : وهو جبل صغير على خليج السويس .



وعلى بعد ٤ أميال من مدينة الطور • وبه سبعة ينابيع كبريتية حارة ، وقد بنى سعيد باشا فوئ أحدها حماما لا تزال آثاره باقية •

● **جبل الناقوس :** وهو جبل صغير شديد الانحدار ، مكسو بالرمال على شاطئ الخليج ، ويقع على بعد ٨ أميال شمال جبل حمام موسى • وقد سمي بهذا الاسم لظاهرة غريبة فيه هي أنه كلما انهالت الرمال على سفحه ، أحدثت صوتا كصوت الناقوس •

● **جبل حمام فرعون :** ويقع على شاطئ خليج السويس • ويخرج من سطحه نبع كبريتي تبلغ حرارته ١٥٧ درجة • وفم النبع يقع على شاطئ البحر ليصب فيه • ويستحم فيه أهالي سيناء من قبيل الاستشفاء من الروماتيزم والأمراض الجلدية ، شريطة أن يكونوا بعيدين عن مياهه الشديدة الحرارة •

● **يضاف إلى ذلك جبال أخرى مثل :** جبل المغارة ، وجبل سرايت الخادم ، وجبل أبو سعود • وجبل الحديد ، وقد سمي الأخير بذلك لوجود خام الحديد فيه •



ومع هذه الطبيعة الصعبة ، أو الصعوبة الطبيعية •• فإن سيناء كما يرى د • جمال حمدان لها جغرافيا عسكرية • فهي العقدة التي تلحم أفريقيا بآسيا ، كما تلحم مصر بالشرق العربي مباشرة •• بمثل ما أن مصر هي العقدة التي تلحم الشرق بالغرب العربي •

على أن سيناء قبل كل شيء وبعد كل شيء هي مدخل مصر الشرقي وبوابتها الحارسة • وهي برغم فراغها ، وما يبدو عليها كعامل فصل جغرافي ، فهي أيضا عامل وصل مؤكد ، يشهد له وبه طرق المسيرات الحربية ، ذهابا وجيئة ، فضلا عن موجات الهجرة والتجارة طوال التاريخ •

وبمزيد من التحديد ، كما يقول د<sup>•</sup> جمال حمدان ، فإن  
المستطيل القاعدى الشمالى ، والواقع الى الشمال من خط عرض ٣٠  
درجة تقريبا ، هو قاعدة الحركة والمرور والوصل بالامتياز ، فى  
حين أن المثلث الجنوبى أسفل هذا الخط منطقة العزلة والفصل •

فالاول يحمل شرايين الحركة المحورية و ( الجبل السرى )  
بين قارتى افريقيا وآسيا • والثانى هو منطقة الطرد والالتجاء ،  
التي آوت اليها بعض العناصر المستضعفة ، كبعض قبائل الرعاة ،  
وبعض المسيحيين أيام الاضطهاد الرومانى •

ولما كان طريق الخط الخارجى البرى الى مصر هو الشام  
أساسا ، وكانت سيناء تمثل النقطة الحرجة بين ضلعى الشام  
ومصر ، اللذين يكونان وحدة استراتيجية واحدة ، فقد أصبحت  
طريق الحرب بالدرجة الاولى • انها معبر ارضى ، وجسر استراتيجى ،  
عبرت عليه الجيوش منذ فجر التاريخ ، حتى أن تحتسب الثالث  
عبره وحده ١٧ مرة •

والواقع أنه ان تكن مصر ذات أطول تاريخ حضارى فى العالم ،  
فان لسيناء أطول سجل عسكرى معروف فى التاريخ تقريبا • ومن  
هنا فان سيناء أهم وأخطر مدخل لمصر على الإطلاق • انها كخير  
بالنسبة للهند ، أو كمبر ذرو نجاريا بالنسبة لوسط آسيا •  
ويمكن أن نقول أن سيناء هى كل ذلك ، بمضايقتها الثلاثة ، وهى :  
ممر متلا ، ازاء السويس • وطريق الوسط ، ازاء الاسماعيلية •  
وطريق ساحل الكثبان الشمالى ابتداء من القنطرة • بمعنى أن  
سيناء مدخل قارة برمتها ، مثلما هى مدخل مصر •

وغنى عن الذكر ، أن سيناء برمتها وحده ( جيواستراتيجية )  
واحدة ، لكل جزء منها قيمته الاستراتيجية الحيوية •

فأما المثلث الجنوبى ، فهو بموقعه الجانبى الخلفى وتضاريسه  
الوعرة الصعبة ، قد لا يأتى الا فى المرتبة الثانية ، كطريق حرب

وميدان قتال . لكنه بتعمقه وبروزه نحو الجنوب ، يعطى - خاصة  
فى عصر الطيران - نقط ارتكازا للوثوب على ساحل البحر الاحمر  
بالاسطول البحرى أو بالطيران ، لتهديد عمق الصعيد المصرى .

وتتركز القيمة الاستراتيجية للمثلث الجنوبى بصورة  
بارزة ، وبصفة مباشرة ، فى سواحله عامة ، ورأس شبه الجزيرة  
عند شرم الشيخ بخاصة . حيث شرم الشيخ التى تعد المفتاح  
الاستراتيجى لكل المثلث الجنوبى .

وإذا كانت هذه هى القيمة الاستراتيجية الحيوية للمثلث  
الجنوبى من سيناء ، فان قيمة المستطيل الشمالى بالذات فائقة ،  
والذى يمكن فيه للسكك الحديدية أن تمتد ، وكذلك الطرق  
الاسفلتية . وهذا المحور يتحصر بين مستنقعات الساحل الرخوة  
الهشة من الشمال ، وبحر الكثبان الرملية من الجنوب . والطريق  
غنى بالآبار وموارد المياه نسبيا ، كما أسلفنا .

ويبدأ المحور الشمالى على القناة عند القنطرة ، التى تحدد  
نهاية بحيرة المنزلة الجنوبيه ، وبداية أول ارض صلبة بعدها ،  
والتي تستمد اسمها من أنها كانت قنطرة العبور على فرع النيل  
البيروزى فى العصور المصرية القديمة . ومن القنطرة يتجه المحور  
شمالا بشرق ، موازيا لسهل الطينة الرخوة وبعيدا عنه ، ثم ينثنى  
شرقا قرب بالوظة ، ثم يمر برمانة ، فقاطية ، ثم بير العبد على طرف  
بحيرة البردويل . ومن البحيرة يضى المحور الى العريش ، فالشيخ  
زويد ، ثم رفح ، حيث يتصل بطريق الساحل فى فلسطين ، مارا  
بخان يونس ، ودير البلح ، وغزة ، فالمجدل ، فيافا .

ونظرا لاهمية هذا المحور التاريخية، نجد كثيرا من معارك مصر،  
أو بالأحرى معارك مصر فى سيناء ، تدور غالبا - ان لم نقل دائما  
- فى نهايته فى أقصى الشرق أو الغرب . أى رفح وبيروزيوم على  
الترتيب . وقد حدث هذا فى العصر البطلمى، وتكرر أيام الرومان،  
كما تكرر مرارا فى العصر العربى .

هذا عن الشمال ، أو المحور الشمالي ، الذي فقد عصر  
الصدارة في العصر الحديث ، واستولى على الصدارة منه المحور  
الاطوسط .

والمحور الاوسط ، هو المحور القاطع الذي يمتد بين  
الاسماعيلية وأبو عجيبة ، وهو العمود الفقري في محاور سيناء  
الاستراتيجية الثلاثة . وهو اليوم طريق الخطر . وقد كان محور  
تحرك القوات البريطانية بين مصر وفلسطين . كما ركزت عليه  
اسرائيل دائما في كل عدواناتها . ويرجع ذلك الى أنه صالح تماما  
لتحرك الحملات الميكانيكية الثقيلة . هذا الى أنه يؤدي مباشرة الى  
قلب مضبة فلسطين الداخلية ، ومن هنا كان يعرف بطريق  
الشام .

ويبدأ المحور الاوسط على القناة ازاء الاسماعيلية ، التي تصبح  
الهدف الطبيعي الاول لكل من يهاجم مصر والقناة من الشرق .  
وبعد ما يمر المحور بالطاسة ، ثم بأم مرجم ، التي ركز فيها  
العدو الاسرائيلي قيادة طيرانه وجهاز راداره . وفي هذه  
المنطقة يتبع ممر الختمية الهام الذي يقسم بين جبل  
الختمية شمالا ، وجبل أم خشيب جنوبا . ثم يستمر المحور الى  
الشرق حتى يصل الى مضيق الجفجافة ، الذي يعد الفتحة الحاسمة  
بين جبل المغارة في الشمال وكتلة جبل ( يلقي ) الصمبة في  
الجنوب . وبعد المضيق يتجه شمالا بشرق ، حيث تحدده فتحة  
أخرى ثانوية ، تنحصر بين جبل ( لبنى ) في الشمال ، وجبل  
( الحلال ) في الجنوب . ومن هنا تأتي أهمية الجبل الاول - لبنى  
- في حرب يونيو ١٩٦٧ حيث دارت معركة دبابات كبيرة .

بعد ما يستمر المحور حتى يصل الى أبو عجيبة ، التي تقع  
على ( جذع ) وادي العريش ، كما تلتقي عندها مجموعة روافد  
الوادي المحلية من الشرق والغرب . وهذا ما يمنحها قيمتها  
الاستراتيجية ، كأهم نقطة قبل الحدود مباشرة . فمن طريق

الوادي الرئيسي يتصل المحور الاوسط بالمحور الشمالى ، لاول مرة  
فى الرحلة . ومن ناحية أخرى ، فان أحد روافد الوادي المحلية  
يؤدى الى العوجة عبر الحدود . والعمليات العسكرية فى العوجة  
ترتبط بمثيلتها فى أبو عجيلة . ومن العوجة يتصل المحور بخط  
وسط فلسطين عن طريق ( عسلوج ) - بير سبع - الخليل ، ثم  
القدس .

اما المحور الجنوبي ، فهو يمتد ما بين السويس والقصيمة .  
وهو تعترضه العوائق الجبلية . ويبدأ هذا المحور ازاء السويس ،  
التي تستقطب كل الاهمية الاستراتيجية لرأس الخليج ، وذلك  
باعتبارها مدخل القناة . ومركز عمرانى وصناعى ، فضلا عن أنها  
هى التي تؤدى بطريق السيارات والسكة الحديدية المباشرة الى  
القاهرة رأسا . ومن السويس يتجه المحور الى الشط ، بعدها  
يصل الى ممر متلا ، الفتحة الحاكمة للمحور بأسره . ومن هنا  
تأتى أهمية الممر الدفاعية القصوى عن السويس ، فالقناة ،  
فالقاهرة . وهذا الممر ينحصر بين جبل الراحة فى الجنوب ، وجبل  
حيطان فى الشمال . وبعد الممر يتجه المحور شمالا بشرق الى بير  
تمادة فى وادي البروك . ثم الى بير الحسنة ، ومنها يضى الى  
الجنوب من جبل الحلال ، الى أن يصل الى القصيمة ، قرب الحدود  
مباشرة ، والتي تحف بها بعض النقاط ، مثل المويلح ، وعين  
الجديرات . ومن القصيمة أيضا يتصل المحور الجنوبي بالمحور  
الاوسط شمالا عند أبو عجيلة ، عن طريق وادي العريش ، وبالعوجة  
شرقا . وبذلك يصب المحور هو الآخر فى قلب وسط فلسطين .

تلك هى المحاور الاستراتيجية الاساسية فى سيناء .

وهناك محور فرعى رابع ، يخرج من المحور الجنوبي ، متجها  
الى رأس النقب على نهاية خليج العقبة . فبعد ممر متلا ، تتجه هذه  
الشعبة جنوبا بشرق ، مارة ببير جبل الحصن على وادي البروك .  
ثم نخل على وادي العريش الرئيسي . وبعدها يصل الى التلة على

وادی العقبة ، ثم الى رأس النقب على الحدود قرب طابا المصرية والعقبة الاردنية . وعند التمد تخرج من المحور شعبة نحو الشمال الشرقي الى الكونتيتلا .

وهذا المحور الرابع ، هو طريق - او درب - الحج القديم ، الذى فقد أهميته بعد تحول الحج الى طريق السويس البحرى ، فضلا عن الطريق الجوى . وطريق الحج يسير على أرض صلبة ، لكنها صعبة فى الواقع .



ومع هذه الطبيعة الصعبة أيضا ، فإن سيناء تحتوى على مجموعة من الطرق .

ويجمل اللواء رفعت الجوهري فى كتابه ( سيناء أرض القمر ) الحديث عن هذه الطرق المعبدة والجميلة - كما يرى - وهى طرق كانت قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ ، ونذكرها للذكرى والاعتبار . وأهم هذه الطرق هى :

١ - طريق القنطرة - العريش ، وطوله ٢٠٠ كيلو متر .

٢ - طريق الاسماعيلية - أبو عجيلة - العريش - رفح - غزة ، وطوله نحو ٣٢٧ كيلو مترا .

٣ - طريق أوسط من السويس الى المعدية ، ثم ( نقبمتلا ) . ويتفرع من هناك شمالا الى الحسنة والقسيمة والعريش ، وطول هذا الطريق ٤٤٧ كيلو مترا : كما يتفرع هذا الطريق شرقا الى نخل والكونتيتلا والعقبة ، وطوله ٣٠٣ كيلو مترات .

٤ - طريق من السويس الى المعدية ، ثم يتجه جنوبا الى عيون موسى ، ورأس سندر ، وأبو زنيمة ، وطوله ١٣٢ كيلومترا . وجنوبا الى الطور وطوله ٢٤٣ كيلو مترا . والطريق من السويس الى شرم الشيخ وطوله ٢٣٨ كيلو مترا . وهذا الطريق له فرع يتجه

من أبو زنيمة شرقا الى دير سانت كاترين وطوله ١٢٦ كيلو مترا .  
ومن السويس الى سانت كاترين وطوله ٢٥٨ كيلو مترا .  
وفصل اللواء رفعت الجوهري الحديث عن هذه الطرق التي  
سار فيها وكتب عنها من واقع المعايشة فيقول :  
**اولا - على طريق السويس - سانت كاترين :**

(أ) عيون موسى ، وبينها وبين السويس ٣٠ كيلو مترا .  
وهي واحة صغيرة جميلة ، ومجموعة من النخيل وسطح عيون  
متفجرة . ويقال أنها المكان الذي وقف عنده النبي موسى ، وضرب  
عصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، شرب منها بنو اسرائيل .  
كما جاء في سورة الاعراف ذكر هذه العيون ، في قوله تعالى :  
وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه  
قومه أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا .  
قد علم كل اناس مشربهم ، وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المني  
والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمناهم ولكن كانوا  
أنفسهم يظلمون ) .

وفي رواية أخرى أنها المكان الذي عبر عنده البحر ، النبي  
موسى . ومما يذكر أنه في سنة ١٥٣٨ ميلادية حدثت عند عيون  
موسى موقعة بحرية هامة بين الاسطول العثماني واسطول  
البرتغاليين .

(ب) واس سدر ( ٥٨ كيلو مترا من السويس ) .  
وهي مدينة أنشأتها شركة آبار الزيوت الانجليزية المصرية سابقا ،  
وبها خزانات ومعامل البترول المتجمع من وادي سدر - هذه  
المعلومات منذ أوائل الستينات - كما أن هناك في نهاية الوادي  
قلعة تاريخية أثرية تسمى بقلعة الباشا ، أنشئت في عصر الملك  
الناصر عام ٥٣٨ هجرية .

(ج) أبو زنيمة ، وتبعد عن السويس ١٣٢ كيلو مترا ، وهي

ميناء لشركة سيناء ، حيث صناعة المنجنيز • كما أنها مكان جيد للصيد •

(د) وادى المغارة ، بعد أبو زنيمة مباشرة •

(هـ) دير القديسة كاترين ، ويبعد عن السويس ٢٥٨ كيلو مترا •

**ثانيا : على طريق أبو زنيمة - الطور ( ١١١ كيلو مترا ) او من السويس الى الطور ( ٢٤٣ كيلو مترا ) •• يرى السائر :**

(أ) جبل الناقوس عند الكيلو ٢١٩ من السويس •

(ب) جبل حمام فرعون ، حيث توجد العيون الكبرى عند الكيلو ٢٢٩ •

(ج) جبل أم شومر الذى يطل على مدينة الطور •

(د) جبل سربال الشهير •

(هـ) الطور •• وهى منطقة غنية بصيد الاسماك •

**ثالثا : على طريق سيناء الاوسط ، من السويس الى العقبة، يرى السائر الآتى :**

(أ) عند الكيلو ١٤٠ بلدة نخل ، وبها القلعة الاثرية القديمة التى بنيت فى عهد السلطان الفورى عام ١٥١٦ ميلادية •

(ب) نقب العقبة ، وطوله ٣٠٣ كيلو مترات من السويس ، وهو الطريق الوحيد الموصل بين مصر والبلاد العربية والاردن والحجاز • وقد أعيد اصلاحه وترميمه فى عهد السلطان قلاوون سنة ١٢٣١ ميلادية •



أخيرا •• ورغم الطبيعة الصعبة أيضا ، فان سسيناء تشكل



ثلاثة خطوط دفاع استراتيجية من خلال جغرافيتها وتضاريسها ،  
وهي خطوط دفاعية تتعاقب من شرق سيناء الى غربها ، أى من خط  
الحدود الفاصل بين مصر وفلسطين حتى قناة السويس . وهي كما  
فى كتاب سالم اليماني كالآتى :

**الخط الاول :** ويقع على وجه التقريب بمحاذاة حدود مصر  
الدولية مع فلسطين تحت الانتداب . ويبدأ بطابه ورأس النقب عند  
رأس خليج العقبة ، ثم يمتد الى الكونتيل ، ثم يستمر نحو الشمال  
الغربي حتى يصل الى القسيمة ، ليمر غير بعيد من عين الجديرات  
والعوجة . ثم يتتبع جذر وادى العريش مارا بأبو عجيلة ، وبعدها  
يتجه الى جبل لبنى فى الغرب ثم يمر بدير لحفن ، ليصل بعدها  
مباشرة الى مدينة العريش .

**الخط الثانى :** وهو خط المضائق أو الممرات ، ويمتد من  
السويس حتى بحيرة البردويل . ويستمد هذا الخط أهميته من  
وقوع مفاتيح الحركة الحرجة لداخل سيناء عليه ، كمر متلا فى  
الجنوب ، ومضيق الجفجافة فى الشمال . وهو يبدأ من رأس  
خليج السويس ، شاملا السويس نفسها ، والكوبرى ، والشط  
ثم عيون موسى . ثم يرتبط بمجموعة الاودية الصحراوية حتى  
يصل الى الحاجز الجبلى الاشم : جبل الراحة فى الجنوب ، وجبل  
حيطان فى الوسط ، ثم جبل أم خشيب فالختمية شمالا . وهي  
جميعها من المناقة بحيث لا يوجد منافذ بها الا عدة ممرات ، اثنان  
منها رئيسيان واماسيان وهما : ممر متلا على المحور الجنوبي ، ثم  
مضيق الجفجافة على المحور الاوسط . واثنان منها ثانويان وهما :  
ممر الختمية ، وممر الجدى .

ومن أجل ذلك يعتبر هذا الخط الثانى - بلا نزاع - طبقا  
لاجماع العسكريين والمعنين باستراتيجية سيناء ، من أهم خطوط  
الدفاع الثلاثة ، اذ أن السيطرة عليه تحدد وتحسم المعارك ، سواء  
على يمينه أو على يساره . ولذلك نجد أن اسرائيل حينما سيطرت

على هذا الخط فى عام ١٩٦٧ تمكنت بسهولة من الوصول الى قناة السويس .

**الخط الثالث :** وهو قناة السويس نفسها ، من بور سعيد شمالا الى السويس جنوبا ، مارا بالقنطرة ، فالاسماعيلية . ولهذا الخط أهمية خاصة . ذلك أن من يسيطر عليه يهدد أرض الوادى تماما ، كما حدث فى أعقاب عدوان يونيو ١٩٦٧ حيث استقرت القوات الاسرائيلية على الشاطئ الشرقى للقناة ، فهددت بذلك مدن القناة الثلاث التى لم تجد مصر بدا من تهجيرها . . . وليس هذا فقط ، بل ان من يسيطر على هذا الخط ، يسيطر فى الوقت نفسه على جنوبى سيناء ، بما فيها خليج السويس .

## الفصل العاشر

سيناء ٠٠ البشر

---



كما يقول كتاب ( سيناء وخطط التنمية حتى سنة ٢٠٠٠ ) ،  
والذى أصدرته المجالس القومية المتخصصة عام ١٩٧٩ ، فانه قد  
حدثت ابتداء من ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٦٦ تسع تعدادات للسكان  
فى سيناء . غير أن بيانات التعداد لم تكن دقيقة ، وذلك بحكم  
طبيعة شبه الجزيرة الصحراوية . وتعداد عام ١٩٦٦ نفسه أجرى  
بطريقة ( العينة ) ، وليس بطريقة الحصر الشامل . يضاف الى  
ذلك أن البدو يتعذر عليهم عددا صحيحا لانهم شديدا النفور من  
التعداد ، بل هم يتشامون من العد .

ويذكر كتاب ( سيناء وخطط التنمية ) أرقام التعداد كالتالى:

- عام ١٨٨٢ ، عدد السكان ٤١٧٩ نسمة
- عام ١٨٩٧ ، عدد السكان ٤٨٤٤ نسمة
- عام ١٩٠٧ ، عدد السكان ٧٤٠٧ نسمة
- عام ١٩١٧ ، عدد السكان ٥٤٣٠ نسمة
- عام ١٩٢٧ ، عدد السكان ١٥٠٥٩ نسمة
- عام ١٩٣٧ ، عدد السكان ١٨٠١١ نسمة
- عام ١٩٤٧ ، عدد السكان ٣٧٦٧٠ نسمة
- عام ١٩٦٠ ، عدد السكان ٤٩٧٦١ نسمة ، وان كان كتاب  
( مدخل الى سيناء ) يرتفع بهذا الرقم الى ١٢٧٠٨٠ نسمة .
- عام ١٩٦٦ ، عدد سكان الحضر ٧٦٢٥٢ وعدد التجمعات  
٥٦٥٣٠ ، أى المجموع يصل الى ١٣٢٧٨٢ نسمة .
- وعام ١٩٧٦ ، عدد سكان الحضر ١٠١٠٤ نسمة ،  
والمناطق غير المحررة ١٤٧٠٠٠ نسمة . أى المجموع ١٥٧١٠٤ .

وان كان كتاب ( مدخل الى سيناء ) يجعل التعداد حوالى ٢٢٠ ألف نسمة ، منهم حوالى ٤٥ ألف نسمة فى العريش وحدها . وهذا بينما الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء يذكر فى اوراقه انه فى عام ١٩٧٨ وصل تعداد سكان سيناء الى ١٦٩ ألف نسمة .

على انه بالنظر الى ارقام التعداد منذ عام ١٨٨٢ ، فانه يبدو ان سكان شبه الجزيرة يزدون باطراد ، باستثناء الفترة الواقعة بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٧ . ولا شك ان ظروف الحرب العالمية الاولى ربما كانت هى السبب فى نقص عدد سكان شبه الجزيرة ، حيث كانت سيناء مسرحا للعمليات الحربية ، بين الجيش التركى والقوات البريطانية .

وقد سار النمو السكانى بعد الحرب سيرا طبيعيا ، حتى وصل - كما اوضحنا - فى عام ١٩٢٧ الى ثلاثة أمثالهم خلال فترة الحرب . لكن معدل النمو ارتفع ارتفاعا ملحوظا فى الفترة من عام ١٩٣٧ الى عام ١٩٤٧ . ولا شك ان الحروب المتعددة التى أعقبت ذلك ، حتى حرب رمضان - أكتوبر ١٩٧٣ قد تركت بصماتها على السكان . سواء من حيث النمو أو التوزيع أو الخصائص . بمعنى ان السكان تزايدوا بنسبة ١٠٢٤٪ فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٧ و ١٩٦٦ ، بمعدل سنوى ٥٤٪ . والسبب فى ذلك يعود الى :

**اولا :** انتقال عدد غير قليل من الفلسطينيين - كلاجئين - بعد حرب ١٩٤٨ الى سيناء ، ولا سيما مدينة العريش ، والمنطقة الممتدة بينها وبين قطاع غزة . ويؤكد ذلك ان سكان العريش وحدها زاد عددهم من ١٠ آلاف نسمة عام ١٩٤٧ الى حوالى ٤٠ ألف نسمة فى تعداد ١٩٦٦ . أو أكثر من هذا العدد كما فى مصادق أخرى . ومعنى هذا ان الزيادة السنوية لسكان العريش أربت على ٢٠٪ وهو معدل كبير . كذلك زاد عدد سكان المنطقة الممتدة بين العريش وقطاع غزة زيادة ملحوظة ، اضطرت ازمها السلطات الى تعديل الحدود الادارية بانشاء قسم فى الشيخ زويد .

ثانيا : ازدياد الاهمية الحربية لسيناء بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ ، والعدوان الثلاثي في ١٩٥٦ ، مما ترتب عليه ازدياد عدد أفراد القوات المسلحة في شبه الجزيرة ، وأدى هذا بدوره الى اجتذاب عدد غير قليل من السكان للاشتغال بالخدمات المختلفة .

ثالثا : اكتشاف عدد من حقول البترول في سيناء ، وهي حقل سدر ١٩٤٦ ، وعسل ١٩٤٧ ، ومطارمة ١٩٥٧ ، وسدرى ١٩٥٨ ، وبلعيم بحرى ١٩٦١ وقد أدى استغلال هذه الحقول الى اجتذاب أعداد غير قليلة من الايدى العاملة لاستخراج البترول .

على أنه مع تلك الزيادة المسببة ، فإن سكان سيناء بالطبع قليلون . والسبب في ذلك كما يرى سالم اليماني ، أن قلة الكثافة السكانية نجمت عن الاوضاع الاستثنائية ، التي عزلتها ، وأفردت لها نوعا خاص من الحكم .

وللدكتور جمال حمدان في كتابه ( ٦ اكتوبر في الاستراتيجية العالمية ) رأى ، يقول فيه : ان مجموع سكان سيناء محدود جدا بالنسبة لمساحتها الشاسعة . فتنفاوت فيها تقديرات السكان بشدة ما بين ١٠٠ ألف و ٢٠٠ ألف قبل الاحتلال الاسرائيلي ، الذي حاول افراغ شبه الجزيرة من نحو نصف سكانها فيها يقدر ، بالتهجير الاجباري ، والطرود والارهاب . ونحن نتفق مع د. جمال حمدان في رؤية . . ففي فترة الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ، جرى نقل وتهجير كثير من السكان ، بدعوى العمل في مناطق أخرى . وقد ظهر هذا الامر بعد تحرير العريش ، اذ أن الادارة المدنية المصرية للعريش اتضح لها أن عددا من السكان نقلتهم السلطات الاسرائيلية من العريش وما يجاورها ليعملوا داخل فلسطين ، وفي الضفة الغربية . . مما دعا الامر الى استدعائهم للعمل في أماكن سكنهم ، وعدم السماح بعد ذلك بالذهاب والاياب الى فلسطين .



والواقع ٠٠ أن تعداد سكان سيناء كلها ، يعادل بالكاد سكان مدينة متوسطة الحجم في وادي النيل . ولذلك فمتوسط الكثافة السكانية العام منخفض جدا بحيث يصل من ١ الى ٣ نسمة في الكيلو متر المربع ٠٠ مع أن مساحة شبه الجزيرة تبلغ حوالى ٦٧٠١٤ كيلو متر مربع .

ثم ان التوزيع الفعلي للسكان مركز أساسا في مواطن الانتاج والمياه ، التى ترتبط بأطراف شبه الجزيرة وهوامشها ، بينما تخلو رقع كثيرة وشاسعة في الداخل الهضبي والجبل ، من السكان تقريبا ، وهى مناطق تعد من ( اللامعمور ) . ولهذا يأخذ العمران بصورة تقريبية نمطا حلقيًا حول ( القلب الميت ) . وهذه صورة مألوفة في الجغرافيا البشرية ، ولكنها في سيناء تبدو أشد غرابة ، لأنها كلها ضعيفة السكان للغاية .

وتأخذ حلقة العمران شكل الشريط المتصل نوعا على الساحل الشمالى الشرقى من رفح الى البردويل ، وتتوجه مدينة العريش كبرى مدن سيناء ، وثانى أكبر مدينة صحراوية في مصر بعد مدينة مرسى مطروح . فالآن يبلغ تعداد سكان مدينة العريش حوالى ٥٠ ألفا ، وهى أيضا تمثل وحدها نحو ربع الى ثلث السكان .

وهذا الشريط المتصل أيضا يتحول الى عقد من النقاط المأهولة بالسكان على الضفة الشرقية للقناة ، حيث مدن القناة الصغيرة ، وكبرها القنطرة شرق التى تعد ثانى أكبر مدينة في سيناء - قبل حرب أكتوبر - وعلى ساحل خليج السويس ينتشر عقد مدن التعدين ، مثل أبو زنيمة ومدن البترول الحديثة ، والتى أبرزها أبو رديس . وعلى ساحل خليج العقبة تزداد نقاط العمران تباعدا وتضاؤلا ، وأغلبها موانئ صيد أو موانئ حربية . كما تكمل الحلقة على امتداد الحدود الشرقية مجموعة من نقاط المخافر والمراكز العسكرية ابتداء من رأس النقب وطاية والكويتيلا الى القصيمة والعوجة ، وأبو عجيلة . وقيما عدا ذلك فهناك شتيت



منتشر من الواحات ومراكز الاستقرار الصغيرة في قلب الداخل ،  
أشبه بالجزر المنعزلة ، وأغلبها مرتبط بالوادية الرئيسية ، وخاصة  
على نقاط تقاطعها .

وأهم مدن سيناء بالطبع هي مدينة العريش ، التي كانت أول  
ما تحرر من سيناء تنفيذا لمعاهدة السلام . وكان تحريرها ورفع  
علم مصر عليها في السابع والعشرين من مايو عام ١٩٧٩ .  
والعريش تقع في منطقة غنية بمواردها المائية ، إذ تكثر فيها آبار  
المياه التي تصلح لرى الزراعة ، فضلا عن وقوعها على مصب وادي  
العريش . وهذا ما يساعد على الاستقرار البشري . كما أنها  
كانت المركز الإداري لمحافظة سيناء ، وصارت عاصمة سيناء  
الشمالية بعد تقسيم شبه الجزيرة الى محافظتين .

وتتميز العريش بأكبر تعداد للسكان ، وهذا يعود كما يقول  
كتاب ( سيناء المستقبل ) الى أن العريش كانت منطقة جذب  
للسكان ، وخاصة حينما كان يصيب شبه الجزيرة الجذب . وهذا  
يغري السكان على الاستقرار فيها . وهي يمكن أن يتضاعف  
سكانها عدة مرات ، فمن خلال تقارير خبراء التعمير ، تأكد أن  
كميات المطر التي تسقط على وادي العريش تصل الى ١٠٠ سم مكعب .  
وأن مساحة وادي العريش قد تصل الى ١٧ ألف كيلو متر . وقدر  
المهندسون في الستينات - كما يقول اللواء رفعت الجوهري في  
كتابه ( سيناء أرض القمر ) - أن مساحة الأرض التي يمكن زراعتها  
على المياه المخزونة تقدر بحوالي ٦ آلاف فدان .

ويمكن تقسيم سكان العريش الى أربع مجموعات :

١ - سكان العريش الاصليون ، ويعرفون بالعرايشية .

٢ - البدو الذين كانوا يعيشون عيشة تنقل وترحال في  
منطقة وادي العريش ، ثم استقروا بالمدينة وما حولها بسبب  
جذب مراعيهم .

٣ - اللاجئون الفلسطينيون الذين سكنوا العريش منذ عام

١٩٤٨ •

٤ - موظفو الحكومة الذين كانوا يعيشون في العريش عيشة

مؤقتة •

ويقال ان العريش كان من أسماؤها القديمة ( ريتكروم ) كما ذكرها اللواء رفعت الجوهري • أو ( رويو كلورا ) كما ذكرها سالم اليماني ، ومعناها جدد الانف • لانها كانت منفي للمجرمين ، الذين كانت تجدد أنوفهم لسهولة التعرف عليهم • وقد مرت بالعريش جميع الجيوش المصرية وجيوش الغزاة قديما وحديثا • من حيشيين وآشوريين ، وفرس ، ورومان ، وعرب ، وفرنسيين ، وأتراك ، وصليبيين •

ويسكن العريش وما حولها - كما في كتاب اللواء الجوهري - قبائل السواركة ، والرميلات، والمساعيد، والعيادة، والاخارسة ، والعقائلة ، وبلى البررة ، وأولاد علي ، والقطاوية ، والبياضين ، والسماعنة ، والسعديين ، والدواغرة •

وكما يقول سالم اليماني ، أنه كان يقطن العريش قبل ١٩٦٧ أكثر من ٤٠ ألف نسمة ، وسكان المدينة كانوا يشكلون ٢٤ قيراطا ، لكل قيراط أو أكثر شيخه الخاص به • والقيراط يمثل أصلا عائلة واحدة أو مجموعة من العائلات التي ترتبط فيما بينها برباط الدم • وإن أكثر أهالي مدينة العريش عددا عائلات الفواخرية ، أو قبيلة الفواخرية ، ولهم ستة قرايط ، فالاغوات ولهم ٤ قرايط ، فأولاد سليمان ولهم ٣ قرايط ، فالكشافولهم ٣ قرايط ، ثم الشراجة ولهم قيراطان ، والسلايمة ولهم قيراطان ، والعراجة ولهم قيراطان ، والصقلية ولهم قيراطان • ثم استجد قيراط آخر ليجعل من سكان العريش ٢٥ قيراطا هو قيراط النخالوة ، نسبة الى نخل عاصمة محافظة سيناء قبل العريش •

وتنحصر عمدية المدينة دائما في أولاد سليمان • ومن أولاد سليمان المهندس عنان أحمد عثمان ، والمريق السابق مؤاد درى العائد السابق للقوات البحرية ، وطلعت خالد شراب وكيل وزارة الثقافة والجيولوجى درويش الفار مكتشف منجم الفحم بوادى المغارة • والكثير من الاسماء اللامعة •

وثانى المدن ، هى مدينة رفح ، التى تقع على الحدود بين سيناء وفلسطين • وقد شيدت على آثار مدينة ( رافيا ) التى انتصر فيها بطليموس على ملك سورية فى موقعة كبيرة عرفت باسم موقعة رفح عام ٢١٧ ق م • وإن كانت رفح كما يقال تاريخيا أقدم من هذا بكثير وكان اسمها فى التاريخ المصرى القديم « وئث » • وكان عندها نقطة الحدود ، منذ أيام بيتى الاول ٢٢٥٢ ق م • وقد بلغ عدد سكانها قبل عدوان ١٩٦٧ حوالى أربعة آلاف نسمة •

وتتوفر منطقة رفح بأكبر قدر من المطر فى سيناء ، ولذلك فهى أهم جهات شبه الجزيرة انتاجا للحبوب على مطر الشتاء • وهى تنتج أيضا التين والبطيخ فى الصيف • فضلا عن مياه المطر فى منطقة رفح آبار كثيرة ، منها ٨ آبار مهمة تروى أراضى زراعية ، تقدر مساحتها بحوالى ٣٥٠ فدانا •

ورفح ذكرها ياقوت الحموى المتوفى عام ٦٢٦ هـ • (١٢٢٩ م) • كما ذكرها قبله الحسن بن محمد المهلبى سنة ٥٧٥ هـ • (١١٧٩ م) • والرمال تغمر الكثير من الآثار التاريخية بها • وجدير بالذكر أن المنطقة بين العريش ورفح ظفرت بالنصيب الاكبر من بناء المستوطنات الاسرائيلية التى أقاموها بعد احتلال ١٩٦٧ • كما أن سكان رفح هم فى الغالب فروع من عائلات العريش ، أو من البدو الذين استقروا لمزاولة مهنة الزراعة أو التجارة منذ مئات السنين •

وثالث المدن ، الشيخ زويد • وهى تقع بين رفح والعريش ، ويمر بها الطريق الاسفلتى وخط السكة الحديد الى فلسطين ، قبل تدميره فى عام ١٩٦٧ • ويعتقد الناس هناك أن الشيخ زويد من

الصحابة • وخول الشيخ زويد توجد زراعات التخييل والاشجار المتنوعة التى تروى من بعض مياه الآبار الساحلية •

ورابع المدن الطور ، وهى قد استمدت مقومات حياتها كمدينة من عوامل ثلاثة :

أولا : أنها المركز الادارى لجنوب سيناء منذ القدم ، وهى الآن عاصمة محافظة سيناء الجنوبية ، بعد انسحاب الاسرائيليين منها •

ثانيها : وظيفتها كمحجر صحى للحجاج الذاهبين والعائدين الى مصر بحرا • وقد كانت الطور تقوم بهذه الوظيفة منذ انشاء المحجر عام ١٨٥٨ •

ثالثها : اعتماد الكثير من سكان الطور على صيد السمك وتجارة الفسيخ ، التى كان يحتكرها بعض اليونانيين هناك،والذين توارثوا هذا العمل منذ بضعة أجيال •

والطور تعتمد فى مياهها على الآبار التى تكفى سكانا يبلغون حوالى العشرة آلاف نسمة • وسكانها خليط من بدو الجنوب وأهل مدينة السويس •

خامس المدن ، مدينة القنطرة شرق • وكانت أكبر مدن سيناء بعد العريش • وتاريخها حديث مرتبط بحفر قناة السويس فى عام ١٨٦٩ • وتتميز بموقعها الحيوى على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وفى مقابلها القنطرة غرب على الضفة الغربية للقناة • وقد ضمت القنطرتان لمحافظة الاسماعيلية فى خريطة الحدود الادارية الجديدة عام ١٩٧٩ • وكانت القنطرة قبل تحرير العريش عاصمة محافظة سيناء الشمالية المؤقتة •

والقنطرة شرق كانت آخر محطة لسكة حديد فلسطين حتى سنة ١٩٤٨ ، حيث كان قطار فلسطين ينتهى اليها ، قبل انشاء كوبرى

الفردان فيما بين الاسماعيلية والقنطرة على قناة السويس . كما  
بان يقطن المدينة وحولها بعض قبائل البدو . وأهل القنطرة غرب  
من الذين كانوا يزاولون التجارة .

وبالطبع . . فانه بالإضافة الى المدن التي ذكرناها ، هناك  
الكثير في سيناء من مراكز العمران في شبه الجزيرة ، وكذلك  
النجوع الصغرى ، والتي تعتمد أساسا على الزراعة ، وبعضها  
يعتمد على الصيد . والاخيرة تحيط ببحيرة البردويل ، التي يبلغ  
حولها نحو ٧٦ كيلو مترا وعرضها يختلف من كيلو متر واحد الى  
١٥ كيلو مترا . ولها فم ضيق تدخل منه مياه البحر المتوسط .  
وفي الصيف تنحسر المياه عن جزء منها في الجهة الشرقية ، وتدعى  
بحيرة الزرانيق ، وطولها نحو ٦ كيلو مترات وعرضها ثلاثة كيلو  
مترات . وفي الشتاء تعود البحيرة وتتصل ثانية ببحيرة البردويل ،  
لتصبحا بحيرة واحدة ، ومصدرا لكثير من الاسماك ومنها بالطبع  
سمك البورى الذى يستخرج منه البطارخ . وكانت حكومة مصر  
تؤجرها سنويا بالمازاد ، ويقفل فم البحيرة في الاول من مايو كل  
عام ، ويبدأ صيد السمك ، ثم يفتح قليلا في أوائل أغسطس  
لتجديد المياه الى أوائل شهر نوفمبر ويستمر الصيد ، وهكذا .

وأثناء الاحتلال الاسرائيلى لسيناء ، استغلت اسرائيل سمك  
بحيرة البردويل وكانت تصدره طازجا الى أوروبا بالطائرات مباشرة .  
ويقولون ان البردويل نسبة الى الصليبي بلدوين . كما يقولون  
ايضا ان بلدويل بن المشد كان ملكا على منطقة بحيرة البردويل ،  
ولما مر بنو هلال في طريقهم الى المغرب ، انبرى له أبو زيد الهلالي  
وصارعه وقتله .

أما مراكز العمران التعدينية ، فأهمها ثلاثة هي : أبو زنيمة  
التي كان لتعدين المنجنيز فيها وتصديره الفضل في انشائها .  
والتي تعد من أكبر مراكز العمران في جنوب سيناء ، وكان عدد  
سكانها ٨٦١٥ نسمة . ثم أبو رديس وسدر ، وهما مركزان

عمرانيان لم يكن لهما وجود قبل اكتشاف البترول فيهما •  
وقد أنشئت مدينة أبو رديس عام ١٩٥٧ ، وأنشأتها الشركة  
الشرقية للبترول حينما بدأت تستغل حقول أبو رديس ، وفيران ،  
ويلاعيم ، ووادي سدرى • وأنشأت سدر شركة آبار الزيوت حينما  
بدأت تستغل حقولها عام ١٩٤٨ ، وهي حقول سدر ، وعسل ،  
ورأس مطارمة •



لكن ماذا عن بدو سيناء ؟

يرى كتاب ( سيناء المصرية عبر التاريخ ) لابراهيم أمين  
غالى ، أن أقدم القبائل الاصلية التى بقى لها أثر بعد الفتح الاسلامي  
هى : الحماضة ، والتبئية ، والمواطرة •

ويضيف أن الحماضة هم أسـياد البلاد الاصيلين ، وهم  
يتجمعون فى وادي فيران ، ولا يزيد عددهم الآن عن بضـع عائلات  
تزرع أرض الواحة وتلقح نخيلها • أما التبئية فهى قبيلة تقطن  
بلاد الطور • وهى والحماضة تنحدران من أصل واحد • أما  
البدارة ، ومثلها المطاطرة ، فربما كانت من بقية نصارى وادي  
فيران • والبدارة فى وادي التيه لا تتعدى الستين بيتا ، وتقطن  
بلاد العجمة •

ويقول كتاب ( مسسيناء ) للواء القرماني ، انه قبل ظهور  
الاسلام وبعده ، حدثت هجرات عدة الى سيناء ، بعضها من الشام ،  
لكن معظمها من الجزيرة العربية • وقد تأثر السكان الاصيليون  
خلال هذه الهجرات جذرا ومدا ، فانقرضت بعض القبائل التى  
بقيت لأن من سكان سيناء الاصيلين ، وبقي القليل منهم لأن  
الذين لم يتأثروا بالهجرات ، وعاشوا فى الجنوب •

وتتفق عدة مصادر على أنه من القبائل الأصلية الباقية :  
الحماضة ، والتبئية وتعيش في وادي فيران • والطورة ، وتعيش قرب  
مدينة الطور • والبدارة ، وتعيش بجبال العجة ، أما القبائل التي هاجرت  
من الجزيرة العربية فهي : الصوالحة ، النفعيات ، بنو واصل  
. . وهذه كلها تعيش في وسط وجنوب سيناء • أما العيادة ،  
فقد استوطنوا أولا بلاد الطور ، ثم رحلوا منها بسبب الجفاف ،  
حيث يقيمون الآن بالقرب من مدينة القنطرة شرق • أما مزينة  
فتعيش بالقرب من الطور . وهناك قبائل غير التي ذكرت  
تعيش في شمال ووسط وجنوب سيناء ، حيث يشكلون غالبية ،  
وفي كتاب عباس عمار • وفي بحث مستخرج من موسوعة سيناء  
كتبه محمود صبحي عبد الحكيم •• كلام كثير عن السكان وحول  
انتشارهم بين سيناء وبين مناطق محافظة الشرقية ، وامتداداتهم إلى  
صعيد مصر وأصولهم وجذورهم .

ويقول بدو سيناء ، انه قد هاجر من العرب المسلمين  
٧٥ قبيلة من نجد والحجاز في سنة واحدة ، فسكنوا مصر  
وجنوب فلسطين ، ومن هذه القبائل الوحيدات والرشيدات  
والرثيمات والجارات والمعازة والطميلات ، وبنو واصل ، وبنو  
سليمان ، والعيادة ، والنفعيات •

أما أهل البلاد الأصليون ، فكانوا عند مجيء القبائل  
يسكنون في المغاور والكهوف ، وفي بيوت محكمة البناء من  
الحجر الغشيم والطين ، على هيئة خلية النحل تعرف عند  
العرب بالنواويس ، ولا يزال الكثير منها قائما على رعوس  
الجبال ، ويرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة قبل ميلاد  
المسيح . وسكان البلاد الأصليون ينسبون إلى العنصر السامي ،  
وقد عرفوا في الآثار الفرعونية باسم « هروشاتيو » وعرف

سكان الطور باسم « مونيتو » . كما عرفهم بنو اسرائيل في التوراة باسم « العمالة » . وفي اوائل القرن السادس الميلادي عرفوا باسم « الاعراب بنو اسماعيل » .

والحقيقة أن البدو يشكلون السواد الاعظم من سكان سيناء ، حيث يقول البعض ان نسبتهم ٧٥٪ من مجموع السكان . وهم ينتشرون في اطار قبائل داخل كل سيناء ، ومن هذه القبائل فروع تعيش داخل مصر . وتوزيعهم كما يلي ، حسبما جاء في كتاب سالم اليماني ، وكتاب اللواء الجوهري . وهما أكثر المصادر قربا من الدقة .

أولا - قبائل شمال سيناء :

● قبائل « بلى » ، وهي اقدم القبائل العربية الموجودة في شبه الجزيرة ، وان كانت من اقلها عددا في انوقت الحاضر . وربما يرجع مقامها في ارض الجفار بشمال سيناء الى القرون الاولى من المسيحية ، حينما كانت للانباط مملكة واسسعة يمتد نفوذها الى شمال سيناء بالاضافة الى أن الدولة البيزنطية كانت تعهد الى بعض القبائل العربية بحراسة حدودها الشرقية . ومنهم الغساسنة . وقد امتد نفوذ قبائل بلى من عمان الى حدود محافظة الشرقية ، ولهم امتداد بمحافظة اقبايوية ، حيث مازالوا يقطنون جزيرة بلى ، ومن عشائر بلى : المطارقة . والمقابلة ، واولاد الفاطر .

● السواركة : وهي احدى القبائل الكبيرة ، اتى تنقسم الى عدة عشائر هي : الجريرات ، العراوات ، الدهيمات ، الحلفات ، المحافظين الزبود ، الجهينيات ، الفلافة ، السعود ، وتتميز عشيرة الجريرات بالورع والتقوى ، ومن أشهر رجالها المرحوم العارف بالله الشيخ عيد أبو جرير الذي مات بجزيرة سعود وله قبر فيها . ويسكن السواركة القسم الشرقي من بلاد



العريش . وهم يسمون أحيانا بأولاد « الطريق » ، والسواركة مع الرميلات يمتدون بسكناهم الى منطقة رفح ، وهما من أغنى قبائل سيناء ، ويمتلكونه الخيل والبقر .

● **الرميلات** : وهى قبيلة كبيرة تتمركز بجهة رفح ، حيث تملك مساحة لا بأس بها من الاراضى الزراعية الواسعة ، وتتفرع عنها العشائر التالية : السننة ، العجالين ، العييدة ، البسوم ، الشريطين ، العوايدة والرميلات ليسسوا بدوا رحلا تساما فهم يسكنون فى عشش ، ولا يسكنون خياما من الشعر أو الوبر . ويتجمعون فى هذه العشش بكثافة مرتفعة نوعا . وكان الرميلات يسكنون قديما فى جنوب غربى فلسطين ، فى خان يونس ، ثم ارتحلوا الى العريش ، بسبب حروب بينهم وبين الترابين ، وانضموا الى السواركة بالاخوة ، وصاروا معهم قبيلة واحدة . والرميلات تشتهر بحب الخصام ، فيقال اذا كان لهم حق اخذوه منوة واقتدارا ، واذا كان عليهم لم يمكنوا الخصم منه الا بكل مشقة .

● **البياضية** : وتعيش هذه القبيلة فى منطقة بير العبد بين القنطرة شرق والعريش ومن عشائر هذه القبيلة : المرازقة ، والابايضة ، والرابعة ، والهروش ، والموالكة ، والحفيشات ، والعواصية ، والزوايدة ، والكريمات ، والتواتبة ، ولها امتداد بمحافظة الشرقية فى مراكز أبو حماد ، وأبو كبير ، وبليس ، كما أن لها امتدادا بأرض الحجاز ويسمون « بنو حرب » هناك .

● **الاخارسة** : وهى قبيلة كبيرة لها امتدادات بمحافظتى الشرقية والاسماعيلية ، ومن عشائرها الزغاونة ، والعسوية ، والعطلات ، والزوايدة ، والرضاونة ، والمناسوة ، والعطييات ، الخوالدة ، بنى عيد ، والقطاوية ، والشوايكة . وتمتد هذه القبيلة على شاطئ البحر المتوسط من روافد الحنة شمال

بركة الجمل الى قلعة مفرج المعروفة بقلعة البلاح على نحو ساعتين من قلعة الطينة غربا ، وأهم مراكزهم « القلس » .

● **انعقيلة والسماعنة :** وهما من قبائل شمال سيناء ولهما امتداد في محافظة الشرقية ، وخاصة بمركز فاقوس .

● **العيابدة :** وهى قبيلة كبيرة لها امتدادات بمحافظة الجيزة ، كما أن لها امتداد ببادية الحجاز ، وتمتد بلاد هذه القبيلة من ضواحي القنطرة الى تل حيوه ، فأم الضيان ، فالشيخ حميد ، فجبل الريشة . ويحدهم من الشمال المساعيد ومن الجنوب الصفايحة اللحيوات ، ومن الشرق بلى ، ومن الغرب ترعة السويس . والعيابدة كانت لهم دركات الحج عبر سيناء .

● **المساعيد :** وهى قبيلة لها امتداد بالحجاز ، وتنتشر شمال القنطرة شرق بجهة الدويدار . وهم فرع من اللحيوات ، ويعتبرون من أقوى قبائل العريش .

● ويضاف الى هذه القبائل ، قبيلة الرياشات ، ومن عشائرها الزراعة ، والهشوش ، والجراوين ، والطويلة . ثم قبيلة العكور ، ومن عشائرها اولاد سلامة ، واولاد حسن ، والعودات ، والحجوم ، والبرادة . ثم قبيلة الدواغرة ، ومن عشائرها المحافظ ، والمراعبة . ثم قبائل العلوية ، والملاعبية ، والجبور .

### ثانيا : قبائل وسط سيناء او التيه :

ويسكن المنطقة الوسطى من سيناء عدة قبائل ، أهمها : التياها ، الترايين ، الحيزات ، الحويطات ، العيابدة ، اللحيوات . وطبيعى أن يكون سكان هذه المنطقة رغم اتساعها

أقل عددا وأقل درجة في الكثافة . ومن الصعب أن يقال إن البدو رحل يتنقلون في وسط سيناء ، فمناطقهم موزعة بينهم ، وتختص بطون وأفخاذ بعض هذه القبائل بمناطق خاصة نستغلها وتزرعها ولا تسمح للبطون الأخرى بأن تشترك معها في ذلك الاستغلال :

● **التيها** : أقدم القبائل التي سكنت بلاد التيه ، ويقال إن أصلهم من بني هلال ، ومن نجد . وقد اشتهرت التيها بالبساطة والمشاكاة . وفي تاريخها عدة صدامات وحروب مع قبائل الترابين عند عين سدر . وأشهر مراكزهم نخل ، وجبل الحلال ، وعين القصيمة ، وعين المويلج ، وأهم فروع القبيلة : الصقيرات ، والبيئات ، والشهيات ، والبريكات ، والفديرات ، والشتيات .

وسميت هذه القبيلة باسمها لأنها أول من سكنت بلاد التيه . وهي تسمية غريبة ، لأنه يندر أن تغير القبيلة اسمها بسهولة لتتنسب إلى المنطقة التي تسكنها . ولهذه القبيلة فروع في جنوب سورية ، وبيروبيع ، والأردن .

● **الترابين** : يرجعهم العرف السائد بين بدو سيناء إلى بنى عطية من عرب الحجاز ، والمشهور عنهم أنهم من نسل الحسن ابن علي بن أبي طالب . واشتهرت الترابين بالآلفة والشجاعة والإقدام . وفي كتاب الدرر فوائد ، أن الترابين والوحيديات والحويطات واللحيوات من أصل واحد ، من بنى عطية نجم . الذي حضر بوادي وتير في سيناء ، وتزوج من بنى واصيل ، فانجب ثلاثة أولاد هم : مساعد ، ونجم ، ونبيعه . فمساعد أنجب عشيرة القصار . ونجم خلف عشيرة النجميات في فلسطين . ونبيعه أنجب ٣ أولاد ، الأول منهم أنجب عشيرة الحسانية وهم يقطنون جنوب سيناء ، وأماكنهم جبل الراحة ، ووادي مبصوق ،

والطوال ، وادى سدر ، وادى غرندل ، وجبل المنسارة ،  
ووادى وتير ، والضلل . والثاني انجب عشيرة الحررة .  
وسكنها بجبل الحلال ، وجبل نبنى . والثالث انجب عشيرة  
الشهبات ، وسكنها بالخرىق ، والمقضة ، والريسان .

ومعظم الترايين الآن يسكنون غزة ، وبعضهم يسكن  
الجيزة على أنهم ليسوا كالتياها منحصرين فى منطقة واحدة .  
وتنحصر مساكنهم الرئيسيه فى مناطق أنياها فى الجنوب ،  
وأراضى السواركة فى الشمال .

● **الحيوات :** وهم يقولون أيضا أنهم من بنى عطية ،  
وينتسبون الى المساعيد ، الذين بدورهم ينتمون الى مسعود بن  
هانى . وقد دار بينهم وبين بنى عقبة واقعة سميت بوقعة (المغرية)  
كتب النصر فيها للمساعد . وأهم بلادهم ترقى بلاد التيه  
وغربها . وأشهر مراكزهم : المغارة ، لنجفاعة ، وسر الحقيب ،  
وعين سدر ، وجبل نضيع ، وبئر التمد ، ونخل . وتتكون للحيوات  
من عدة عشائر هى : النجمات ، والحناطلة ، والكساسبة ،  
والسلاميين ، والمطور ، والكرادسة ، والحمدات ، والصفاحه ،  
والخاطرة ، والخلايفة ، والكرادمة .

وكان لهذه القبيلة درك درب الحج المصرى من مطلة نخل  
الشرقية الى العقبة ، ثم صار لقبيلة الحويطات فيما بعد .

● **الحويطات :** وهى قبيلة كبيرة لها امتداد بالحجاز  
والاردن ، وكذلك فى محافظة القليوبية . ومن أشهر عشائرها  
بسيناء : الجبور ، الصبيات اللبور . وتمتد بلادهم من طاسة  
العلو الى وادى غرندل شمالا وجنوبا ، ومن جبل حسن الى  
البحر الاحمر شرقا وغربا . وأشهر أماكنهم بسيناء بئر مبعوق ،  
وبئر المرة فى وادى الراحة ، وعين سدر فى وادى سدر . وهناك  
عشيرة منهم كبيرة فى القليوبية اسمها الشدايدة ، ومنهم اللوا .

محمد حسن شديد الذى كان مساعداً أسفى لحفظ ثقافته .

### ثالثاً - قبائل جنوب سينه :

ومن أشهر قبائل جنوب سيناء ، العليقات ، والمزينة ،  
والقرارشة ، والصوالحه ، والجبالية ، وأولاد سعيد ، والبداره ،  
والحاضه . . ويطلق عليهم جميعاً ( الطوره ) .

● **العليقات** : وقبيلة العليقات تنسب نفسها الى قبيلة  
قديمة من بنى عقة ، وان كان البعض من افرادها يسمى نفسه  
« عقيلات » . . لا « عليقات » فينسبون أنفسهم الى عقييل بن  
أبى طالب . وتنزل العليقات فى مناطق غنية بالماء والنبات ، فى  
دبه الرمله ، ووادى غرندل ، وعيون موسى . وتقع أراضيهم فى  
مناطق التعدين الهامة ، تعدين المنجنيز فى أم بجسة ، وميناء  
تصديره فى أبو زنية . ولهذه القبيلة امتداد بمحافظتى القليوبية  
واسوان . وأهم عشائرها : أولاد سلمى ، والتليلات ، والحمايدة ،  
والحريسات ، والسواعيدة .

● **مزينة** : وتمتد مناطقها من جنوب الطور على الشطوط  
البحرية حول رأس محمد الى التريبع ثم الرمله . ويرجعون فى  
أصلهم الى بنى حرب . ويشتهرون بحب السلام ولين العريكة  
والامانة . وتنزل مزينة فى وسط سيناء الغربى تجاه الاسماعيلية  
الى وادى غرندل ، ويكثرون فى وادى الجدى ، وأم خشيب ،  
ووادى الراجة ، ثم قرب السويس ، وأهم فروعهم : العلانة ،  
والشداونة ، الحويطات ، وأولاد على ، ويشتهل بعضهم بصيد  
السك .

وتعتبر مزينة ، التى ينزل بعضها المنطقة الواقعة الى  
الشرق من دير سسانت كاترين ، والتى تمتد على طول خليج  
العقبة ، من أحدث القبائل التى جاءت الى سيناء الجنوبية ،  
حيث انتهزت فرصة حرب وقعت بين الصوالحه والعليقات على

مورد المياه ونقل الحجاج ، فجاءت الى المنطقة .

● **القرارشة :** وقيل انها من قريش . ولرفعة نسبهما صار زعيمها زعيم عرب الطور جميعا . ويقال انهم دخلوا سيناء مع العوامة وأولاد سعيد . وهم يسكنون قلب الطور ، ومن فروعهم النصيرات وأولاد تيهي ، ويسكنون وادي فيران ، أو ما يسمونه مهبط الوحى لقربه من جبل المناجاة .

● **الجبالية :** وهم يسكنون جبل الطور الذى ينتسبون اليه ، وهم خليط من أروام ومصريين ، وكانوا نصارى ثم اعتنقوا الاسلام ، وعاشوا عيشة البادية . . الا أن العرب الخلف لا يتزاوجون معهم . وأهم فروعهم : للحمايدة ، والسلايمة ، والوهيبات ، وتنزل الجبالية منطقة جبل موسى ودير سسانت كاترين . وللجبالية تاريخ مع الدير سنذكره فى حينه .

● وتوجد قبائل أخرى ، مثل العوامة ، وأولاد سعيد ، والصوالحة والحماضة تسكن فى قلب الطور . ولهذه القبائل فروع ايضا . فعنه فروع العوامة الفوانسة ، وأولاد جاهين ، والمحاسنة والنواصرة . ومن فروع أولاد سعيد : الزهيرات والصوامرة ، وأولاد مسلم ، وأولاد سيف ، ومن فسروع الصوالحة : العويصات والعمارين وغيرهما . . وهذه القبائل متشابهة . . بحيث من العسير فصل كل قبيلة على حدة .

كما أن هناك ملحقات لقبائل سيناء يذكرها كتاب اللواء الجوهري ، مثل العبيد السود الذين كان يستخدمهم العرب قبل تحريم الرق . كما أن هناك قبائل تعيش فى كثف قبائل كبيرة وتدفع جملا معلوما . وتعرف هذه القبائل باسم « هيتهم » ، وهى كالعبيد تماما . وأشهر قبائل هيتم الشرارات ، الذين يقتنون الابل ، وهم خبراء بالبادية وطرقها وقفارها ومفارزها ، ويسرون على النجم ، ولهم مهارة عجيبة على الاستدلال على

الطرق • ثم قبائل مصر ، ومنهم البواغرة سكان الرقبة من بلاد  
العريش . والعريشات الذين يسكنون جبل الحلال ، ومنهم جماعة  
يصيدون السمك على شاطئ البحر المتوسط . والملاحسة ،  
وهم أقل قبائل هيتم شأننا ويسكنون العجرة مع الترايين  
والسواركة • والصليب ويقتنون الحيد ويحملون عليها زادهم  
ومتاعهم ، ويقال انهم بعض بقايا الصليبيين ، ويمتازون بزرقة  
عيونهم وبياض لونهم ، ثم مهارتهم في بعض الصناعات الزراعية .



الحياة الاجتماعية لبدو شبه الجزيرة ، لا يمكن لأي بحث  
أن يوفيهما حقها •• خاصة وأن سسيناء أثناء عدوان ١٩٦٧  
وخلاله ، قد تغيرت فيها بنية المجتمع إلى حد كبير ، وتلاشت  
فيه الكثير من المسلمات •• وإن كان من الصير على البدوى أن  
يترك عاداته وتقاليده أمام مواجهات الاحتكاك والغزوات .  
والواقع أن نكسة يونيو عام ١٩٦٧ كما أضرت ، فهي قد  
أفادت كثيرا أهل سيناء بالذات •• الذين هجر منهم الكثير إلى  
الوادي . والتهجير معناه أن يذهب البدوى إلى مناطق جديدة ،  
مناطق حضر . وقد عاش فيها البدوى السيناوى حوالى اثنتى  
عشرة سنة أو يزيد ، انجب فيها واحتك فيها •• واستطاعت  
أن تدخل إلى سلوكه وعاداته وتقاليده ، الكثير من الجديد ،  
من خلال تعامله مع الآخرين ، ومن خلال اختراق حجاب العزلة  
الذى لا يمكن للبدوى أن ينفلق فيه في المهجر .

فالبدوى في المهجر ، أتيح له أن يعيش تحت نور الكهرباء ،  
مما أتاح له فرصة التعليم ، وأن يدخل أبنائه وبناته الجامعات  
في مختلف التخصصات . وأتيح للبدوى الذى كان يعيش حياته  
حاملا بدقيته على كتفه أو يتمنطق بخنجره مسائرا فى الصحراء  
لصيد القنبر أو الزرزور •• أن يمضى وقته فيما يقبض ، فى  
تعلم حرفه تنفعه وتدر عليه ونحيا •• وحتى البنت البدوية

نفسها استطاعت ان تدرس وتفتح الجامعة لتدرس الانار ،  
والسياسة ، والاقتصاد ، والحقوق ، والتكنولوجيا . بمعنى أن  
البنات السيناوية لم تعد تمضى حياتهن تفزل ثوب زفافها ..  
وانما هي بدأت تدخل فى حياة أرحب .

وعموما فإن البدوى صار يعد التهجير غيره قبل التهجير  
.. حتى أن أحد المطالب الرئيسية لبدو سيناء بعد العودة ، هي  
أن يعمل الإبناء والإباء فى مناطق التعدين ، ومناطق البترول فى  
سيناء ، ومناطق الإصلاح الزراعى ، بعد أن عاشوا فى المهجر  
وتدربوا على تلك الصناعات والزراعات .

وأهم من ذلك فى طريق التطوير ، أن البدوى فى المهجر  
تعود أن يعيش فى بيوت مبنية بالخرسانة المسلحة ، وهذا فى  
الواقع نقلة كبيرة ، وانتقلا من عصر الخيمة الى عصر المبنى  
المجهز . وهو فيما اعتقد سيؤثر فى حياة استقرار البدوى .  
ولذلك فالدلى ذهب الى سيناء قبل توقيع معاهدة السلام من  
القطرة شرق وحتى قرية رابعة .. يجد المبسائي بالاسمنت  
المسلح بدأت ترتفع من دور واحد ، من خلال ما اقامته الدولة ،  
ومن خلال جمعيات البناء والاسكان الخاصة التى كونها أبناء  
سيناء الذين تعودوا على حياة الاستقرار .

كذلك فانه من خلال مراكز التنمية الاجتماعية التى بدأت  
تنتشر فى قرى سيناء ووسط البدو فى الصحراء الذى لم يهجروا  
.. فقد صار البدوى مرتبطا بمكان معين من الارض يجلبه  
ويجبه ولا يفارقه هانما على وجهه أينما وجد العشب . ويضاف  
الى ذلك أن التعليم بدأ ينتشر بين الصغار والكبار من خلال  
مراكز محو الامية ، ومن خلال البيوت الثقافية التى بدأت تنتشر  
على رمال سيناء .. وهى مراكز اقيمت فعلا فى رابعة ، ورمانة ،  
وبالوطة ، وأبو حمرا ، ونجيلة ، وجلبانة وخربة ، وغيرها من  
المناطق المحررة .



ثم أن سيارات « البيجو » .. بدأت تنافس الجمال ، وبدأت تنتشر بصورة لها دلالاتها . « والبيجو » لها قصة يرويها بعض أهالي سيناء التي زرتها كثيرا من المرات قبل وبعد معاهدة السلام .. ففي الجزء الشمالي من سيناء ينتشر صيد الصقور ، وتشتهر بصيدها خاصة قبيلة المساعيد . تضع لها الشرك الخداعية وتصيدها .. ثم يذهبون لبيعها في محافظة الشرقية في جزيرة سعود وقرية الصالحية . والصقور لها أنواع والانواع الجيدة يبلغ ثمن الواحد منها ثمن سيارة « بيجو » .. والتي يستخدمها البدوي الآن في تنقلاته وتنقلات عائلته .. وفي نفس الوقت يعمل عليها البدوي كسيارة أجرة .. لتتغير العادات والتقاليد القديمة .

على أن ذلك لا يمنع أن الكثير من العادات والتقاليد الخاصة بالبدو ، لا تزال كما هي على الرغم من التهجير ، فالعنصر البدوي الذي بقي يحاول أن يعيش حياته كما كان في الماضي .. إلا من بعض عمليات الغزو الحضاري والاحتكاك .

لكن .. ما هي خصائص بدو سيناء التي يشترك في أغلبها بلا شك مع بدو الصحراوات في بلادنا ، وصحراوات بلاد العرب في كل أنحاء الوطن العربي ؟

هذه أطالة سريعة على عادات وتقاليد البدو ، استقيناها من المعاشاة لفترات قليلة لبدو سيناء - خاصة سيناء الشمالية - وكما هو وارد في كتب كثيرة عربية وأجنبية ، جرى تأليفها على مدى قرن مضى .. وتتناول حياة البدو في الصحاري العربية .

والحقيقة أن الخصائص التي يتميز بها البدوي ومجتمعه ، يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

**أولا :** يتميز أبناء سيناء عموما بصلق العقيدة ، وعمق

الايمان ، والتمسك بالدين ، والمواظبة على أداء الفرائض ،  
وأهم خصائص البدو الصبر ، الذى فرضته طبيعة الصحراء .  
ثم الشجاعة ، ثم الكرم ، الذى يطلقون عليه فى أمثالهم « الكرم  
شئ هين وجه يشوش وسؤال لين » . هذا فضلا عن الوفاء .

والبدو لا يلجأون للسلطات الحكومية عادة الا بعد استنفاد  
دور القضاء العرفى ، خصوصا فى قضايا القتل والشرف وملكية  
الأرض وغيرها من القضايا الماثلة ، اذ أن لهم محاكمهم العرفية  
باجراءاتها ونظمها . ولذلك يمكن القول بأن العرف يقوم مقام  
القانون فى بادية مسينا . وحيث يستمد أصوله من الشريعة  
الاسلامية والتقاليد الموروثة .

والأفراد يرتبطون بقبائلهم برباط وثيق ، ويدينون لها  
بالولاء . فالقبيلة هى حصن الأمان ، وموطن الفخر ، ومبعث  
الحمية لدى الأفراد . ويبدو ذلك فى احترام الشيوخ والخضوع  
لأوامرهم ، وتنشئة الصغار على القيم والمبادئ الاخلاقية التى  
تؤمن بها القبيلة . ولذلك فان شيوخ القبائل لهم اليد الطولى فى  
تسيير أمور القبائل .

**ثانيا : للذكور مكانة فى المجتمع البدوى اكبر من الاناث .**  
المرأة قد تكون لها ملكيتها الخاصة ، وقد تراس بعض الاسر فى  
حالة وفاة الزوج ، الا ان القاعدة العامة هى سيطرة الذكور على  
الحياة فى المجتمع القبلى . ويتضح ذلك حتى بالنسبة لمرحلة  
الطفولة . ونظرا لان الذكور يمثلون مصدر قوة القبيلة ، فان  
بعض القبائل قد تورث الذكور فقط دون الاناث .

**ثالثا : لا يزال العرف البدوى هو القاعدة بالنسبة للزواج  
والطلاق ، حيث يكفى الاعلان عن الزواج بالاحتفال الذى يقام لتلك  
المناسبة . ويحدث الزواج عادة فى سن مبكرة لدى الذكور والاناث  
على السواء بمجرد البلوغ . وبصفة عامة فان البدو لا يمارسون**

تعدد الزوجات الا في نطاق ضيق . كما أن الزواج في معظمه يكون بين أفراد القبيلة الواحدة ، والأفضلية للزواج من بنات العم عادة . وعندما يتزوج البدوى بأكثر من واحدة ، فإنه يكون مطالباً بأن يخصص مكاناً - خيمة مثلاً - مستقلاً لكل زوجة . وعلى الرغم من أن تعدد الزوجات ليس ظاهرة ، وأنها محدودة . إلا أنه يحدث من الثيبان ولا يقتصر على الشيوخ فقط . وعادة ما يرتبط تعدد الزوجات . . أما بالرغبة في الانجاب ، وانجاب الذكور بوجه خاص ، أو في حالات الثراء والفنى .

وقلما يطلب الرجل في البداية الطلاق ، فكثر الطلاق يكون من جانب المرأة ، فإذا أراد الرجل الطلاق ذهب بامرأته الى أحد من الناس وقال لها في حضرتها ، « أنت طالق » ، وهذا كفيل طلاقك ، فيأخذها الكفيل الى أبيها . وإذا أرادت المرأة طلاقاً من زوجها ، ذهبت الى أحد أقاربها ، لا الى أبيها ، واستنجدت به للخلاص من زوجها . فيأتى بها الى العقبى - قاضى النساء - فيطلقها بعد أن يسمع مبررات طلب الطلاق . وعدة الطلاق ٩٠ يوماً . والطلاق وإذا كان من الرجل لزم كسوة المرأة وطعامها .

**رابعاً :** ثمة نوع من التخصص الوظيفى لكل من الرجل والمرأة . فالمرأة هى التى تقوم بصناعة الخيام ، وتغزل الأغشية والخراج والاكلمة والمفارش . كما تقوم المرأة الى جانب ذلك بجلب المياه من الآبار والعيون ، وجمع الحطب والأعشاب لاستخدامها كوقود . كذلك تتولى المرأة طحن الحبوب ، وصناعة الخبز ، وحلب النياق والأغنام الى جانب رعى الأغنام .

وبلاحظ أن المرأة فى سيناء تقوم بأعداد الثياب، وهى ماهرة فى التطريز اليدوى والزخارف الجميلة على ثيابها . والتطريز فى سيناء يتكون من وحدات ، منها ما يسمى « ذقن الشيايب » ، وحب الترمس ، والنخلة ، والمقص . وتقوم المرأة بعملية النسيج

بنول بدائي بسيط تقيمه عادة في خيمتها أو سكنها ، وهو من النوع الذى لا يجاوز عرض النسيج فيه متراً واحداً في العادة .

لما الرجل فهو يقيم الخيام التى تصنعها النساء ، ويرعى الإبل ويجلب الغلال وأحجار الرعى والطحن والغربال .

**خامساً :** على الرغم من أن الزراعة حرفة مستحدثة بين البدو الذين كانوا يستنكفون منها فإن هناك أنجاءها متزهدا لاحترافها بين البدو حين تتوفر المياه . ويلاحظ أن لكل قبيلة مراعيها ومياهها وأراضيها الزراعية ، وإن كان مورد المياه يتكون عادة ملكية مشاعة للقبائل المختلفة . ولا تتمتع بها قبيلة دون أخرى إلا في أوقات الجفوة والصدام بين القبائل أما الأراضي الزراعية فقد صارت ملكيتها للأفراد . وعادة ما يهدد البدوى بعض الأرض المستوية التى تصلح للزراعة قبل موسم المطر ، حتى إذا سقط وارتوت الأرض أمكن بذر الشعير وغيره فيها ، وفي بعض مناطق سيناء أصبحت المساحات الصالحة للزراعة لدى البدو مسورة أو محاطة بعلامات لتدل على ملكية فلان . والزراعة عادة ما تكون حرفة الرجال لما تتطلبه من جهد .

**سادساً :** لما كان المرعى في معظم الأحيان يمثل ملكية القبيلة ، وتمتد أراضي الرعى لمساحات شاسعة ، فترك فيها القطعان ، وبخاصة الإبل ، لترعى وحدها . وقد تبقى بعيدة عن أصحابها بها لفترات طويلة . . . فإن البدو ابتكروا وسيلة « الوشم » أو « الوسم » لتمييز الحيوانات بعلامات وأشكال مختلفة ، ولكل قبيلة وشم خاص . ومن شأن ذلك أن يحفظ ملكية القبائل لحيواناتها ، والتى تسمى « الحلال » .

ونظرا لكثرة الإبل في تحديد حجم ثروة الشخص أو القبيلة ، ومكانتهم في المجتمع ، فإن العرف السائد احترام ملكية الإبل .

ومن هنا تجيء عقوبات سرقة الإبل قاسية . وأحيانا تفرض غرامات  
بأهظة على سارقها ، تصل الى حد قياس المسافة التي نقلت اليها  
الإبل المنسروقة ، ويدفع السارق أو قبيلته عن كل خطوة غرامة  
معينة .

**سابعاً :** معظم الاحكام ترجع الى العرف البدوى . وتنظم  
حياة البدو مجموعة من الاحكام .. تكون ملزمة لاطراف  
الخصومة ، وهو الالتزام القبلى الذى جبل عليه ابناء البادية من  
حيث الانصياع الى حكم القاضى والالتزام به .

وقد جرت العادة أن يقوم المتقاضون بدفع مبلغ متساو  
من كل منهم للقاضى يسمى « الرزقة » ، الا أن بعض القضاة  
لا يأخذونه . كما جرت العادة على أن طرفى الخصومة يتفان على  
ثلاثة قضاة مسميين ، ثم يحذف كل طرف من الخصومة  
قاضياً ، ويبقى الثالث ليصبح هو قاضى النزاع . فان ارتضى  
الطرفان حكمه كان نهائياً وملزماً لكل من الطرفين . وان لم  
يرتض الطرفان حكمه أو لم يرضى حكمه أحد اطراف الخصومة  
ذهب الى الى أحد القاضيين الاخرين ، فان ارضاها حكمه  
التزاما به ، وان لم يرضاها ذهب الى الثالث ليكون حكمه نهائياً .  
وهذا التدرج فى القضاء العرفى يشبه التدرج المعمول به فى  
المحاكم الحالية : الابتدائى ، والاستئناف ، والنقض .  
والقضاء العرفى يقسم القضايا الى الآتى :

- ١ - قضايا الدم ، ومنها القتل والجروح .
- ٢ - قضايا العرض ، كالزنا والملاطفة أو أى شئ يחדش  
العرض .
- ٣ - قضايا المال ، والتي اشتهرت فيها قبيلة الترابيين .
- ٤ - قضايا الاعتداء فى المجلس .

٥ - قضايا الاعتداء على المنازل ، واشتهرت في هذا النوع من القضاء قبيلة المساعيد .

٦ - قضايا النخيل ، واشتهرت فيه قبيلة المساعيد أيضا .

هذه أنواع القضايا ، ولكن ما هي أنواع القضاة ؟!

( أ ) هناك « كبار عرب » الذين يلعبون دور الوساطة في الصلح وتعرض عليهم المشاكل التي لا يمكن فضها الا بالتراضي لعدم توافر الأدلة ، ولجسامة ما قد ينجم عن الخلاف من ضرر ، ومن ذلك قضايا السلب والقتل والتعدي على العرض او المال .

( ب ) المنشد : وهو يحكم في المسائل الشخصية الخطيرة ، وفي كل ما يمس الشرف مثل الشتائم والسب . ويعرف أيضا بالمسعودي ، لان أغلب القضاة في هذه الناحية من قبيلة المساعيد .

( ج ) القصاص : وهو قاضي الجروح ، وهو يوقع الجزاء الذي يستحقه كل جرح حسب طوله أو عرضه أو موضعه .

( د ) العقبي : وهو بمثابة قاضي للاحوال الشخصية الذي يحكم في مسائل الطلاق والمهر والتعدي على العرض ، وينتفى قضية هذا النوع عادة الى بني عقبة بن نافع .

( هـ ) الزبائي : وهو قاضي الابل ، يقضي في أمور سرقتها ووثاقها وكل ما يتعلق بها .

( و ) القريني : وهو قاضي الاحالة .

( ز ) المبشع : قاضي الجرائم المنكرة التي لا شهود لها . .  
ويحكم باختبار المتهم بالنار أو بالماء ، أو بالرؤيا .

وهناك مما يعتبرون قضاة نوعيين أو مساعدين للقضاة ، وهم آل الخبرة ، ومنهم :

● **المسوق :** وهو الخبير بالابل واسنانها ، فتسلم على يده غرامات الابل .

● **اهل القطاعات :** وهم خبراء الزراعة والاراضى الزراعية ويحكمون فى القضايا التى تتعلق بهذه المسائل .

● **اهل العرائش :** خبراء النخيل ، ويحكمون فى القضايا التى تخص النخيل .

● **قصاصو الاثر :** وهم خبراء فى قص الاثر . وغالبا ما يكونون فى بلاد الطورة من قبائل مزنية والقرارشنة ، وفى بلاد نخل من الحويطات . وفى بلاد العريش من عرب « بنى » .

● **لحاسو الختوم :** وهم مشايخ معينون من قبل الحكومة ويتقاضون رواتب ويفصلون فى القضايا التى تتعلق بالحكومة . ويقال ان سبب تسميتهم هذه لانهم من عادتهم لحس الاختام عند توقيع ايصالات رواتبهم .

● **الحسياء او نقالة العلوم :** وهم اهل الخبرة فى المسائل التى تتعلق بتقاليد العرب والعهود المقررة بينهم ، فاذا نقض احدهم عهد القبيلة عد أنه قطع وجه الحسيب ، ووجب على الحسيب المطالبة بالحق الضائع ورده الى صاحبه .



البدوى فى سيناء يالف الحيوان ويعتز به ويعيش دائما بالقرب منه . ومن هذا الحيوان الذى يالفه : الابل ، والخيل ، والحمر ، والبقر ، والغنم ، والكلاب .

**والابل نوعان :**

**الزريقان :** وهى أصيلة جيدة وشيقة ، خفيفة الحركة سريرة الجرى .

**الوضيخان :** ويتميز بأن القسوائم الاربع واسفل البطن

لونها أبيض ، بينما باقى الجسم أصفر ، مائل الى الحمرة كلون الغزل .

وتتميز ابل سيناء بتحملها العطش ، حتى انها تظل بدون ماء أكثر من شهرين فى موسم الربيع . أما فى الصيف فهى تطلب الماء كل يومين أو ثلاثة ، فى حالة اذا ما كانت تعمل .

وللجمال أسماء حسب سنها : فالفصيل هو الاقل عمره من عام . واللبنى ولد الناقة فى سنه الثانية . والمربوط ولدها فى الثالثة . والوان .. ولد الثالثة فى الرابعة . والجلد ولهم الناقة فى الخامسة . والرابع ولدها فى السادسة ، والسادس هو الجمل الذى بلغ اشده فى السنة السابعة .

والحمل أو القعود هو ذكر الجمل فيما بين الثالثة والخامسة . والحمل من الرابعة . والبكرة هى أنثى الجمل . والهجن هو جمل الركوب . وفضل الهجن - كما يقول البدو - الاصيل المدربة على سرعة الجرى .

والخيل فى سيناء قليلة ، ولا يقتنيها من بدو سيناء الا الرميلات ، وبعض السواركة شرقى العريش ، ثم الترابين . وهم يحافظون على اصولها . واحسن انواع الخيول هى : المخلدية ، والكيشية ، والعبية . وهم فى سيناء يبيعون الذكور من الخيل ، ويندو أن يبيعوا الاناث . ومدة رضاعة المهر عندهم مائة ليلة . فاذا اشترى احدهم مهرة وماتت فى الايام العشرة الاولى كانت على البائع ، واذا ماتت بعدها كانت على المشتري .

ويقولون ان المخلدية هى من اصل فرس خالد بن الوليد .

والكيشية ، لهم فيها أسطورة تقول انه خرج من البحر جان ، فعلا فرسا للرميلات فانتجت الكيشية .

أما العبية ، فيقولون أن فارسا بدويا فر من وجه أعدائه



فطاردوه اميالا فنجأ منهم بسرعة وكان للفرس مهرة تتبعهما ، فظن الفارس أنها تخلفت عن أمها وصارت مع الاعداء . فلما صار في مأمن التفت وراءه ، فاذا بالمهرة بجانب أمها تسترها عباءته فسماها « العبيبة » .. فجاء نسلها يحمل هذا الاسم .

والبدو مغرمون بالسباق على الخيل والابل ، في أيام الاعياد والافراح والمناسبات . وفي زيارة للوئف الى قرية رابعة في شتاء عام ١٩٧٩ ، اقام اهل سيناء مباراة لسباق الهجين .. وكان مضمار السباق طوله ثمانية كيلو مترات ، وقد رصد محافظ سيناء الشمالية جوائز مالية ومصاحف للفائزين ، وقبل وقتها أن هذه اول مرة يقام فيها سباق للهجين بعد عدوان ١٩٦٧ ، وان المحافظة عقدت السباق ضمن خطة لتشجيعه ، واقامة المسابقات المتكررة التي يمكن أن تكون من النشاط السياحي لسيناء .

والواقع أن البدو يتسابقون دائما على الخيل والابل في أيام الاعياد والافراح ، وعند زيارة أولياء الله الصالحين ، واستقبال الضيوف ، وأهم مباريات السباق تأتي في عيد الاضحى .. وفي اوقات ختان الاولاد .

وفي سباق عيد الاضحى يجتمع البدو رجالا ونساء في متسع فسيح يصلح للسباق . وتقف النساء في جانب منه وفي يد احدهن - كما يقول اللواء رفعت الجوهري - مندبل احمر مرفوع على عصا في شكل راية ، ويقف الفرسان في الجانب الاخر من الميدان . ويقف الرجال المتفرجون في صف النساء على بعد نحو كيلو مترين منهن . وحينما يرى الفرسان أن الراية قد ارتفعت في صف النساء يطلقون الاعنة لخيولهم أو جمالهم ، فمن فاز بالراية أولا كان الفائز . فاذا طارده أحد أقرانه وأخذ منه الراية كان هو الفائز الاول . أما سباق الختان فهو يجري

على شياكلة مبقاق عيد الاضحى ، الا انهم يرفعون قفطاسنا من  
الحرير او الاطلس كراية بدلا من المنديل الاحمر ، وترفع الراية  
المذكورة امرأة تركب جملا .

ويصف نعوم بك شقيق مبقاق خيل فى كتابه قائلا :  
« فى مبقاق عيد الاضحى ، يجتمع البدو . . نساء ورجالا  
فى ميدان متسع صالح للسباق ، فتعف النساء فى جانب منه ،  
وفى يد احدهن منديل احمر مرفوع راية على عصا ، ويقف  
الفرسان فى الجانب الاخر من الميدان ، والرجال المتفرجون فى  
صف النساء على نحو كيلو مترين منهن . فحالما يرى الفرسيان  
الراية قد ارتفعت فى صف النساء ، يطلقون الاعنة لخيولهم فمن  
غاز بها اولا كان السابق ، فاذا طارده احد اقرانه واخذها منه  
كان هو الفائز ، والابقى الفوز للاول » .

ومن الحيوانات الاليفة ايضا لدى بدو سيناء الحمير .  
وتركبها النساء ، ويستخمنها فى نقل الماء من الآبار . اما البقر  
فهو نادر ويستخدم للحليب . واكثر الحيوانات انتشارا هي  
الغنم من الضأن والماعز ، وهى تزود البدو بالصوف اللازم  
للبسهم وخيامهم ، وباللحوم للاكل .

اما الكلاب - فهى ثلاثة انواع :

العكل : لحاية الاغنام من الذئاب والضباع والثعالب .  
والسلق أو السلوقي : لصيد الارانب والغزال . .  
وكذلك يساعد فى صيد الصقور والقطا وغيرها .  
والضرى : لصيد التيتل . وهذا النوع من الكلاب ناتجة  
من النوعين السابقين .  
ويصطاد البدو الغزال فى السهول ، لياكلوا لحمه وينتفعوا  
بجلده . كما يصطادون الارانب البرية فى السهول المرتفعة .

والطيور فى سيناء كثيرة الانواع ، منها : الحجل ، والقطا  
البرى ، والشنار ، والصقر ، والورد ، والقبرة ، والهدهد ،  
ولبومة ، والعقاب ، والغراب . . كما أن الزحافات منتشرة مثل  
الحيات بأنواعها . وإذا ما قتل اعرابى حية قال : « قتلنا السم  
وزال ألهم » . كما توجد العفارب بثرة : وتعالج لدغة الثعبان  
بالكى بالنار أو بمص السم . كما تكثر فى سيناء الجرذان والفئران  
واليرابيع .



والبدوى مضياف . . بل ان البدو يتسابقون للضيافة .  
والسهل عندهم ذبح خروف أو جدى ، الذى يقدم لحمه فى  
قصة عليها أرز مطبوخ بالمرق وخبز ، مثل « الفت » تماما .  
والضيافة مناسبة للتجمع عند المضيف الذى لا يأكل مع الضيوف  
وانما يقوم على خدمتهم الى أن يفرغ الجميع من طعامهم ، فيأكل  
ويوزع ما بقى على النساء فياكن فى خيامهن . والمعتاد أن كبير  
الضيوف يرسل من قصته بعض اللحم الى راعية البيت . ومما  
يذكر هنا أن يدى الذبح ورجليه ولحم الرقبة لا تقدم على موائد  
الرجال ، فتقدمها إهانة .

وإذا لم يكن عند البدوى غنم حين قدوم الضيف عليه ،  
فانه يحق له الاخذ من غنم جاره وذبحه ، ويسمى عندهم  
« العداية » . ويشترط رد الذبيحة بعد ١٤ يوما . فإذا لم يرد  
المضيف العداية حق لصاحب الغنم ان يغير على غنم جاره وهو  
ما يعرف باسم « الوثاقة » .

والبدو يعيشون فى الشتاء فى خيام ، وفى الصيف فيها  
يعرف باسم « عرائش » ، جماع المفرد عريشة . وأهم أثاث  
الخيام والعرائش : « المنسف » وهو طبق مستدير واسع من  
الخشب يقدم فيه الطعام للضيف . « والباطيسة » ، منسف  
صغير يستخدمه رب العائلة فى حياته اليومية ، ثم « الكرمية »

.. او « الزلفة » ، وهى اصفر من الباطية وتستخدم لعجن الدقيق وتقديم الطعام . « والقدح » آية من الخشب مستطيلة الشكل ولها يد وفم ، تستخدم لحلب الابل وشرب الماء . ثم حجارة الرعى ، والغرايل ..

اما عدة القهوة العربية ، فهى مؤلفة من « المحمصة » ، وهى طاسة من الحديد يحمضون فيها البن . ثم « الهون » انذى يصحن فيه البن . « البكرج » وهو ابريق من نحاس تقلى فيه القهوة .

ومن اطعمة البدو : « الجريشة » وهى قمح مجروش ليصير برغلا خشنا يسلقونه جيدا ، ثم يسكبونه فى قصاع ، ويصبون عليه الادم من اللبن او السمن او الزيت . ومن اكلهم ايضا « العصيدة » وطريقة عملها هى غلى الماء ، ويصبون عليه الدقيق شيئا فشيئا وهم يحركونه حتى يكون له قوام ، ثم يصبونه فى القصاع . وقد يصبون عليه اللبن ايضا . « والدفينة » هى فته من الخبز او مسلوقة الارز بمرقة اللحم تنثر فوقها قطع اللحم . « والمفروكة » نوع من الشعرية تؤكل بالسمن والسكر .

وللبدوى صبر على الجوع والعطش . واذا جاع احدثهم ولم يجد ما ياكله يشد حجرا مستطيلا على معدته ، واكتفى باكل العشب . ومن بات منهم بلا عشاء سسمى « المقوى » . ومن لم ياكل طعام الصبح سسمى « المرموق » .. كما يقول الشاعر :

يا كم ليلة بتنا مقماوى  
وصصبح عزيز الحزام بدين

وكما يقول شاعر آخر :

والله لا علمك مانى عليك جاهد  
اليوم مريوق والبارح رغيف واحد

ويتاجر البدوى فى الخيل والابل والفنم ، كما أن بدو سيناء يتجرون فى الفيروز ، وهو بكثرة فى بلاد الطور . كما يتاجرون فى حجارة الرحي . ويبيعون المن الذى يجمعونه من شجر الطرفا لزوار الدير ، دير كاترين . كما يتاجرون فى العجوة ، والنباب والاخير ينبت فى بعض الادرية . وكذلك ( السمار ) الذى ينبت فى العيون والمستنقعات ويبيعونه لعمل الحصر . ثم الحنظل يجمعونه من الارض ويبيعونه للعطارين .



ونتكلم عن الشعر ، والغناء ، والرقص عند البدوى .  
ان بادية سيناء هى بادية عربية بالدرجة الاولى ، مازالت فيها كل قبيلة تحتفظ بماورائها المتوربة . ومن أبرز هذه المانورات ، ذلك الادب الذى لا يزال الشعراء الفطريون يرددونه - خاصة الشعر - تلقائيا .

ان بادية سيناء هى بادية عربية بالدرجة الاولى ، مازالت فيها قدرة خارقة على ترجمة احساسهم ومشاعرهم تماما وبأنفس القدر الذى ترجمته من قبل فحول الشعراء فى العصر الجاهلى . وربما ساءلهم على ذلك ، رحله الافق الذى يحويه فى الصحراء . فهذا شعر فى الغزل ، وذاك فى المديح ، وآخر فى الزهد ، وهكذا كل اللون . . مع فرق هو أن شعراء بادية سيناء ينظمون قصائدهم بلهجاتهم العربية الدارجة . . التى تتخلها الفاظ من صميم اللغة العربية الفصحى ومن هذا الشعر قصيدة لشاعر قبيلة الحويطات واسمه سلمى الدخيلة ، يقول فيها :

يا ديرتى ومرباى وقت الطفلة  
ما نسى غلاكى وجيتك اليوم زوار  
جيت اتفرج عالخيلى والسهولة  
واشرف على المرقاب وانظر بمنظار

فيكى عدو الله رابط خيوله  
والله ما يرضى بكى عند كفار

وشاعر آخر مشهور هو عزيز سالم ، شاعر قبيلة الترابيين .  
يقول فى قصيدته عن الفه وحبه لاسرته ، وللحرية وحزنه لفراق  
الاحباب :

يا طير مشين طبعك عقب تفبيك مانت منطاق  
مشين طبعك طول ليك تقافى  
يا طير انا مشتاق للعلم مشتاق  
وقلب الخطا طير زى مانت هاق

والشاعر سالمان ابو راشد من قبيلة البياضين ، يحدث  
الريح ان ترسل بخطابه الى ابنائه الموجودين فى ليبيا ، فيحدث  
الريح قائلا :

ياريح يارايح ليبيا ياريح  
ياللى بتمشى ع عين الحكومة بلا تسريح  
ياريح يارايح ليبيا سلم  
ياريت ياريح لو انك بتتكلم  
وان كان ياريح متوصل جواباتيه  
خط الثلاثة ع ابو عمران لاقينه

ومن شعر الفزل ، يقول شاعر البادية الذى احب فتاة  
بنوية اسمها « عبيدة » وهى من اربعة ابيات ، يبدأ كل بيت فيها

بحرف من حروف اسم المحبوبة الاربعة :

العين عبده غزالى مشى غزال غيره

والياء يارب تجعلها عمار بيته

والدال داويت لما طابت جروحيه

والهاء هان العسير ونلت مطلوبيه

وفى قصيدة ٦ أكتوبر ، يقول سليمان الزيت شاعر قبيلة  
القراوشة :

أنور السادات بطل السلام

تلقاه فى اللازمة سيد وسادات

قطبه الولايا حزمة بالحزام

والرحمن مانحه فضل وكرامات

توافد جنوده بصواريخ سام

رجال تريد الموت قبل الاوانات

والبحر عدوه فى ثوان اقتحام

تخطيط من ذات العقول السليمانات

حصن بناها العدو فى سبع أعوام

هذه رزير القوم فى ست ساعات

وفى قصيدة أخرى للشاعر سليمان الزيت يقول فيها عن  
سيناء :

يا واحد مالك شرايك ربوبه

الأرض بأسفلها ورافع سماها

سيناء تملئ معرضة للحروبة

وفيها خلائق صامدة غناها

والواقع أن الملاحظ في هذا الشعر البدوي .. أنه يشابه شعر البادية العربية .. وهو في رأيي يقترب من الشعر النبطي الذي يسمعه الإنسان في البادية العربية ، وقد سمعت وقرأت الكثير من هذا الشعر في بادية السعودية .. وفي بادية دول الخليج ، وخاصة في صحراء لبوا .. التي زرتها وعشت فيها عدة أيام في عام ١٩٦٨ .

وللبادية أفراح .. تظهر عند الزواج وختان الأولاد ، ومولدهم ، وعند مقدم حاج من الأراضي المقدسة ، أو إطلاق سراح أحد المسجونين . ومن عاداتهم أن ينحر صاحب الفرح الذبائح من رموس الغنم والماعز ، وأن يتوافد المدعوون أول الفرح ، وكل منهم يسحب رأساً من الضأن أو الماعز ، وجوالاً من الدقيق لصاحب الفرح يسمى « القود » .. أو « النقطة » كما تسمى في ريف مصر .

ومن مظاهر ابتهاج البادية بالأفراح ، أن تلبس النساء أحلى زينتهن ويفنين ويزغردن ، كما يقف الرجال في طابور طويل منتظم يسمى « السامر » ، حيث ينشدون أناشيد جميلة تتجاوب أصداؤها في عرض الصحراء في جوف الليل ، ويقولون « الدحية » ، ويبدعون السامر عادة يقولهم :

أول كلامي نصلي ع النبي الهادي

ومحمد إلى مقامه نور الوادي

والذي يقود ألقناه في السامر يسمى « البديع » ، وهو عادة



شخص متمرس له من القدرة على اختراع الكلمات المنثورة والشعر البدوى ، ما يؤهله للقيادة .

وأمام السامر ، ترقص إحدى نساء البادية المحجبات ، وفي يدها « سيف » . ومن أشهر الآلات الموسيقية المستعملة في الافراح هي « الربابة » ، وهي قريبة الشكل بالكمان ، وأوتارها من شعر زيل الخيل . ( والشبابية ) ، وهي المعروفة في مصر بالناي . والمقرون أى الزمار .

وكل شعر يغنى عند البدو . ومن أنواع الشعر المغنى عندهم الآتى :

( القصيد ) . . وينشد على الربابة ، ويشمل باب المديح .  
و « المواليا » . . وهو الغناء على ظهور الابل ، وهو يشبه الحداء . ومن ذلك كما جاء في كتاب اللواء الجوهري ، الذى يقول ان لكل قبيلة مقاطع فى الحداء تختلف عن الاخرى :

يا كم بنية نوبة

قبلت أنا وياها

والجدالة عشب تروى

قبل العرب ترعاها

وهناك قصيدة أخرى من قصيد البدو نذكرها كمثال على ذلك :

رن حبل البدوية

رن وأعجبني دويه

ياجميل الصالحية

وين بنت البارحية  
يت في حنه ورنه  
والعطور الفاخيه

ويقال ان غناء الرقص ثلاثة أنواع هي : الدحية ،  
والسامر ، والمشرقية .

**أولا الدحية** ، وهي تسلية البدو في باديتهم ،  
فإذا اجتمع البدو للدحية وقف المغنون صفوا واحدا ،  
وبينهم شاعر أو أكثر ، يعرف ، باسم « البداع » ، ويرتل  
الشعر وأمامهم امرأة ترقص بالسيف ، وهي المسماة « الحاشية » ،  
فيبدأ المغنون بقولهم « الدحية ، الدحية » يكررونها مرارا وهم  
يصفقون بأيديهم ويهزون رؤوسهم ، ثم يبدأ البداع بالقول .  
« فكلما أبدع شطرا من الشعر ، كرر الكل « الردة » ، وهي  
« رايحين نقول الردة » .. وهم يصفقون بأيديهم ويهزون  
رؤوسهم واعطافهم يمنة ويسرة . ويتقدمون نحو الحاشية ،  
وهي تتقهقر امامهم ، وهي ترقص رقصهم ، حتى يصلوا الى  
منتهى ساحة اللعب . فيقعدها القرفصاء ، فتقعد الحاشية  
مثلهم . ويقتوا برهة ، ثم يتقهقر الرجال الى الوراء رويدا ،  
والحاشية تتبعهم مواجهة لهم ، حتى يعودوا الى حيث وقفوا  
أولا ، فيعودوا الى الرقص كما بدعوا . والبداع يبدع القول .  
وهم يكررون الردة . وقد يكون بينهم أكثر من بداع ، فيتناوبون  
أقول الى انتهاء اللعب . وقد ترقص راقصتان أو ثلاث .. ويد  
الواحدة في يد زميلتها . ومن أنواع أغاني الدحية .. ما يقال :

أنا مجيرك يا الغالى  
مد يدك وسلم على  
فتمد الحاشية يدها وتسلم عليه ، فيقول :

أنا مجيرك يا انغالى  
تلعب بلوكان الدحيسة

فتتحمس وترقص ، فيقول :

وان كان مطيع من زمان رد الركبة مثنية

فتركع الحاشية على ركبة ونصف ، فيقول :

هيدي بروك المخاليف ودي بروك المطيعة

وهنا تركع الحاشية على ركبته ، فيقول :

انا قصدتك يا الحاشية ودي اشوف العطية

فتناوله السيف ، الذي كانت ترقص به ، فيقول :

الحاشية اعطاني السيف والسيف يقطع يديه

انا ودي شناف الفضة سرع قبالة الكليته

وتنزع هي الشناف ، وتناوله اياه ، فيقول :

انا ودي خاتم انفضة وحطته بايدي اليمينية

فتنزع خاتمها وتناوله اياه ، فيرجعه اليها ومعه قطعة من  
الفضة ، ويقول :

هذه عطيتك يا الحاشية وهي حرام على

واختم كلامي بمحمد يا مصليين ع النبي

محمد يا نور المشرق والسيد نور الغريسة

ثانيا - السامر : والسامر نوعان هما « الزرعة » ..

و « الخوجار » .

« الزرعة » يقف الرجال فريقين على شكل هلال مقطوع

الوسط ، ويقف مع كل فريق بداع ، وامامه امرأة ترقص

بالسيف . فيبدأ بداع الفرقة الاولى ، ويقول بيتا من الشعر

الفنائم، وكلما قال شطرة كررها أصحابه من بعده ، أو ردها .  
وكلا الفريقين يصفقون ويهزون رؤوسهم ، ويتقلعون نحو  
العاشية .. كما يحدث في الدحية . ثم يبدأ بداع الفريق الثانى  
ويفعل ما فعل بداع الفريق الاول ، وهكذا .. الى منتهى  
اللعب .

أما « الخوجار » .. فهو مثل الزرعة ، لكن النساء تقفن  
بين صفى الرجال ، وبينهن شلحرتان تغنى كل منهما لاحد فريق  
الرجال ، ولا تتحركن من مكانهن الا عند انتهاء اللعب ومن شيعر  
السامر ، هذه الابيات :

يا طالعين البرارى فى سموم ورياح  
لا القلب ساكن هنا ولا شوقكم مرتاح  
يا قلب وايش متعبك يا قلب وايش شاقيك  
يا قلب الى سقى عود القنا يسقيك  
يا ساكنين الصحارى وبلاككم مظماه  
قاعد على دريكم والحلو ما بلاقاه

ثالثا - المشرقية : وهى على نحو لعب الزرعة ، بكل  
تفاصيلها .. الا أن الشعراء ينشدون فيها أبيات الزرعة ،  
ولحنها يختلف عن لحن السامر ، ومن مقاطع المشرقية :

اطلع تنزه لىالى العز مادامت  
يا اكحل العين ما أحل دقة وشامك



من عادات البدو ، وخاصة بدو شمال سيناء .. أنهم  
يلعبون الى البحر فى ربيع كل عام فيلعبون اللبائح ، ويرمون

رءوسها وأرجلها وجلودها ، وينولون عند رميها : « هذا عشاك  
يا بحر » .

والبدوى عندما يكون في ضيق وينفرج حاله ، يقبل الأرض  
ويقول : « يوم ما تطول سماه تقبل وطاه » .

ويتبارك العرب عند رؤية هلال الشهر . ويدعون عند  
رؤيته سائلين : « يا لى سلمتنا فى اللى زل ، سلمنا فى اللى هل » .

وعندما يأخذ العربى بثاره يقولون : « جاب النار بعيل  
ونار » .. أو يقولون : « جاب النار ونفى العار » .

ومن الامثلة الدارجة بين أبناء البادية :

« اللى ما يعرف الصقر يشويه » ..

« بارك الله فى المرأة المطيعة والفرس السريمة والدار

الوسيمة » ..

« بين الفطاس والميلاد لا تسافر يا هذا ، وان سافرت خذ

تحتك سجادة » ..

« بشر القاتل بالقتل ، والزانى بالفقر » ..

« خذ بنت السبع ولو بارت . ودر مع الدرب ولو دارت .

وفوت بنت الاندال ولو زنتها غاطى جبينها » .

« الرأس ما بيع طربوشين » ..

« الشمس لا يغطيها الرغيف » ..

« الليل رزقه ضيق »

« الدم ما ييسوس »

« دار خير من دار ، وجايد خير من جار »

« المركب اللى مافيهام شئ لله تفرق »

« مشيك فى المعزة اربعين يوما ، ولا فى المذلة الف عام » .

« من رمى سلاحه ، حرم قتله » ..

« الحى يشوف الحى »

« راعى النية الطيبة يرزق »

والحقيقة أننا نحن هنا فى مصر فى حاجة سريعة وماسة الى  
تسجيل هذه الفنون الشعبية .. والعادات والتقاليد ، بكل  
الوسائل والسبل .. قبل أن يأتى يوم تكون فيه أغلب هذه قد  
تلاشت وانقرضت .. وصارت تاريخا .

## الفصل الحادى عشر

### كنوز سيناء





صورت سيناء من خلال مشروع الاستشعار من البعد ، والذي أثمر خريطة لشبه الجزيرة ، وتغطي مساحة ٦٤ حوالى ألف كيلومتر مربع ، وباستخدام الصور الفضائية المجموعة من القمر الصناعى ( آر تى - ١ ) ٠٠ بالاضافة الى الدراسات التى أجريت ، وهى دراسات متنوعة فى فترة طويلة ، هذا كله يشير الى الآتى :

**أولا :** تعتبر الاراضى المتاخمة لخليج السويس ، والمعروفة بمنطقة أخدود خليج السويس ، من المناطق ذات الاولوية لوجود البترول ، فى وسط الشريط الساحلى ٠٠ حيث تقع حقول بلاعيم البرية ، وأبو رديس ٠٠ بينما نقل الحقول نحو الشمال ، حيث توجد حقول سدر ، وعسل ، ومطارمة .

وتقع المنطقة ذات الاهمية الثانية ، والتى ينتظر اكتشاف البترول والغاز فيها فى أقصى شمال سيناء ، على امتداد ساحل البحر المتوسط ، والتى يحدها جنوبا ( الفواقي ) التى ظهرت على الخريطة لأول مرة . تليها جنوبا المنطقة ذات الاهمية الثالثة فى سجال البترول والغاز الطبيعى .

**ثانيا :** توجد رواسب المنجنيز والحديد المعروفة فى وسط وغرب سيناء ، فى منطقة ( أم بجمة ) ، وتظهر بعض الطبقات المحتوية على خام الحديد فى شمال سيناء . كما يختلط الحديد والمنجنيز فى الصخور الواقعة فى جنوب سيناء . وقد عثر على المنجنيز فى مناطق عدة من سيناء ، أهمها الجنوب الغربى لشبه الجزيرة ، وهى المنطقة التى تقع الى الشرق من ( أبو زنيمة ) . وكذلك منطقة شرم الشيخ ، ومنطقة حويط ، ومنطقة جبل موسى ، وحول ( دير سانت كاترين ) .

ومن خلال أبحاث الخبراء تبين أن المنجنيز ثلاثة أنواع ، أهمها المنجنيز الذى يتكون أساسا من معادن المنجنيز الحديدى .

وقد تم اكتشاف هذا الخام فى أم بجمة ، وفى أبو نور ، ورأس  
الحمار ، والركايز ، وأم العالات ، وأم غنيسم ، وأم الرجيلة ،  
وأم سكران ، وأبو قصى .. ومناطق أخرى كثيرة . وقد أكدت  
الدراسات أن احتياطي المنجنيز يزيد على ١٥ مليون طن .

**ثالثا :** توجد رواسب النحاس فى غرب وسط شبه الجزيرة ،  
فى مناطق : وادى نصب ، وسرايت الخادم ، مترسبة فى طبقة  
الحجر الرملى الطفلى . كما توجد هذه الرواسب فى غرب ووسط  
وجنوب شبه الجزيرة ، بشقوق الجرانيت القرمزى ، والجرانيت ،  
والشيسيت ، وعروفي المرو القاطعة .. كما هو الحال فى مناطق  
أبو صويرة ، باثات أم ربي ، فيران ، رقبطة ، رصبة ، سمرة .  
وقد أعطت العينات المأخوذة من منطقتي (أبو شور) و (أبو حباط) .  
.. أعلى نسبة من النحاس .

**رابعا :** اتضح أن أصلح مناطق للبحث عن اليورانيوم ،  
محتمل أن تكون تكوينات وسط الحجر الرملى ، وحيث الجرانيت  
.. خاصة الانواع الحديثة منه . وتوجد هذه الانواع فى الجزء  
الشمالى الغربى من سيناء ، وكذلك القوالتى ، والكسور ، خاصة  
جنوب سيناء .

أما الثوريوم ، وهو وقود ذرى ثانوى الاهمية .. ومعدن  
الاركونيوم ، وغيرها من المعادن النادرة ، فيحتمل وجودها على  
الساحل الشمالى ، وفى المساحات الضحلة من البحر المتوسط ،  
مثل سبخة البردويل .

**خامسا :** تعتبر شبه الجزيرة من أهم مصادر الكاولين ،  
اللازم لصناعة الخزف ، بما له من خواص كيميائية وطبيعية . كما  
أن هناك معادن أخرى لها أهمية فى صناعة الخزف مثل الفلسبار ،  
والكوارتز .. يمكن الكشف عنها مع الجرانيت الوردى فى الاجزاء  
الشمالية والغربية من صخور القاعدة ، وفى منطقة الكسور  
يجنوبى سيناء .

**سادسا :** من المعادن الاخرى ذات الاهمية الاقتصادية :  
الفوسفات .. وهو في صخور العصر الطباشيري . وكذلك راسب  
الرصاص والكبريت والاسترانشيوم .. وتوجد جميعها بأخـدود  
خليج السويس .

**سابعا :** رمل الزجاج ، أو الرمال الكوارتزية .. وهي  
تستخدم في أغراض متعددة ، من بينها صناعة الزجاج والخزف  
والصيني والمسبوكات . وقد أجريت بعض الدراسات الحقلية عام  
١٩٦٥ لطبقات بعض الوديان المنتشرة في وسط غرب سيناء ، وهي  
وادي الخايويا ، وأبو نتش ، وأبو قفص . وقد ثبت من نتيجة  
التحليل أن عينات وادي الخايويا تنتشر رمالها في ثلاثة حجـوم  
مختلفة ، وتوجد بها نسبة تصل في المتوسط الى ١٤٪ من الحجم  
الكبير في الرمال . على عكس عينات الوديان الآخرين ، والتي يقل  
فيها متوسط نسبة هذا الخام الى أقل من ١٪ بينما تشكل النسبة  
في الحجمين التاليين أكثر من ٩٨٪ .

وجدير بالذكر ، أن رمال سيناء البيضاء ، لا تقل في الجودة  
عن أنقى أنواع الرمال المثيلة في العالم ، وهي بذلك ثروة قومية  
لا يستهان بها في تطوير وتحسين بعض الصناعات القائمة ، وفي  
انشاء صناعات جديدة .

**ثامنا :** الفحم ، وتم اكتشافه في جبل المغارة ، جنوب غربي  
العريش بحوالى ٩٠ كيلو مترا . وقد اكتشفه في وادي الصفا عام  
١٩٦٤ الجيولوجي ابن سيناء درويش مصطفى الفار . وقد وصلت  
طاقته الانتاجية الى ٣٠٠ ألف طن سنويا عام ١٩٧٠ .

ويمكن اكتشاف الفحم في مناطق أخرى لاستخدامه في  
أغراض التنمية المحلية .

وقد ثبت وجود الفحم في منطقتي بدعه وثوره بالجزء الغربي  
الاطلس من سيناء . وقد رت الاحتياطيات بنحو ٧٥ مليون طن من

الفحم والمواد الكربونية ، منها حوالى ١٥ مليون طن مؤكد ، وحوالى ٦٠ مليون طن محتمل . ويمكن استخدامه فى انتساج حامض الكبريتيك من الجبس . و انتاج بعض المواد الكيميائية ، مثل البريدين ، والفينول وغيرهما . ويصلح كوقود لاشمال أفريقيا ، توليد القوى الكهربائية .

أما فحم منطقة عيون موسى جنوب شرق السويس بنحو ٩٠ كيلو مترا ، فقد قدرت احتياطياته القابلة للاستخراج بنحو ٣٥٦ مليون طن . وتبلغ الطاقة الانتاجية ٣٠٠ ألف طن سنويا . ويمكن استخدام ٢٠٠ ألف طن سنويا فى صناعة الكوك اللازم للحديد والصلب ، كما يمكن استخدام فحم المغارة فى مجالات كثيرة .

تاسعا : بالنسبة للملح الصخرى ، فقد أظهرت الخريطة أن أنسب الأماكن لترسيباته ، هى الشريط الساحلى ، شمالى سيناء .

عاشرا : الصخور التى يمكن استخدامها فى المواد الانشائية تنتشر بوفرة فى سيناء ، مثل الجبس والأنهدريت . وهى يمكن تصديرها الى الخارج . وهذا النوع من الجبس يوجد على امتداد الساحل الغربى ، محازيا لخليج السويس وقناة السويس .

أما الصخور الصالحة لصناعة الاسمنت ، فتوجد فى شمال وسط سيناء . كما يوجد بعضها على الساحل الغربى الممتد على مقربة من خليج السويس . ويوجد البازلت فى شمال وجنوب شبه الجزيرة . وهذه مع صخور التراكيت ، والرابوليت . . . . . والتى تستخدم فى رصف الطرق ، توجد بالقرب من خليج العقبة .

حادى عشر : فى منطقتى سرايت الخادم ، وادى المغارة . . . . . يوجد النحاس والفروز . . . كما يوجد الرمال السوداء والرصاص والالونايت ، وكبريتات الصوديوم . . ويلزم لها مسح جيولوجى شامل لشبه الجزيرة .



وماذا تقول صور القمر الصناعى ( آريس - ١ ) حول مياه

سيناء ؟

**أولاً :** في شمال سيناء ، تتوفر الظروف المناسبة لحفظ المياه في التربة ، وذلك في منطقة تجمعات الكتيان الرملية ، التي تمتد على طول الشريط الساحلي . وهي خزان طبيعي للأمطار الساقطة . ومياه هذا الخزان تكون عموماً أقل ملوحة . ويمكن استخدامها للأغراض المنزلية والري . وهذا مؤكد ومعروف من خلال خرائط القمر الصناعي .

كما توجد المياه أيضاً في الرواسب الفيضية على السهل الساحلي . وتقدر كمية المياه في خزان هذه الرواسب بحوالى ٢٠٪ . وقد ثبت وجود المياه في طبقات الرمل من خلال معظم الآبار الضحلة الموجودة في الجزء الشمالي من حوض وادي العريش ، ووادي الحسنة ، ووادي القسيمة ، وغيرها . وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد بشمال سيناء عدد من العيون الطبيعية ، أهمها : عين الجديرات ، وعين قاوس بالقرب من القسيمة ، ومياه هذه العيون تستخدم في الري .

**ثانياً :** في جنوب سيناء ، والموارد المياهية هنا محدودة ، وينحصر مصدرها في منطقة الأخدود الغربى لسيناء . وتوجد المياه الأرضية في السهول الفيضية ، ورواسب الوديان . كما توجد في شريط ضيق بمحاذاة خليج السويس . ففي منطقة الطور توجد المياه على عمق حوالى خمسة أمتار ، وتستخدم مياهها في أغراض المعيشة وري بساتين الفاكهة .

وهناك مياه شبه محصورة في الرمال والحصى ، وتنتشر خزاناتها في الأخدود الغربى ، وقد ثبت أنها طبقات حاملة للمياه من خلال الآبار التي حفرت على عمق ٤٨ متراً ، وخاصة في موقع الحيشي وعيون موسى ، ورأس مسلة ، وسدر . كما توجد مياه على عمق ٣٠٠ متر ، وتبلغ درجة الملوحة فيها ١٥٠٠ جزء في المليون .

وقد أجريت عدة دراسات ، ووضعت تقارير ، في بداية

الستينات أثبتت أن كميات الامطار التى تسقط على وادى العريش تصل الى ١٠٠ سم مكعب . وأنه من الممكن الافادة بالمياه الجوفية التى تخزنها كثبان الرمال . وأن مساحة وادى العريش تصل الى ١٧ ألف كيلو متر مربع ، ويمكن زراعة ستة آلاف فدان اعتمادا على المياه ، وخاصة زراعة الخروع .

على أن منطقة وادى العريش تصلح لانواع مختلفة من المحاصيل ، وبخاصة الزيتون الذى زرعه محافظة سيناء الشمالية ، وبدأ محصوله يثمر عام ١٩٧٩ . يضاف الى ذلك أن أرض المريش يمكن أن تزرع فيها الطماطم التى تكفى مصر كلها ، اذا ما أحسن التخطيط لذلك . هذا فضلا عن المحاصيل مثل اللقمح والشعير ، وكذلك الخضروات .

الحقيقة أن المنطقة ما بين العريش ورفح تعتبر من الارض الخصبة ، والتى اذا استغلت مياه آبارها بمهارة وتكنولوجية ، فانها تكفى للزراعة التى يمكن أن تساهم فى استراتيجية الامن الغذائى . وقد قدر أن البئر الواحد فى المنطقة يمكن أن يصلح لزراعة ٦٠ فدانا .

وهناك طرح فكرة ايصال مياه النيل الى العريش وما يجاورها . وهذه الفكرة كما نرى مكلفة جدا اذا ما عرفنا أن الارض ترتفع كلما سرنا من وادى النيل الى العريش ، بحيث يتطلب ذلك بالطبع عدة وسائل تكنولوجية تساعد على دفع المياه حتى تصل الى منطقة العريش . على أن فكرة مد فرع من النيل تحت قنطرة السويس ، يجرى بحثها وعمل الدراسات لها . وربما يمكن أن يروى النيل المناطق المتاخمة لقناة السويس .

والواقع أن الدراسات الحديثة قد أكدت ، أنه يمكن زراعة المنطقة الشمالية من سيناء كلها بمياه وادى العريش . وهذا لا يكلف مثلما يكلف ضخ مياه النيل الى العريش . وقد أكد لى ذلك اللواء محمد حسين شوكت محافظ سيناء الشمالية . وهذا

القول بلا شك قد جاء نتيجة لدراسات على الطبيعة بالنسبة لخزان المياه الكبير الموجود تحت وادي العريش والذي تتجدد مياهه كل عام .

وفي دراسة قام بها معهد الصحراء ، اتضح أنه يمكن تقسيم سيناء الى عدة أقسام ، لكل قسم منها امكاناته المائية والزراعية .

**والقسم الاول :** هو اقليم حوض وادي العريش ، وجزء من حوض وادي عزة . وهو يشغل مساحة تقدر بحوالي ٢٠ ألف كيلو متر مربع ، يخترقها من الجنوب الى الشمال حوض وادي العريش بروافده العديدة ، والذي يتحول في بعض مواسم فصل الشتاء الى نهر يفيض بالمياه التي تنساب الى البحر المتوسط ، وفي هذا الحوض تنتشر رواسب التربة . وتتواجد المياه السطحية ، التي يمكن التحكم فيها . كما تتواجد كذلك المياه الجوفية ، سواء في الصخور الرملية ( الحجر الرملي النوبي ) أو في الصخور الجيرية ، والتي لم تستغل حتى الآن على نطاق كبير . ونحن اذا تصورنا أن هذه الصخور تمتد شرقا الى المناطق المطيرة في لبنان وسورية ، نستطيع أن ندرك كمية المياه الجوفية التي تتغذى بها كل عام ، بما يعطيها أهمية كأحد الموارد المائية الهامة .

ويمكن في مرحلة الابتداء . اقامة مجموعة من الحطيات الزراعية ، أي المساحات الواسعة ، في الأماكن التالية : قلعة نخل - التمد - سدر الحيطان - الحسنة - القصيمة - الكونتيل - بير لحفن .

**القسم الثاني :** هو السهول الساحلية في منطقة خليج السويس ، مثل وادي سدر ، وادي غرنديل ، وادي الطينة ، وسهل الترازات ، وسهل أبو زنية .

وهذا القسم يتميز بوجود عدد من الوديان الكبيرة التي تنساب من مرتفعات شبه الجزيرة الجنوبية ، وتنحدر مباشرة الى

منطقة خليج السويس ، ولو أنه في الوقت الحالي لا يجري للاستفادة من مجارى تلك الوديان ، ولا يجري كذلك الاستفادة من رواسب التربة الجيدة . . والتي توجد في دلتاوات تلك الوديان . وقد تأكد صلاحية ٧٥ ألف فدان للزراعة في تلك المنطقة .

**القسم الثالث :** هو اقليم السهول الساحلية لمنطقة البحيرات المرة ، وكذلك منطقة الغرود التي تمتد شرقا حتى هضبة أم خشيب، شمال مصر متلا . وهذه المنطقة بها امكانيات زراعية محدودة ، نظرا لان مياه الوديان تضيع وسط الكثبان الرملية ، ونظرا لان الارض تتعرض لما يشبه عمليات ( التجليخ ) . ويمكن مع توافر مياه النيل ، وتيسير وصولها الى تلك السهول أن تزرع أراضي كثيرة .

**القسم الرابع :** امتداد دلتا نهر النيل في منطقة غرب سيناء، وهو ما يطلق عليها ( سهل الطينة ) بين بحيرة البردويل وقناة السويس . وفي هذا القسم تتوافر رواسب التربة ، ولكن المياه الجوفية محدودة . ومنع ذلك فان ما يتساقط فوق هذا القسم من امطار ، وما يمكن التوصل اليه من ماء النيل يسمح بالتوسع الزراعي الى أقصى مدى . . ويجعل هذا القسم يساهم مساهمة فعالة في استراتيجية الامن الغذائي .

**القسم الخامس :** اقليم الكثبان الرملية المعقدة جنوبى بحيرة البردويل ، والذي يمتد الى مرتفعات سيناء في منطقة المغارة . وفي هذا الاقليم تنتشر الكثبان الرملية ، مما يجعل الحركة فيه على درجة عالية من الصعوبة . ولكن ما تختزنه تلك الكثبان الرملية من موارد مائية ، يسمح بإقامة عدة ( حطيات ) متناثرة . وإذا أمكن توصيل مياه النيل الى بعض أجزاء هذا الاقليم ، فانه سوف يكون بالامكان التوسع في بعض الزراعات على حواف الكثبان الرملية المتاخمة لبحيرة البردويل ، مثل نباتات المراعى ، ونبات عباد الشمس ، والخروع .



**القسم السادس :** وهو الاقليم المنخفض المتاخم لخليج العقبة ، وهذا الاقليم تقطعه مجموعة من الوديان ، شديدة الانحدار ، والتي تنساب مباشرة الى خليج العقبة . ومياه تلك الوديان تتسرب . لكي تخزنها الصخور المنتشرة ، مما يسمح باقامة عدد من (الحطيات) التي تصبح لها أهمية زراعية وسياحية في نفس الوقت .



وفي بحث للمجالس التعدينية المتخصصة ، حول تنمية سيناء  
.. وهو بحث مبنى على عدة مصادر متجمعة منها :

١ - تقارير معهد الصحراء حول دراسة الموارد الطبيعية الزراعية .

٢ - بحث للمهندس محمد السيد أيوب ، نقيب الزراعيين  
الاسبق ، حول زراعة سيناء .

٣ - مقترحات الثروة الحيوانية في شبه جزيرة سيناء  
للدكتور محمد هلال قاسم .

٤ - الثروة السمكية في شبه الجزيرة .. للدكتور أحمد  
الرفاعي بيومي .

٥ - الموارد الطبيعية والزراعية في سيناء ، للدكتور محمد  
سعيد الرفاعي .

٦ - ابحاث مؤتمن تصدير سيناء ( مايو ١٩٧٥ ) .

٧ - تقرير وزارة الري لمشروعات استصلاح وتعمير الاراضى  
فى سيناء ، وفى غرب وشرق قناة السويس .

٨ - بالاضافة الى آراء بعض المهتمين بالسرى والزراعة فى  
سيناء ، وبعض التقارير الفنية القديمة ، التى أمكن الحصول عليها  
من وزارة الاشغال ، والخاصة بسيناء .

يقول البحث ، أنه يمكن بصفة عامة ، تقسيم سيناء زراعيًا إلى منطقتين رئيسيتين .

### الاولى ، منطقة الساحل الشمالى ، وحوض وادى العريش :

وهذه المنطقة تعتمد فى ريها على الامطار والسيول ، وفيها مخزون لا بأس به من المياه الجوفية، ذات النوعيات المخلعة التى يمكن تنميتها واستغلالها بأساليب الزراعة والرعى الحديثة ، والمحافظة على مياه الامطار باقامة السدود السطحية والفاطسة ، وغيرها من الوسائل لمنع انجراف التربة ومياه السيول سطحية ، أو تسربها باطنيا الى مياه البحر . ومن المنظر أن تلعب التنمية الرأسية فى هذه المنطقة دورا أكبر . كما يساعد الرعى التكميل للمحاصيل ، على توسع أفقى لمحاصيل معينة يجرى اختبارها بما يتناسب وكمية ونوع المياه الجوفية السطحية والعميقة . هذا بالإضافة الى مساحات كبيرة على الشريط الساحلى ، يمكن بها تنمية بعض أنواع الزراعات الموسمية فيها ، اعتمادا على مياه الامطار فقط .

### ثانيا - منطقة شرق القناة وخليج العقبة :

وهذه المنطقة تبدأ من سهل الطينة فى الشمال الى جنوب عيون موسى . وتشمل مساحات شاسعة من الاراضى الصالحة للزراعة . وتبشر التقارير الميدانية بصلاحياتها بعد اجراء المعاملات الزراعية المناسبة . ويعتمد التوسع الزراعى الافقى فيها على مورد مائى ، ينقل اليها من الدلتا ، وذلك قياسا على ما سبق البدء به فى مشروع شرق البحيرات المرة . أما المناطق الاخرى فى سيناء ، فان إمكانيات التنمية الزراعية فيها منخفضة نسبيا ، من حيث الكم والنوع ، وإن كانت تستحق الدراسة ، لتبيان مدى احتمالات اقامة زراعات محدودة ، لتوفير بعض المواد الغذائية والحيوانية ، وصيد الاسماك من الشواطىء المجاورة لتغذية مراكز التجمع الصناعى والتعدينى والسياحى .

ولكن يبقى السؤال : ماذا عن امكانات وتنوعيات التنمية  
الزراعية فى هاتين المنطقتين الرئيسيتين ؟!

يقول البحث :

### اولا - الانتاج النباتى :

تتناثر منذ القدم مناطق زراعية محدودة يزرعها الاهالى  
بامكاناتهم القليلة ، وتجاور هذه المناطق عيون المياه والابار ، الى  
يمكن حفرها ، ومناطق هطول الامطار . وقد اضيف اليها ما قامت  
به وزارة الري من سدود ، ونشاط هيئة تعمير الصحارى من آبار ،  
واستصلاحات فى مناطق وادى العريش وغيرها . هذا بخلاف ماتم  
من تغيرات ، ومنها ما سبق عام ١٩٦٧ . وقد شمل نشاطا زراعيا  
توسيعيا .

وقد نجح بعض الاهالى ، واكتسبوا كثيرا من الخبرات ، رغم  
وسائلهم البدائية فى زراعة الكثير من المحاصيل الزراعية ذات  
الاهمية الاقتصادية ، وعلى الاخص الخروع ، حيث كانت منطقة  
الشيخ زويد مركزا هاما لتجارته واعداده للتصدير ، كما اشتهرت  
هذه المنطقة بزراعة النخيل ، والمان ، واللوز ، والتين ، والزيتون ،  
والكروم ، والعنب . وقد توطنت هذه الاصناف بعد أن استوردت  
من وادى النيل ، وشبه الجزيرة العربية ، وبلاد الشام . هذا  
بالاضافة الى بعض المحاصيل الاخرى كالشعير ، وبعض أنواع  
الذرة الرفيعة ، والنباتات الصحراوية والطبية ذات القيمة  
الاقتصادية . كما انتشرت زراعة بعض الخضروات .

وفى منطقة رفح ، انتشرت محاصيل حقلية كثيرة ، وفواكه  
أهمها ( الحمضيات ) ، وأصناف متعددة من اللوزيات ، والتفاحيات ،  
والعنب وغيرها وبعض الاشجار الخشبية ومصدات الرياح . وجميع  
محاصيل هذه المنطقة ذات انتاج اقتصادى ، رغم ارتفاع الملوحة فى  
مياه الآبار ، وذلك نتيجة لارتفاع هطول الامطار . مما يؤدى الى

غسيل التربة موسميا • ولو أن كل هذه المزروعات فى مناطق محدودة وبمساحات قليلة نسبيًا ، وتمشى مع الامكانات المادية المتاحة للاهالى •

ومن هذا يتضح أن هناك امكانات لتنوع الانتاج النباتى فى مناطق سيناء المختلفة ، وتمشى كل منها مع ظروف البيئة من النباتات شبه الصحراوية ، مثل الخروج الى أشجار الفاكهة والنخيل ، وغير ذلك من المحاصيل الموسمية والاعشاب الرعوية .

**ثانيا - الثروة الحيوانية :**

ان تعميم سيناء ، يحتاج بالتبعية الى تزويد المقيمين بها والنازحين اليها والعاملين بمصانعها ومناجمها الحالية والمستقبلية ، بما يحتاجون اليه من مواد غذائية حيوانية من اللحوم الحمراء والالبان والدواجن والبيض ، بالإضافة الى الخضر والفاكهة • وتأخذ الاولوية فى هذا المجال الالبان والبيض ، لانهما من المواد الغذائية القابلة للتلف ، والتي يستحسن انتاجها محليا • ولذلك فمن المقترح أن تنشأ فى سيناء فى المناطق الملائمة بعض مزارع أبقار الالبان ، عالية الادزار من اللبن ، وخاصة سلالة الفريزيان التى ثبت نجاح تربيتها فى المزارع الصحراوية لاسرائيل •• كما جاء بتقارير منظمة الاغذية والزراعة الدولية •

(أ) اما بالنسبة للدواجن ، فمن الممكن انشاء وحدات منتجة اقتصاديا لتزويد السكان ، والتوسع التعميرى الزرع فى المناطق المختلفة من سيناء نظرا لتمييزها بمناخ صحى ، وانزال تام عن العدوى ، مما قد يعطى ميزة نسبية لانتاج الدواجن فى مناطقها المختلفة ، حتى ولو نقلت اليها الاعلاف اللازمة •

(ب) تجهيز وتسويق اللحوم الافريقية ، ويمكن دراسة مشروع مع الهيئات الدولية المختصة لاعتبار شبه الجزيرة منطقة معزولة وخالية من الامراض البوائية ، التى تنتشر فى بعض البلاد

الافريقية القريبة منها ، وذلك لتنفيذ مشروع لاستقبال الابقار المستوردة من هذه البلاد ، بهدف تجهيزها هناك لتصدير الاجزاء الممتازة منها لاوروبا ، او غيرها ٠٠ والتي ترتفع فيها أسعار اللحوم البقرية بدرجة فاحشة ، فى الوقت الذى لا يسمح فيه باستيراد هذه اللحوم من افريقيا ، خوفا من انتشار الامراض الوبائية بين حيواناتها .

ومن مزايا هذا المشروع أنه يمكن تجهيز الاجزاء العادية من الحيوانات لاستهلاكها محليا ، أو توزيعها فى مصر بأسعار معتدلة ، هذا بالإضافة الى انشاء صناعات ثانوية مكملية للاستفادة من مخلفات هذه الحيوانات ، كالجلود وغيرها ٠٠ وكذلك الاسمدة العضوية لتخصيب المناطق الزراعية ، التى يتم فيها التوسع الزراعى فى شبه الجزيرة .

### ثالثا - الثروة السمكية :

تضم شبه جزيرة سيناء فى داخلها وشواطئها ، مصادر هامة للثروة السمكية ، ممثلة فى بحيرة البردويل ، وخليج الطنية ، وقناة السويس ، وخليج السويس . ولعل أهم هذه المصادر من ناحية الاولوية فى تنمية الثروة السمكية هى بحيرة البردويل ، التى كانت تعتبر منذ زمن بعيد ، منتجا هاما للاسماك البحرية ، وعلى الاخص أنواع البورى ، والطوبار ، والجران بالإضافة الى بعض الاسماك الاخرى كالدنيس ، والوقار ، والقاروس ٠٠ والتى كانت مصدرا هاما لمناطق مصر المختلفة .

وحسب الدراسات المبدئية التى قام بها معهد علوم البحار ، فان الانتاج السمكى لبحيرة البردويل قبل عام ١٩٦٧ لم يكن يقل عن خمسة آلاف طن من البورى . ومن المنتظر التخطيط لاستخدام شواطئ البحيرة فى الاستزراع السمكى ، وكذلك توصيل مياه الصرف للمناطق المزعم التوسع فيها ، والمتاخمة للبحيرات . فان

معدل انتاج الفدان من هذه البحيرات ، سوف يزداد حتى يصل الى ما يزيد عن الطن الواحد ، حيث تتوفر البيئة المناسبة لنمو هذه الانواع من الاسماك البحرية في هذه البحيرة بخلاف بحيرات الدلتا . ولما كان اجمالي المساحة المقدرة لهذه البحيرات حوالى ١٦٠ ألف فدان ، فان برنامج تنمية مثل هذه البحيرة ، سيوفر كميات كبيرة من الاسماك الممتازة البحرية ، التى يشتهد عليها الطلب ، ويمكن أن تساهم الى درجة كبيرة فى سد النقص البروتينى . لا فى سيناء فقط ، بل فى مصر كلها . هذا فضلا عن احتمالات ادخال أنواع أخرى من الاسماك والقشريات ( كالجمبرى ) للاستهلاك المحلى والتصدير .

### ● ● ● ونأتى الى الامكانيات البترولية . .

قصة البترول فى سيناء ، بدأت مع بدايات هذا القرن عام ١٩١٠ حيث ظهر البترول لأول مرة فى حقل (أبو دربة) سنة ١٩٢١ الا أن الحقل كان فقيرا ، فتوقف الانتاج وهجر عام ١٩٤٥ ، حيث بلغت جملة انتاجه ١٢ ألف طن .

والواقع أن البحث عن البترول على نطاق واسع ، لم يبدأ فى مصر عامة - وسيناء خاصة - الا فى عام ١٩٣٥ . وهذه هي الفترة التى ظهر فيها البترول أيضا ، وبدأ استخراجه داخل شبه الجزيرة العربية ، ومنطقة الخليج العربى على وجه التقريب .

ولقد بدأ البحث عن البترول فى سيناء ، فى منطقة وسط وشمال الجزيرة . وحتى عام ١٩٤٨ قامت شركة ( ستاندرد أويل ) ، وهى فرع للشركة الكبرى بهذا الاسم بنيسوجرسى فى أمريكلا ، بعمليات مسح شاملة لمناطق سيناء . وبالرغم من عثورها على الزيت ، فقد انسحبت الشركة وتخلت عن تراخيص البحث الستة عشر الممنوحة لها .

ثم تكونت الشركة الاهلية المصرية للبترول في عام ١٩٥٢ ، وتولت القيام بأعمال التنقيب . ثم حلت محلها الشركة الشرقية للبترول . وفي عام ١٩٥٥ اكتشف حقل ( بلاعيم برى ) ، وفي سنة ١٩٥٧ اكتشفت حقل ( أبو رديس ) . وعندئذ قفز انتاج البترول في سيناء ليتفوق على انتاج الصحراء الشرقية ، على الناحية الاخرى من خليج السويس .

ثم توالى الاكتشافات في صندر ، حتى أنه في نهاية عام ١٩٦١ قدر الاحتياطي في هذه الحقول بحوالى ٤٢ مليون متر مكعب ، بالإضافة الى أربعة ملايين في حقل أبو رديس .

وفي ٢٠ أبريل ١٩٦١ تدفق الزيت من ( بئر بلاعيم البحرى ) بمعدل ١٦٠ برميلا في الساعة . والزيت المتدفق بلغت كفافته حوالى ٣١ درجة . ومعنى ذلك أن كمية المشتقات من هذا الزيت كانت أعلى من ( بلاعيم برى ) . بل اعتبر هذا الزيت من أجود الانواع في مصر .

وفي عام ١٩٦٧ قفز انتاج سيناء البترول ليصبح ٨٠٪ من اجمالى انتاج مصر . وأهم حقول البترول في سيناء هي : بلاعيم برى ، وبلاعيم بحرئ تحت مياه خليج السويس . وأبو رديس ، وسندر ، وعسل ، ومطارمة ، وفيران . وكلها توجد في القطاع الغربى من جنوب سيناء بمحاذاة خليج السويس .

ثم كان عدوان يونيو ١٩٦٧ ، واحتلال اسرائيل لمناساطق البترول في سيناء ، واستنزافها لموارده . فقد استخدمت اسرائيل هذه الحقول منذ العدوان ، وحتى عودتها الى مصر ، بحيث ضخّت منها البترول بأقصى طاقة ممكنة . لدرجة أن أرباحها من بترول مصر بلغت عام ١٩٧١ وحده ١١٠ ملايين جنيه استرلينى .

وقد عاد تعامل مصر مع حقولها منذ اتفاقية الفصل الثانية عام ١٩٧٥ ، وبدأت تعمل جادة في تنمية هذه الحقول ، وزيادة

انتاجها ، بالإضافة الى تكثيف العمليات للبحث عن حقول جديدة ،  
واصلاح ما أفسدته فترة الاحتلال الاسرائيلي . كما أن مصر بدأت  
التعاقد مع الشركات البترولية العالمية ، وتعطى امتيازات للتنقيب .  
ومن هذه الشركات :

١ - الشركة الدولية للزيت المصري ، وهي فرع للشركة  
الايطالية ( اينى ) ٥٥ وتنقب فى مساحة ٢٤٥٠ كيلو متر .  
٢ - شركة جلغف أويل الامريكية ، وتنقب فى مساحة ٢٤٥٠  
كيلو متر .

٣ - شركة كونوكو الامريكية ، وتنقب فى مساحة ٣٦٥٠  
كيلو متر .

٤ - شركة موبيل أويل الامريكية ، وتنقب فى مساحة  
ألف كيلو متر .

والحقيقة أن الدراسات تشير الى احتمال وجود الزيت والغاز  
فى منطقتى المثلث الجنوبي ، ومنطقة شمال سيناء . وهذا الاحتمال  
صار شبه مؤكد ، خاصة وقد عرف أنه أثناء الاحتلال اكتشفت  
اسرائيل بئر غاز بالقرب من رفح . كما أن مصادر أمريكية قد  
أذاعت فى ديسمبر ١٩٧٧ أن حقلا بحريا قد حفرته شركة أمريكية  
متعاقدت مع قوات الاحتلال . وأن هذا الحقل يبعد ٨ كيلو مترات  
جنوب شرق الطور . وهذا البئر أنتج بمعدل ٢٥٠٠ برميل  
يومية وهو حقل بترول علما . . . التى جلت عنها اسرائيل خلال  
عام ١٩٧٩ ، وتسلمته مصر .

وقد قيل بعد لك ، أن الشركة الامريكية بدأت الانتاج منه فى  
مارس ١٩٧٨ بمعدل ٣٠ ألف برميل يوميا . وهذا الحقل يضم  
١١ بئرا احداها غير منتجة . والتقديرات ترى أن هذا الحقل فى  
امكانه أن يدر ٤٠ ألف برميل يوميا .

أما فى شمال سيناء فقد أذاعت مصادر اسرائيلية وأمريكية



نبأ اكتشاف الغاز الطبيعي فى القطاع الشمالى من سيناء ، وأن إسرائيل حفرت بئرا لاستغلال فى المنطقة الواقعة على بعد ٤٥ ميلا جنوب غربى مستعمرة ياميت القريبة من رفح .

ولا شك أن عودة سيناء الى الوطن سيتيح الفرصة للعمل على تنمية الثروة البترولية والغازية الموجودة فى منطقة المثلث الجنوبي، ومنطقة شمال سيناء والتوسع فيها ، لدراسة احتمالات وجود البترول والغاز الطبيعي فى باقى قطاعات شبه الجزيرة ، وأفضل السبل للبحث عنها واستغلالها .



ونختتم هذا الفصل بالجديد عن كنوز السياحة فى سيناء . من خلال تقارير المجالس المتخصصة ، ومن خلال مصادر متعددة تناولناها .

ويمكن تقسيم سيناء الى منطقتين سياحيتين :

**اولهما - المنطقة الجنوبية ، وتشمل الآتى :**

(١) **منطقة المفارة ،** فى وادى سدر شرق خليج السويس ، حيث تعتبر النقوش الفرعونية بها أقدم وثائق للسياحة الثقافية فى شبه الجزيرة . وهى تبلغ ٤٥ نقشا ، منها ٢٢ تنتمى الى الدولة القديمة الفرعونية ، و ٢٠ نقشا تنتمى الى الدولة الوسطى . واثنان يعودان الى الاسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة . وجدير بالذكر أن لهذه النقوش الكثير من النماذج فى المتحف البريطانى . وقد تهشم نصف هذه النقوش عسلى يد شركة إنجليزية كانت تحاول استخراج الفيروز فى أوائل القرن العشرين ، أما النصف الآخر ، فقد نقل الى المتحف المصرى منذ بداية القرن .

وبالإضافة الى النقوش الفرعونية ، توجد الآلاف من النقوش النبطية ، واليونانية ، والعبرية ، والعربية . فى (وادى مكتب )

٠٠ وهذه ترجع الى عصور مختلفة ٠٠ وللنقوش النبطية أهمية خاصة ، حيث تؤكد تلاحم مصر العربية ، اذ أن الانباط عرب ، هاجروا من وسط شبه الجزيرة العربية حوالي ٥٠٠ ق.م ٠ واستوطنوا المنطقة التي تفصل بين الشام والجزيرة العربية ، وتمتد من الفرات الى البحر الاحمر ٠ وقد عاشت دولة النبط حتى عام ١٠٦ ميلادية ٠

(ب) منطقة سرايت الغادم : وهذه المنطقة تزخر بالنقوش والآثار والمعابد ، التي تعود الى الاسرة الثانية عشرة الفرعونية وما تلاها من اسرات ٠ ويبلغ عدد هذه النقوش حوالي ٢٨٧ نقشا تنتمى للدولتين الوسطى والحديثة ٠

وهناك معبد شيدته الفرعون ستوسرت الاول ، أضيف اليه هيكل للاله ( سيد ) في عهد امنمحات الرابع ، وقد نحت هذا الهيكل في الصخر ٠ بالاضافة الى هيكل للالهة ( حتحور ) ٠ كما أقيم هيكل للفراشة منفصلا عن المعبد ٠

ثم توجد أيضا النقوش السينائية ، التي تعتبر الاصل لكل الابدجديات ٠ وقد كتبها العمال الذين كانوا يشتغلون في المنطقة ، عن طريق اختزال المقاطع الهيروغليفية ، والاكتفاء بالحروف الاولى من أسماء الصور التي تعبر عن المعنى ٠ ومن مجموع تلك الحروف ، تكونت الابدجية السينائية من اثنين وعشرين حرفا ، ثم انتقلت هذه الابدجية الى الشرق ، ومنها نشأت الكتابات الفينيقية ، التي هي أصل السينائية ، كما يقول ابراهيم أمين غالي ، وهي أصل الكتابة الآرامية ، التي أخذتها عنها الكتابة النبطية ، والتي هي أصل الخط العربي ٠

(ج) وفي المنطقة الجنوبية يوجد جبل موسى ، وجبل سربال ٠٠ حيث يشتركان في القداسه ، لان نبي الله موسى الكليم قد تلقى كلمات الله جل جلاله في تلك المنطقة ٠٠ ويرجح أن جبل سربال هو المقصود ( بالجبل ) في القرآن الكريم ٠

(د) دير سانت كاترين ، ويقع فى سفح جبل موسى ،  
وستعرض للحديث عن الدير فى فصل فادم .  
(هـ) عيون موسى ، وحمامات فرعون . ويقولون ان عيون  
موسى لها ذكريات تاريخية دينية . كما تمتاز حمامات فرعون فى  
وادي غرنديل بياهاها الكبرى .

وقد سجل علماء الحملة الفرنسية بيانات هامة عن تلك  
المنطقة . وفيل ان الجنرال بوناپرت اكتشف بمنطقة العيون نرعة  
كانت مغمورة . وأن مياه العيون كانت تنقل حتى شاطئ خليج  
السويس . كما لاحظ أن المنطقة بين العيون وساحل البحر كانت  
مزروعة ومخترة .

(و) طريق المحمل القديم ، وهو الطريق البرى الذى كان  
يسير فيه الحجاج أيضا . ويمتد من عجرود - غربى السويس -  
الى النواطر ، الى بئر القريص ، الى نقب دبة البغلة . ثم نخل .  
فوادى القريص ، فالعقبة . ومن هناك الى أرض الحجاز . وهذا  
الطريق يضم طائفة من الآثار الملوكية ، منها أثر للمسلطان  
الغورى فى نقب دبة البغلة . كما أنه فى نخل مجموعة من الآثار،  
أهمها القلعة التى بناها السلطان الغورى فى عام ١٢١٦ . كما  
بنى هذا السلطان قلعة أخرى فى العقبة ، تشير نقوشها الى أن  
السلطان العثمانى مراد الثالث قد قام بترميمها عام ١٥٩٥  
ميلادية .

وجدير بالذكر أن بداية استخدام هذا الطريق للحج عام  
١٢٤٨ ميلادية حين سافرت فيه الملكة شجرة الدر . وفى عام  
١٢٦٦ بدأ سير المحمل فى هذا الطريق على عهد السلطان الظاهر  
بيبرس .

(ز) طريق الخروج ، وهو الطريق الذى سلكه النبی موسى  
عليه السلام ، حتى وصل الى الجبل المقدس . وستحدث عنه فى  
حينه .

## ثانيهما - المنطقة السياحية الشمالية ، وتشمل الآتى :

١ - الطريق الحربى العظيم •• كما يسميه العالم الاثرى  
د• أحمد فخرى • وهو الطريق الذى يبدأ عند القنطرة ، وينتهى  
عند مدينة رفح • وهو أعرق الطرق التاريخية فى العالم ، ويسمى  
أيضا ( طريق حورس ) • وقد شهد من أحداث التاريخ ومعاركه ،  
ما لم يشهده أى طريق آخر •

وهذا الطريق كما يقول د• محمود كامل فى بحث له  
بالاهرام فى أبريل ١٩٧٩ ، قد شهد معارك وأحداث تاريخية غيّر  
من معالم تاريخ سيناء • فهو الطريق الذى سلكه تحوتس الثالث  
فى الفترة من ١٤٧٩ ق.م • وقد سجلت حملة تحوتس يوما بيوم  
على جدران معبد آمون فى الكرنك • والنقوش تقول ان الحملة بدأت  
من قلعة ( سيل ) ، ومكانها الآن تل ( أبو صيفة ) على ميسنة  
حوالى ٣ كيلو مترات شرقى القنطرة • ثم يتجه الطريق شمالا الى  
المجدول ( تل الجير حاليا ) ، وهى جنوب الفرما مباشرة • ثم يمر  
برمانة ، ثم الى الحصن الذى كان منسوبها الى سيتى ، ثم نسب الى  
رمسيس الثانى • والحصن مكانها ( قطية ) • وقد أطلق عليها  
مؤرخو اليونان ( معسكر الاسكندر ) •• لان هذا القائد اليونانى  
عسكر فيها بعد تحركه من غزة الى مصر بسبعة أيام • وسبب  
توقفه فيها أنها كانت بها آبار غزيرة المياه •

ومن ( قطية ) يتجه الطريق الى بير العبد ، جنوب بحيرة  
البردويل ، ثم الى ( بير مزار ) جنوب الفلوسيات التى تقع على  
البحر المتوسط عند أقصى الطرف الشرقى لبحيرة البردويل • وفى  
هذه المنطقة يلتقى الطريق الحربى العظيم بالطريق الذى يدور  
حول شمال البردويل •

ومن بير مزار يتجه الطريق الى العريش ، فالشيخ زويد ، ثم  
رفح • وهذا الطريق اجتازه قبيز ملك الفرس فى غزوه لمصر عام

٥٢٨ ق ٠ م . وعلى مشارف هذا الطريق عند الفرما ( بيلوزيوم ) . .  
وعلى معبدة بضعه كيلو مترات ، شرقى بور سعيد ، استجبت جيوش  
كليوبانرا مع الجيش الرومانى عام ٤٨ ق ٠ م . وعسكر الجيشان  
حتى جاء القائد الرومانى بومبى ، وقيل انه قتل ودفن هناك .  
وقيل أيضا أن بطليموس الفلكى والجغرافى اليونانى ولد هناك  
عند الفرما .

وعبر هذا الطريق قيل ان العائلة المقدسة سارت فيه الى مصر  
من رفح الى الفرما ، وقد توقفت فى العريش ، ومسلكت طريق  
شمال البردويل . ثم توقفت مرة أخرى عند كنيس القلس ، التى  
تقوم مقام بلدة ( كاسيوس ) الرومانية . ثم سارت الى المحمدية ،  
فالفرما عبر الطريق التاريخى .

كما أن هذا هو الطريق نفسه الذى سلكته جيوش العرب  
المسلمين بقيادة عمرو بن العاص عند فتحه لمصر . فقد تسلمت  
الجيوش العربية مدينة الفرما فى ٢ يناير ٦٤٠ م . بعد حصار  
دام شهرا . وهو أيضا الطريق الذى سلكته غزوة العبادلة لفتح  
شمال أفريقيا عام ٦٤٤ م . فى ولاية عثمان بن عفان . وكانت  
الغزوة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وتضم عبد الله بن  
عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد  
الله بن عمرو بن العاص . . . والحسن والحسين سبطى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .

وفى الغزو الصليبي لمصر هاجمها الصليبيون عبر هذا الطريق .  
كما أن هذا الطريق سلكه العثمانيون ، ومسارت فيه جيوش  
الجنرال يونابرت .

ولما أرادت مصر تحقيق وحدة المشرق العربى ، اتخذت  
الجيوش المصرية ( ١٨٢١ - ١٨٢٣ ) نفس الطريق .  
وهذا الطريق العظيم ، وصفه كثيرون . وابن بطوطة الذى

عبر الطريق في القرن الرابع عشر الميلادي ، متجها من مصر الى فلسطين ، يقول بعد وصوله الى العريش :

( والعريش والخروبة ، بكل منزل فيها فندق ينزله المسافرون بدوابهم ، وبحارج كل خان سارية للسبيل ، وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته • ومن منازلها قطية المشهورة •• وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم ، ويبحث فيما لديهم أشد البحث • وفيها الدواوين والعمال والكناب والشهود • ومجباها في كل يوم ألف دينار من الذهب ، ولا يجوز عليها أحد من الشام الا ببراءة من مصر ، ولا من مصر الا ببراءة من الشام ، احتياطا على أموال الناس •• )

٢ - آثار ما قبل العصر الحجري القديم في ( أبو عويجلة ) وفي ( بير الحسنه ) •• بالإضافة الى آثار من العصر الحجري المتوسط والاعلى في صحراء التيه وسط سيناء •

٣ - ميادين المعارك التي جرت • وهي كثيرة ، وبصفة خاصة ميادين معارك حرب أكتوبر العظيمة •

وفي بحوث المجالس المتخصصة حول السياحة في سيناء أيضا ، فانه يمكن في المنطقة الجنوبية اقامة مشروعات للسياحة الدينية والثقافية ، والتي تتمثل في مسار ( الخروج ) • وطريق الحج أو درب الحج •• ثم مناطق الجبال والينابيع المقدسة •• بالإضافة الى دير سانت كاترين •

أما السياحة العلاجية الاستشفائية ، فتتمثل في مناطق كثيرة ، من سيناء ، مثل منطقة حمامات فرعون ، حيث المياه الكبريتية التي تفوق مياه عين حلوان الكبريتية •

وبالنسبة للسياحة الترفيهية ، فمجالها كثير ، وخاصة على شواطئ خليج السويس ، ومنطقة شرم الشيخ . . وهذه المنطقة الأخيرة استغلتها إسرائيل وأقامت فيها فندقا عالميا لنوى الدخول الكبيرة ، وأقامت بها مشفى ومصيف . ولهواة الصيد الكثير من المناطق لمزاولة هذه الهواية . . وخاصة في بحيرة البردويل ، وشواطئ خليج السويس ، وخليج العقبة . . حيث الشعب المرجانية .





## الفصل الثاني عشر

قلس اقداس مصر

وأرض الانبياء



إذا كانت سيناء سفر وضيء في تاريخ مصر السياسي والصكري .. فهي بلا شك أرض الذكريات الروحية .. تشرفت رمالها وسبخاتها وتلالها وجبالها بذكريات عزيزة على كل مسلم ومسيحي ويهودي . بل هي أيضا وقبل ديانات التوحيد قد كانت حلبة هامة للمعتقدات التي أزهقت بالتوحيد .. أو لتلك المعتقدات الوثنية التي شاهدها العصر القديم .

وقبل أن نتحدث عن ديانات التوحيد ، وأنبيائها الذين شرفوا سيناء ، نتحدث عن تلك الأرواحات والمعتقدات التي كانت فيها .

والواقع أن أرض سيناء ، كما وصل إليها في التاريخ القديم المكتوب ، قد كانت علاقتها بوادي النيل ، بما يمكن أن نسميه تجارة المعتقدات ، أن صبح التعبير ، وتوحد أو امتزج المعتقدات أيضا .

فبالقرب من « أبو زينة » .. توجد آثار تعود إلى حوالي ستة آلاف عام ، منها الآثار المعروفة بآثار وادي المغارة ، ثم هيكل سرابيت الخادم .. وفي جنب وادي « اقنة » الإيمن في منطقة وادي المغارة أيضا ما يدل على أن المصريين القدماء ذهبوا إليها ، وقاموا بالتعدين فيها ، لاستخراج الفيروز ، منذ بداية الدولة القديمة في مصر ، وحتى الأسرة العشرين في الدولة الحديثة الفرعونية . ففي هذا الوادي ترك الفراعنة « نصبا » وصخرات عليها نقوش هيروغليفية - دينية .

والفيروز بالنسبة للمصريين القدماء ، بدأ كمعدن مرتبط بمعتقدات الفراعنة ، وخاصة بالنسبة للحياة الأخرى ، التي كان المصريون يعملون لها ألف حساب وحساب .. حيث اعتقادهم

بالبعث بعد المئات ، وحيث محكمة العالم السفلى التى يرأسها الآله أوزيريس . . الذى يزن حسنات الميت وسيئاته ، ويحكم بالعدل ، الذى افتقد فى الحياة الدنيا . . وكان الفيروز تصنع منه «التوائم» التى تدخل فى الاثاث الجنائزى للميت ، فكانوا يصنعون منها تماثيل « الاوشابتي » . . كما كانوا يدخلون الفيروز فى الكثير من المجوهرات التى تدفن مع الميت . . على اساس ان هذا المعدن يطرد الارواح الشريرة ، ويقي الميت الكثير . ومن يتفحص تابوت توت عنخ آمون وقناعه الذهبى الشهير ، مثلا . . يجد الكثير من قطع الفيروز التى تزينه . . بل ان الفيروز ظل بعد ذلك فى عصر التوحيد معدن له دلالاته وتأثيراته . . حتى ايماننا هذه ، خاصة فى المجتمعات البدوية والقروية . ومن يقرأ كتاب : « مجوهرات البدو فى المملكة العربية السعودية » الذى ألفته الباحثة الانجليزية هـ . كولير روس يجد فيه الكثير من استخدامات البدو للفيروز . والكتاب مطبوع فى لندن عام ١٩٧٨ .

وكما هو ثابت تاريخيا فان الفيروز وتجارته واستخراجه يعود الى « المونييتسو » . . أو الى « أسبياد الرمال » . . أو « الهيرشاييتو » . . وهى اسماء لاهل سيناء القديمة ، أو عند « العمالقة » كما سمىهم التوراة . . أو « الاعراب بنو اسماعيل » . . كما عرفوا منذ القرن السادس الميلادى .

والواقع ان « الهيرشاييتو » ، وهم سكان بلاد الطور الاصليون منذ فجر التاريخ ، قد اكتشفوا هذا المعدن الأزرق ، وكانوا يبيعون الفيروز للفراعنة . وحين تأكد للفراعنة أن الفيروز مادة لاغنى عنها وترتبط بالمعتقد حرك ذلك فيهم الاسسثيلاء أو السيطرة على مصادره . . فكان هذا هو سبب تلك الحملات الفرعونية الى سيناء ، لكى يطمئنون الى مصدر هذا المعدن المبارك ، حيث بدأوا بالسيطرة على وادى المفارة أولا ، ثم سيطروا ، ثانيا ، على منطقة سرايتت الخلام .

وقد ذون الفراعنة نشاطهم في سيناء على عدة صخورات ، منهم « سمرخت » ٥٢٩١ - ٥٢٧٣ قبل الميلاد . وسمرخت هو سابح ملوك الاسرة الاولى الفرعونية . وعلى هذه احدى الصخورات يبدو الفرعون وعلى رأسه تاج مصر السفلى . ثم رسم آخر له بدون التاج ، ورسم ثالث على هيئة مصر العليا بلا تاج وقصد قبض بيسراه على ناصسية أحد الساميين ، وبيميناه عصا يؤدبه بها . . . اشارة الى اخضاع تلك المنطقة .

والواقع ان صخرة سمرخت تعتبر من اقدم آثار الفراعنة في سيناء ، بل هي - كما يقال - اقدم اثر في العالم كنه . . . وقد تركت باقية - حتى عدوان ١٩٦٧ - في مكان حصين يعلو ٤٠٠ قدم عن سطح الوادي ، بعيدا عن طريق المارة .

وهناك لوحة للفرعون سفرو ، وهو يسسك بهراوة يضرب بها سامي ، وهذه اللوحة محفوظة في المتحف البريطاني في لندن . ومكتوب عليها : « مسفرو الاله العظيم ، فاتح البلدان وواهب القوة والثبات والصحة والحياة وراحة البال الى الابد » .

ونأتى الى هيكل سراييت الخادم . . الذي قال عنه السير فلندرز بتري ، انه هيكل مهم جدا ، ليس للنقوش الهيروغليفية عليه وحسب ، وانما لسببين جوهريين هما :  
**الاول :** ان المصريين القدماء في هذا الهيكل مارسوا الطقوس المصرية . . لا السامية .

**الثاني :** ان العمال الساميين الذين استغلهم المصريون في التعدين في سراييت الخادم ، كانت لهم كتابة خاصة ، لا تزال الى الآن سرا يحتاج الى ازالة النقاب عنه .

ايضا في سراييت الخادم يوجد كهف للاله هاتور ، يعود بناؤه الى عصر الفرعون سنفرو ٤٧٥١ قبل الميلاد ، وسنفرو كما أسلفنا هو من الاسرة الثالثة الفرعونية ، وهو أول فراعنة مصر الذين أرسلوا الحملات للتعدين في سراييت الخادم .

كما يوجد كهف آخر لآله اسمه « سويدو » .. إله الشرق ، وكان من أشهر الآله .. وهذا الكهف يعود الى عصر المملكة حتشيسوت ١٥٠٣ قبل الميلاد . وكان من عادة الملوك بناء الهيكل ، حتى يبلغ طوله ٢٣٠ قدما ، وعرضه من ١٥ الى ٤٥ قدما ، وله سور من الحجارة ، طوله ٨٠ مترا وعرضه ٣٥ مترا ، وسمك الحائط ٢٦ سنتيمترا . وكل ملك كان يزيد فيه غرفة ، يقيم امامها « نصبين » يدلان على مدخل الهيكل ، أو « الغرفة » . ويرى اللواء الجوهري ، أن تسمية « سرايت الخادم » ، تأتي نسبة الى « السربوت » . والسربوت في عرف أهل سيناء ، هو الصخرة الكبيرة القائمة بنفسها وجمعها « سرايت الخادم » ، والخادم عندهم الجارية السوداء . ولعلهم نسبوا هذه السرايت الى الخادم ، لان الصور التي في الهيكل لاشخاص تشبه الخدم السود . أما غرف الهيكل ، فكان عمال التعدين ينامون فيها ، وجاء منهم الى سيدة الهيكل وسيدة الفيروز ان تهديهم في أحلامهم الى الاماكن التي يكثر بها الفيروز لكي يقوموا باخراجه .



والحقيقة أنه منذ مشرق التاريخ ، وهناك تبادل زيارات بين سيناء ووادي النيل ، حتى من قبل حملات الفيروز . فقصد كانت شبه الجزيرة تمر عليها عصور قفرة ، ولا تسقط عليها الامطار ، فتتضب الآبار .. مما يجعل « الشاسو » والهروشائتو ، يهاجرون الى الوادي .

وهناك قصص قديمة تثبت أن مصر كانت تتعامل مع هؤلاء وتؤدبهم .

ففي لوحة من الأسرة الاولى الفرعونية تسجل مجيء بعض البدو اللاجئين الى فرعون مصر يطلبون البقاء في وادي النيل ، فيأمر الفرعون ببقائهم . وهناك نص أورده اليكسس مالون في كتابه « اليهود في مصر » ، يقول : « ان عددا من سكان سيناء

جاءوا الى فرعون ، لانهم لا يستطيعون العيش فأواهم .. وفقسا  
للتقاليد الموروثة من آباء الآباء » . وهذا يعنى الامتزاج بين سكان  
سيناء والوادي ، حتى من قبل الدولة القديمة الفرعونية .

بل ان التاريخ يذكر الكثير من غزوات البدو للدلتا ..  
وكانت تجذبهم اليها الخضرة والمياه ، فكانوا ينجحون في الاستيلاء  
على الكثير ويعودون ومعهم غنائمهم الى الصحراء ثانية .

لكن العلاقة بين سيناء والوادي بصسفة عامة ، ظلت علاقة  
امتزاج سلمى في غالب امره ، وخاصة منذ الاسرة الثانية عشرة  
الفرعونية .. حتى ان حملات الفيروز - او الحملات الملكية كما  
كانت تسمى - لم تضم بين صفوفها عسكريين . وهذا كما يرى  
الآن جاردنر ، وايريك بيت في كتابهما « نقوش سيناء » ، دلالة  
دامغة على مقدار النفوذ الذي كانت تتمتع به مصر في سيناء ،  
وعلى قدرتها على فرض سيادتها على سيناء ، دون الالتجاء الى  
استخدام القوة ..

ويدل على ذلك أيضا أن العبادة كانت مشتركة ، وأن الآلهة  
كانت واحدة ..

ففي معبد سراييت الخادم ، ترك العمال الساميون الذين  
ساعدوا في استخراج الفيروز - جنبا الى جنب مع المصريين - نقوشا  
تدل على أنه كانت لهم كتابة خاصة ، ربما كان يعرفها المصريون ،  
بل انه في عهد الاسرة الحادية عشرة ، نجد صخرة في وادي  
المغارة ، تصور احد فراعنة هذه الاسرة ، واقفا امام آلهة سيناء  
« توت » و « هاتور » ، مع عبارة تقول « في تلك المغارة وجد  
الفيروز اللامع » .

وجدير بالذكر أن « هاتور » - وهي عشتروت الفينيقية -  
لعبت بسيدة الفيروز ، وسيدة ارض الفيروز ، والسيدة ذات  
اللون الجميل ، كما لعبت سيناء بلقب هذه الآلهة .

كذلك فإن الآله « صفدو » عنده المصريون القدماء وأهل سيناء ، ونحتوا لها كهفا في الصخر ، بجانب « هاتور » .

ومن الآثار التي عثر عليها في سراييت الخادم ، نبتت عادة حرق القرابين أمام هاتور . بل أن عبادة صفدو ، امتزجت بعبادة حورس ، فمثل على شكل صقر . . إلا أنه أحيانا كان يأخذ شكلا بشريا بلحية كبيرة ، ويحمل ريشتين كبيرتين على جانبيه ، فيبدو على هذا الشكل أنه معبود سيناء .

وقد لاحظ كثير من العلماء الذين اهتموا بسيناء ، أن اختلاط العناصر السامية بالعناصر المصرية ، قد أدى إلى وجود أعداد كبيرة من « التوتومات » الصحراوية في مصر . . وهذه « التوتومات » . . كانت في أصلها عبارة عن شعار مميز لكل قبيلة ، كانت تتخذ وتستبشر به ، وتعتبره حاميا وسبب وجودها . ومانع الشر عنها . وكانت هذه « التوتومات » على أشكال مختلفة من الحيوان أو الطير أو غيرها ، أو مجرد قطع شائعة الاستعمال . وقد وجد في منطقة وادي المغارة نقش ، بجانبه ملكة مصر تقسم قربانا إلى الآله « صفدو » ، وإلى الآله « توت » معبود جبل المغارة .

ولماذا نذهب بعيدا للتدليل على الرأي الذي قلناه حول امتزاج الآله والمعتقدات . فأقدم أثر مصري في سيناء هو معبد سراييت الخادم ، الذي بناه المصريون . وهو أول دليل ، بل وأبلغ دليل ، على أن المصريين القدماء مارسوا في هيكله الطقوس السامية . وهذا الهيكل كما أسلفنا كان مخصصا لعبادة الآلهة هاتور . . وكانت به غرف لعبادة « صفدو » . وقد ظل معبد سراييت الخادم على حاله ، إلى أن غير ملوك الأسرة الثامنة عشرة شكله واتجاهه . . وقد أخذ شكله النهائي الذي وصل إلينا منذ عهد رمسيس الثاني .



وهناك رأى المؤلف « سينياء المصرية » يقول : انه مما يلفت  
 الانظار فى معبد سرايت الخادم أن الانصاب - جمع نصب -  
 ومن حولها دوائر الحجر داخل سور الهيكل وخارجه ، تشبه  
 المراقد التى كان اليهود يسمونها قديما « بيت ايل » اى مقام  
 الاله . وكانت عادة الساميين انه اذا طلب احدهم الشفاء من  
 مرض أو أراد انقاذ نفسه من شر أقام فى الهيكل ونام به . وهذا  
 حدث عندما خرج يعقوب من بئر سبع فرارا من اخيه ، ونام .  
 ثم استيقظ من نومه وقال : حقا أن الرب فى هذا المكان ، واخذ  
 الحجر الذى وضعه تحت رأسه ، واقامه عمودا ، وصب زيتا  
 على رأسه ، ودعا اسم المكان « بيت ايل » . . اى بيت الرب  
 أيضا .

أما الهيكل نفسه — هيكل سرايت الخادم — فمما يلفت  
 النظر ، أنه يشبه « خيمة الاجتماع » ، التى صنعها سيدنا  
 موسى عليه السلام فيما بعد فى جبل سيناء . ان وجهه الشبه  
 كبير بينهما . فقد كانت خيمة الاجتماع أو خيمة الشهادة كما  
 تسمى أيضا ، هيكلًا متنقلًا - فى العقيدة اليهودية - من خشب  
 السنط وعمد النحاس ، ونسجيج الشعر وغيره . وكانت  
 مقسمة الى قسمين : القدس . . وقدس الاقداس ، وبينهما  
 حجاب من النسجيج . .

وهذا يعنى ، بل هو دليل كبير ، على أن التقليد الدينى  
 فى الطقوس اليهودية كان موجودا فى شبه جزيرة سيناء قبل  
 مسيرة بنى اسرائيل الى سيناء ومصر ، فقدس الاقداس ،  
 يقابله « الهيكل » . وفى الخيمة مذبح البخور ، والمرخصة :  
 ومذبح المحرقة . . كما فى هيكل سرايت الخادم .

وهذا يؤدى ، كما يقول صاحب كتاب « سينياء المصرية »  
 الى القول ، بأن النبی موسى عليه السلام قد يكون اخذ طقوس

العقيدة الموسوية من التقاليد الموجودة في سيناء ، وهى تقاليد  
مصرية بالدرجة الأولى ..

وقد يكون هذا صحيح .. اذا عرفنا أن موسى كان ربيب  
بيت فرعون ، ولا بد أنه علم بهذا المعبد في سيناء وزاره ..  
كما زار وشاهد معابد مصر المماثلة ..

لكن هناك اختلاف بين خيمة الشهادة ، وهيكل سراييت  
الخادم .. وذلك أن سيدنا موسى جعل باب الخيمة متجها الى  
الشرق ، لا الى الغرب كما في معبد سراييت الخادم . ومن  
المعروف أن هيكل سليمان الذى بنى بعد خيمة سيدنا موسى  
بحوالى ٥٠٠ سنة ، هو ايضا على غرار الخيمة .. وهذا  
يحمل على الاعتقاد أن هيكل سليمان قد بنى على غرار معبد  
سراييت الخادم .

والرأى الذى يقال هنا ان اثر مصر عميق فى الطقوس  
العبرية ، وأن امتزاج العقائد المصرية بالسامية خلق تراثا مشتركا،  
حاول الاسرائيليون التخلص منه طوال تاريخهم ليشيدوا أسطورتهم  
التي تقول بأنهم شعب الله المختار وحده ، ولا شعب غيرهم اختاره  
الله .. لكن التاريخ والاثار تقف لهم بالمرصاد ، وتفند دعاواهم ..

## ابراهيم وساره

ثم نأتى الى سيناء ارض الانبياء ، وديانات التوحيد ..  
وبدا سيناء تاريخها الايماني بسيدنا ابراهيم ابو الانبياء ..  
وفي التوراة .. بدءا من الاصحاح الثانى عشر ، فى سفر  
التكوين .. تقول حول سيدنا ابراهيم فى سيناء ومصر : انه بعد  
ان « قال الرب لابرام اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت  
ابيك الى ارض التى اريك » .. نرك ابراهيم ارض حلوان -  
أو بلدة «أور» الكلدانية ، وعمره خمسة وسبعون عاما ، وأخذ امرأته  
« ساراي » .. كما أخذ « لوطا » ابن أخيه . وخرجوا فى اتجاه  
أرض كنعان ، حيث ذهبوا الى مكان « شكيم » .. حيث انام مذبعا  
للرب ونصب خيمته .

وتضيف التوراة كذلك :

« وحدث جوع فى الأرض ، فأتحد ابرام الى مصر ، ليتغرب  
هناك ، لأن الجوع فى الأرض كان شديدا . ولما قرب ان يدخل  
مصر ، انه قال لساراي امراته انى قد علمت أنك امرأة حسنة  
المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امراته فيقتلونى  
ويستبقونك . قولى انك اختى ، ليكون لى خير بسببك ،  
وتحيا نفسى من أجلك » .

فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين راوا المرأة انها  
حسنة جدا . ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون .  
فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها .  
وصار له غنم وبقر وحيد وعبيد واماء واثن وجمال . فضرب  
الرب فرعون وبيته وجميعه ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام .  
فدعا فرعون ابراهيم وقال ما هذا الذى صنعت بى . لماذا لم تخبرنى  
انها امرأتك لماذا قلت هى اختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى .

والان هوذا امرأتك خذها واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامراته وكل ما كان له ، .

هذا ما جاء فى التوراة عن أبى الانبياء ابراهيم ، اقتطفنا منه البعض ، حتى لا نعثر فى التفاصيل وننوه ..

لكن التوراة برغم ذلك ، لم تذكر شيئا عن سيدنا ابراهيم فى سيناء حينما جاء من فلسطين ، ولا تلك البلاد التى مر بها ولا ملامح الطريق الذى سارت فيه قافلة ابراهيم . بل ان التوراة لم تفصح عن الفرعون الذى كان معاصرا لسيدنا ابراهيم .. وأن كان البعض يرى ان سيدنا ابراهيم جاء فى زمن الهكسوس . وهناك الكثير من الاضواء فى الكثير من الكتب وعلى رأسها القرآن الكريم والتوراة .. تلقى على مسيرة سيدنا ابراهيم ..

ان سيدنا ابراهيم عليه السلام ظهر فى بلدة « اور » الكلدانية ، وأنه رغم أنه نشأ فى قوم يعبدون الاصنام ، فقد أنشأه الله ( حنيفا ) . كان قومه يعبدون من الاصنام ( مردوخ ) ، وكان هذا الصنم هو سيد الآلهة فى بابل ، او رب الابواب لديهم . وكانوا يعبدون آلهة كثيرة مثل « نانا » او « سين » آلهة القمر ، والتى عرفت فى سيناء او سميت باسمها ارض سيناء فترة .. وهناك « عشتار » ، « وشماس » آله النور ، « تيامات » آلهة الفضاء ..

وفى كتاب عبد الحميد جودة السحار « محمد رسول الله » والذين معه ، وكتاب « قصص الانبياء » يقول : ان سيدنا ابراهيم عليه السلام ظهر فى بلدة « اور » الكلدانية . وان ابراهيم معناه « ابا القبائل » او « ابا الامم » : واه « ايمتال » ولدته من أبيه « آزر » . وقد ولدته فى سهولة ويسر . وكان جد ابراهيم ، واسمه « ناحور » ، وقد أراد ان يسميه باسمه ، لكن ايمتال قالت له : لقد جاءنى هاتف فى المنام ، وقال لى : سميته ابراهيم ..

وكانت ولادة سيدنا ابراهيم في « أور » ، وأبوه في بابل . وهو يصنع الاصنام ويبيعها . وقد كبر ابراهيم ، وهداه الله الى الحق ، وتزوج بسسارة ابنة عمه واسمه « هاران » . وخليل الله ابراهيم ، او خليل الرحمن ، هو اول المسلمين . اسلم الله رب العالمين . وقال لقومه اني برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين . راح ابراهيم ينذر قومه ، ويقول لهم انى برىء مما تعملون . . وكان على قومه ملك هو النمرود . .

وقد تبنى ابراهيم ابن اخيه « لوط » ، وأنشأه على التقوى . . وسيكون لوط من انبياء الله ، ليهدى قوما ضلوا السبيل .

بل ان ابراهيم ذهب الى الاصنام ، وبفأس راح يضربها ويحطمها . . الا كبيرهم وهو « مردوخ » ، فقد علق الفأس فى احدى اذنيه . .

وقبضسوا على ابراهيم ، وأودع السسجن . . حاكموه . وقالوا بعد محاكمته « حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » . واعدوا نارا كبيرة ، ألقى اليها ابراهيم بالمتجنيق وأطلق فى الهواء فوق فى الحميم . . وكانت النار بردا وسلاما على ابراهيم ، حتى لقد قيل ان الله طهر الارض مرتين ، مرة بالطوفان فى عهد نوح ، واخرى بالنار التى اججت ليلقى فيها ابراهيم . .



والقصة تقول ان خليل الله ابراهيم فر بدينه . . ومن آمنوا معه الى حاران - شمال العراق - وعبرت قافلتهما الفرات الى الشام ، ثم الى حلب . . التى قيل أنها سميت بذلك تخليدا للخليل الذى دز من انصام الرجل المبارك ابراهيم . ومن حلب رحل ابراهيم الى دمشق . وفى دمشق آمن به « اليعسازر الممشقى » ، وكانت دمشق تخضع للمصريين فى ذلك الوقت ، وكانت المعابد للاصنام شماس ، وبعل ، وعشتار ، وعنت ،

وسين ، أبو الهول . . وبقية المعبودات الفرعونية .

وقد حاول ابراهيم ان يهدى القوم هناك لعبادة الله الاحد الفرد الصمد . وهناك ايضا التقت قافلة مصرية بابراهيم ، وكان المصريون يفهمون لغة ابراهيم السامية ، التى هى من اللهجات العربية . كما أنهم كانوا يعرفون الآرامية ، خاصة أيام غزو الهكسوس لمصر « حقا وخاسوت » كما كان يسميهم المصريون القدماء .

وفى دمشق دار قتال بين المؤمنين والمشركين ، ودانت لابراهيم ومن معه مدينة دمشق . ثم سار الى وادى شكيم - نابلس الحالية - ثم الى ايلياء - بيت ايل - اى بيت الله . وفوق قمة الجبل شرق بيت آيل بنى ابراهيم محرابا ، واقام خليل الله عند « بلوطات ممرا » التى جاءت فى التوراة ، وهى الآن مدينة الخليل وهناك حقد الكنعانيون على ابراهيم ، وارسلوا الى ملك مصر .

وبلغ رسل الكنعانيين غزة ، حيث اشترخوا هدايا من اسواقها لامير مصر الجالس فى « اواريس » . ولرجال البلاط . وفى سيناء كانت الاشجار تغطى الارض ، وبعثات المصريين تجوب انحاءها للتنقيب عن النحاس والمعادن النفيسة . وكان الآله « سين » مكانة كبيرة عند العرب ابناء سام ، عبدوه فى بابل ، وفى أور ، وحاران ، واقاموا له معبدا فى سيناء ، وآخر فى أسوان . ووصلت رسل الكنعانيين الى ( بلوزيوم ) ، وقلعة « زل » .. ومنها الى الشرقية .. وكان سنان بن الاشمل بن عبيد - الذى أطلق عليه المؤرخ مانيتون اسم سنانيس - هو أول ملوك الهكسوس فى مصر ، وهو الذى أرسل حملة لتأديب بعض المؤمنين بآله واحد ، والذين التقوا بابراهيم ، والذين عرفوا باسم الصابئين .

ولكن ماذا عن الصابئين ؟

في ايلياء .. التقى سيدنا ابراهيم بالصابئين ، وكانوا قلة .  
وكانوا يؤمنون بالله فيل دعوه ابراهيم . وهم الذين اطلعوا على  
ايلياء احسم « بيت الله » ، وكانت شوائب وثنية مسد علفت  
بعقيدتهم . وقد جادلهم سيدنا ابراهيم ليظهر دينهم ..

وهؤلاء الصابئة كانوا في مصر منذ كان ( النبي ادريس )  
عليه السلام في منفس ، والذي قال القرآن الكريم في ادريس :  
« واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا » . وقد تلقى الصابئة  
من ادريس عقيدة التوحيد . ثم نلقوها على أيدي الاحبار الذين  
كانوا يدينون بالدين الذي بشر به ادريس ، فلما طال على  
المصريين الامل ، ونسجت الاساطير حول ادريس ، وصورة  
المصريون في صورة « اوزوريس » .. تحول المصريون عن الدين  
القويم الذي نزل على ادريس الى العقائد التي ابتدعها الكهنة  
.. فهاجر المؤمنون الصابئة بدينهم من مصر فرارا من الملاحدة .  
فنزل بعضهم بسورية وحاران ، ونزل بعضهم في ارض بابل  
جنوب بلاد ما بين النهرين .

كان الصابئة يعتقدون أن أول بيت بنى لعبادة الله بمكة  
المكرمة . وأن ادريس عليه السلام هو الذي بنى الكعبة ، وأنه  
طاف حولها . وكان هؤلاء الصابئة - كما وصفتهم المراجع -  
يبنون هياكلهم من القصب ، كما تبني الخيام ، ويتخرجون من  
ملاسة غيرهم ، ويتطهرون اذا لمسوا غريبا أثناء عبادتهم ،  
ويصومون ثلاثين يوما متفرقة في السنة . وقد وصفهم البعض  
بأنهم كانوا يتشابهون بالبراهمة .

كان الصابئة يبنون مساكنهم قرب الانهار ، لحاجتهم  
الدائمة الى التطهر بالماء ، ولذلك أطلق عليهم الصابئين ، أي  
الصابحين - كما جاء في كتاب عباس العقاد « ابراهيم أبو الانبياء »  
- لأن ملاسة الغريب في أثناء الصلاة توجب عليهم الاغتسال  
والسبح في الماء .

كما كان للصابئة كتاب سموه ( كنزة ) • وكانوا يباشرون شعائرهم في الخفاء ، وهؤلاء يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وكانوا في مصر على عهد الفراعنة الأول ، ولم يزيدوا على عشرة آلاف ، كما يقول العقاد • وقد وجد الصابئة في سيدنا ابراهيم أنه رسول يدعو الى وحدانية الله ، ودونوا تعاليمه في كتابهم ( كنزة ) وهذه الملة ذكرت في القرآن الكريم ، في قوله تعالى من سورة البقرة : ( ان الذين آمنوا والذين هادوا ، والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

وفي هذه الفترة جاءت الجتود من مصر ، لتؤدب المؤمنين • • ودارت معركة بين سيدنا ابراهيم وأتباعه ، ومعهم بعض الصابئين ، وبين حملة ملك الهكسوس • • انتهت هذه الحملة بأن وقعت ( ساراي ) ، زوجة ابراهيم وابنة عمه أسيرة وهي التي سُميت ( سارة ) أيضا (١) •

والتاريخ يقول ان ابراهيم ولوط واليعازر الدمشقي ، وبعض الاتباع هبطوا مصر عبر سيناء • • وربما يكونوا قد اتخذوا طريق الساحل الشمالي • وأنهم دفعوا ما طلب منهم من مكوس ، وانطلقوا الى أرض جوشن ثم شذبوا الرجال الى ( أوريس ) عاصمة الهكسوس حيث مقر الملك • وفي مقر الملك أكرم الملك وفادة ابراهيم ، وعاد نبي الله وخليله بزوجته الى ايلياء •

ويقال ان سيدنا ابراهيم في مصر قد حاج الكهنة في علم الفلك والنجوم ، وخاصة في عين شمس «اون» حيث التقى بكهنة آمون ، ليبلغهم رسالة ربه • وان الله نجي نبيه ابراهيم، ليعود مع لوط وسارة واليعازر الدمشقي • • ومعه جارية مصرية اسمها هاجر • وقد

(١) عهد النبي ادريس وقومة انظر الفصل الخامس بلك في كتاب قصص الانبياء الجزء الأول تأليف احمد الشهاوي سعد شرف الدين وكتاب « قصص الانبياء » للشيخ عبد الوهاب النجار •



أعطاهم الفرعون هدية لإبراهيم ، كما أعطاه بعض الهدايا والاعناب ، ورجعت قافلة إبراهيم عبر سيناء الى بيت ايل .

يقول المؤرخ اليهودى يوسيفيوس ، ان ابراهيم الخليل درس علم النجوم فى مصر - وليس فى بابل كما نجمع غالبية المؤرخين - وقد استند المؤرخ اليهودى فى ذلك على رواية ارتبانوس ، الذى زعم أن سيدنا ابراهيم أقام بمصر عشرين سنة ، واطلع على أسرار الكهنة وعلم الفلك وطوالح النجوم . وفى قصة أخرى ان سيدنا ابراهيم هو الذى علم المصريين الفلك .

معباس العقاد يرى أن ابراهيم ليس يهوديا ، لان اليهودى ينسب الى يهودا ، رابع ابناء يعقوب ، ولم يكن ينسب اليه الا بعد ان أصبح علما على الاقليم الذى قسم له عند تقسيم الارض بين ابناء يعقوب . ولا يقال عن ابراهيم أنه عبرى ، اذا كان المقصود بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية يتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف . فان ابراهيم كن يتكلم بلغة وهبها الله جمالا لا يوصف . . . خلب جمالها لب ملك مصر ، وأرادها قد انفصلت عن سائر اللغات السامية .

على أن القصص كثيرة حول سر قدوم سيدنا ابراهيم الى مصر ، ومنها قصة ذكرت فى كتب كثيرة ، ترى أن مجيء سيدنا ابراهيم الى مصر كان للتجارة . وأنه حين جاء مع زوجته وفد وهبها الله جمالا لا يوصف . . . خلب جمالها لب ملك مصر ، وأرادها لنفسه . وكان هذا الملك اسمه « طوطوس بن سنان » . وكان ملكا اشتهر بحبه للنساء . وقد علم سيدنا ابراهيم نبأ هذا الملك الجبار - حيث أعلمه الله تعالى بذلك - فقال عن سارة أنها أخته وليست زوجته حتى لا يقتله الملك الجبار . وقد أنجى الله سارة من الجبار ، كما أنجى نبيه ابراهيم .

وجدير بالذكر أن ارض مصر شاهدت - كما ذكرنا - النبى ادريس ، قبل سيدنا ابراهيم بفترة طويلة . وقيل أن النبى

ادريس ولد في منف . وهناك رأى آخر انه من اليمن . وانه ظهر في عصر ما قبل الاسرات في مصر ، وكان صديقا نبيا .  
ويقال ان سيدنا ادريس انه كان اول من خط بقلم على الرمال - وكانت هذه من معجزاته - وانه اول من خاط الثياب ولبس المخيط . واول من نظر في علم النجوم والحساب ، واول من علم الناس الزراعة . وقد حسنت ادريس المصريين عن الله الواحد ، وعن البعث بعد الموت ، وعن الثواب والعقاب والميزان . . حتى ان البعض يقول ان ادريس هو « اوزوديس » الله العالم الاخر في عقيدة الفراعنة . . لكن يبدو ان ما جاء به ادريس قسدا عرف في مصر . . مما دعا المؤمنين بتعاليم ادريس الى ان يهاجروا ، وهم الذين سمو ( الصابئين ) في القرآن الكريم ، وقد التقى معهم سيدنا ابراهيم في الشام ، كما سبق ان ذكرنا .

## يوسف الصديق

يوسف الصديق ايضا له ذكريات مقدسة مع سيناء ومصر  
ولسيناء ذكريات كذلك مع أخوة يوسف الصديق ، ومع أبيهم  
النبي يعقوب . .

تقول التوراة : « وسكن يعقوب ارض غربة أبيه في ارض  
كنعان . هذه مواليد يعقوب : يوسف اذ كان ابن سبع عشرة  
سنة كان يرعى مع اخوته الغنم وهو غلام عند بني يلهة وبني زلفة  
امراتي أبيه . واتي يوسف بنميتم الرديئة الى أبيهم . وأما  
اسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لانه ابن شيخوخته ،  
فصنع له قميصا ملونا . فلما رأى اخوته أن أباهم أحبه أكثر من  
جميع اخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام .

« وحلم يوسف حلما وأخبر اخوته ، فازدادوا ايضا بغضا  
له ، فقال لهم : اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت . فما نحن حازمون  
حزما في الحقل ، وإذا حزمتمى قامت وانتصبت فاجتاطت حزمكم  
وسجدت لحزمتمى فقال له اخوته : الملك تملك علينا ملكا ،  
أن تتسلط علينا تسلطا . وازدادوا ايضا بغضا له من أجل أحلامه  
ومن كلامه . ثم حلم ايضا حلما آخر وقصه على اخوته . فقال  
أني حلمت حلما أيضا ، وإذا الشمس والقمر واحد عشر كوكبا  
ساجدة لي . وقصه على أبيه وعلى اخوته . فانتهره أبوه ، وقال  
له : ما هذا الحلم الذي حلمت ، هل تأتي أنا وأمك واخوتك  
لنسجد لك الى الارض ، فحسده اخوته وأمه وأبوه فحفظ  
الامر . »

وتضيف التوراة تقول : ان اخوته مقبوا ليرعوا غنم أبيهم  
عند شكيم - نابلس الحالية - وأن أباه أرسله اليهم ليطمئن على

اخوته وعلى الغنم ويأتى بالجواب .. فأرسله اليهم من وطاء  
حبرون - أى الخليل - الى شكيم . فوجده رجل اذ هو  
ضال فى الحقل . فسأله ماذا تطلب . فأجابته اننى أبحث عن  
اخوتى أين يرعون وذهب يوسف وراء اخوته الى دوثان . وحين  
أبصره اخوته احتالوا عليه ليميتوه . وقال بعضهم هل نقتله  
ونطرحه فى إحدى الابار ، ونقول وحش ردىء أكله . وقال بعضهم  
لا نقتله ، بل نتركه فى البئر التى فى البرية ، وكانت البئر فارغة  
من الماء . وقبل أن يلقوه فى البئر خلعوا عنه قميصه .

واذ اخوة يوسف يفكرون فى أمر أخيهم ، اذا بقافلة  
اسماعيليين - أى عرب - فى طريقها الى مصر ، فباعوا يوسف  
للاسماعيليين بعشرين من الفضة ، وأتوا بيوسف الى مصر . وعاد  
اخوة يوسف الى أبيهم بقميصه ، بعد أن ذبحوا تيسا - ذكر  
الماعز - وغمسوا القميص فى دمه . وهنا - كما تقول التوراة  
- يمزق الاب يعقوب ثيابه ، وناح على ابنه أياما كثيرة ، أما  
الاسماعيليون فباعوا يوسف لخصى فرعون واسمه « فوطيفار » .

وتضيف التوراة فى الاصحاح التاسع والثلاثين من سفر  
التكوين ..

« ان يوسف كان رجلا ناجحا فى بيت سيده المصرى ، وحين  
رأى السيد أن الرب معه ، وأن كل ما يصنع كان ناجحا ، فقد  
وثق المصرى فى يوسف ووكله على بيته ، وعلى أملاكه من الاراضى .  
وكان يوسف حسن الصورة وجسمن المنظر .. مما أغرى زوجة  
رئيس الشرطة أن تراوده عن نفسها . لكن يوسف رفض هذا  
الامر . وفى مرة دخل يوسف بيت سيده المصرى ، ولم يكن فيه  
سوى زوجته ، فحاولت معه ، لكنه هرب منها وترك ثوبه فى يدها .  
وهنا تصرخ امرأة فوطيفار ، وادعت أن يوسف جاء ليرادها عن  
نفسها ، ثم حين جاء رب البيت شكك اليه الزوجة ، وقالت له ان

العبراني جاء ليرادني فصرخت ، فترك ثوبه هنا . فكان من الزوج أن سجن يوسف .

وتضيف التوراة : أن الرب كان مع يوسف في السجن ، ومهما صنع كان الرب ينجحه . وفي السجن حدث أن سافى ملك مصر وخبازه أذنيا ، فأمر بحبسهما في المكان الذي كان يوسف محبوسا فيه . وقد حلم كلاهما حلما في ليلة واحدة ، وقصا على يوسف الحلم ففسر يوسف حلم كل منهما ، اذ قال لرئيس السقاة أن سيعود الى منصبه ، وقال لرئيس الخبازين أنه سسيعلق وتاكل الطيور من لحمه . . . وقد حدث لهما ما فسرهم يوسف . .

وحدث بعد سنتين أن فرعون حلم حلماء وأراد تفسيره . وهذا الحلم هو : أن سبع بقرات نحاف قبيحة المنظر تأكل سبع بقرات سمان جميلة المنظر . وأن سبع سنابل طالعة في ساق واحدة سميئة وحسنة ، تأكل سبع سنابل ملفوحة بالريح نابته ورأعها .

وقد جمع فرعون السحرة والحكماء لتفسير حلمه ، لكنهم لم يستطيعوا تفسيره . وتذكر رئيس السقاه يوسف في السجن . وأرسل فرعون ودعا يوسف من السجن ، الذي فسر له الحلم بأن قال له : ان سبع سنين خضراء ستأتى على مصر ، وتعقبها سبع سنين قحط . وأشار عليه أن يجعل ناس حكماء على مملكته ليخزنوا الغلال في السنوات السبع السمان ، حتى يستهلكوها في السنوات السبع العجاف . هنا يجعل فرعون يوسف على خزائن مصر ، وغير اسمه . وزوجه ابنة كاهن « أون » - أى عين شمس - وكان يوسف في الثلاثين من عمره في ذلك الوقت . ويبدو أن القحط قد عم منطقة الشرق الاوسط - الحالية - كلها ، ومنها بالطبع أرض كنعان التي يعيش فيها يعقوب .

وقد تسامح أهل الشام بأنه يوجد في مصر قمح . فقال يعقوب لبنيه : انزلوا الى مصر ، واشتروا قمحا . فسافر عشرة من اخوة يوسف الى مصر . وفي مصر عرف يوسف اخوته ، ولم يعرفهم بأنه اخوهم . واعطاهم القمح ، وطلب منهم ان يتركوا واحدا منهم رهينة عنده اخوه بنيامين الى حين يأتون بأخيهم الاصغر ، وحين عادوا الى أبيهم في أرض كنعان قصصوا عليهم الامر ، وقالوا له ان القائم على خزائن مصر يريد ان يرى أخانا الاصغر . فخاف ان يحدث له كما حدث ليوسف من قبل . لكن الوالد أمام القحط والجوع ، وأمام عودة الابن الرهينة لدى يوسف في مصر ، رضي أن يرسل اصغر أبنائه .

وهنا في مصر ، عرف يوسف نفسه الى اخوته ، وبكى الاخوة وخافوا ، فطمأنهم . ثم أرسل اخوته مع العربات المصرية الى أبيهم يعقوب يستدعيه . فجاءوا عن طريق بير سسيح الى مصر مجتازين بركة مستيناء ، وعدد أسرة يعقوب سبعين فردا فقط . وساروا في سيناء حتى وصلوا الى أرض جاسان ، « أو جوشن » فقصدهم يوسف واستقبل أباه وأسرته هناك .

ومكث آل يعقوب في أرض جاسان ، ثم استقبلهم فرعون وأمر لهم بأفضل الاراضي في ( رعسيس ) في منطقة الشرقية . وعاش يعقوب في مصر سبعة عشر عاما الى أن توفي ، فذهب يوسف برفات أبيه ، ودفنسه في أرض كنعان ، ثم عاد الى مصر ثانية ، وكان ذهابه وعودته عبر سيناء .

وقد عاش يوسف ١٢٠ سنة في مصر وقيل ١١٠ سنوات ، ثم توفي وحُط ووضِع في تابوت ، هكذا ذكرت التوراة قصة سيدنا يوسف . وهي قصة تتشابه في أغلب تفاصيلها مع ما ورد في القرآن الكريم في « سورة يوسف » . وان اختلفت بعض الاسماء والمسميات والتفاصيل .

ومما يذكر هنا أن العلماء المصريين يقومون بحفريات عن المدينة التي عاش فيها سيدنا يوسف من ٣٧ قرنا من الزمان على وجه التقريب ، وهى مدينة « أون » أو « أونو » .. وهو ليس بيت فوطيفار وامراته زليخة . وانما ذلك المكان الذى تربى فيه سيدنا يوسف وعاش ودرس فى مستقبل عمره ، حيث تعلم القراءة والكتابة والحكمة ، فيه نزل عليه وحى الله وصار نبيا ، كما حمل اسما مصرى هو « صفنات فعنيح » ويعنى « مخلص العالم » وفيه تزوج من « أسنات » ابن « فوطيفار » ، كاهن مدينة ( أون ) وأنجب ابنه منسيا وأفرام .

وقد كانت أون - وظلت أمدا طويلا - أول عاصمة دينية وحضارية لمصر .. واليوم تحمل اسم ( تل الحصن ) وهى قرب القاهرة ، وعليها زراعات وبيوت ريفية . وأون كانت أول عواصم مصر الدينية ، وسماها الفراعنة « أفق السماء وسما مصر ، وموطن نشأة كل معبود » .

وتقول بعض الحفريات أن سيدنا يوسف قد جاء مصر فى عهد الفرعون سيزوستريس من الاسرة الثانية عشرة ، وبعضها الآخر يقول انه كان فى عهد أواخر عصر الهكسوس ، حوالى عام ١٨٦٠ قبل الميلاد .. ويدللون على ذلك بأنه حدث فى عهدى هاتين الفترتين قحط فى مصر .. لكن على أية حال ليس هناك دليل مادى يؤكد زمن الفترة التى جاء فيها يوسف الى مصر وعاش فيها .

وهناك بعض المؤرخين يقولون أن سيدنا يوسف عاش فى غيطة .. وهى مكان قرب بلبيس ، ذكره ياقوت فى « معجم البلدان » ، كما ذكره المقرئى فى الخطط . حيث تحدث عن غيطة بقوله : « غيطة قرية تقارب مدينة بلبيس من الفسطاط ، اليها مرحطتان ، كانت نزلة قافلة الحجاج » ، ويقال أن صواع

الملك الذى فقد من مدينة مصر وجد فى رحال اخوة يوسف عليه السلام بعيتة هذه •

« وصواع » الملك • هو المكيسال الملكى للقمح والشعير الذى كان يبيع به المصريون هذه الغلة أيام القحط • وقد وضع سيدنا يوسف ( الصاع ) فى أمتعة أخيه بنيامين لكى يبقيه ، حتى يعود اخوته بأخيهم الا صغر الى مصر ، ثم بأبيهم يعقوب • ومما يذكر أن مدينة أون قد تعلم فيها اخناتون اصول التوحيد والله الواحد الاحد ، وتلقى فيها الوحي لرسالته العظيمة •

وعلى أية حال فإن الحفريات التى تجرى فى مدينة ( أون ) والتى تقوم بها كلية الآثار بإشراف جامعة القاهرة قد تزيل الغيوم عن الكثير من حياة سيدنا يوسف فى مدينة ( أون ) أو « أونو » • أقدم المدن فى التاريخ والتى يزيد عمرها على ٦٠ قرنا من الزمان •



## موسى الكليم

يحدد بعض المؤرخون دخول بنى اسرائيل مصر بعام ١٦٥٦ قبل الميلاد ، أيام سيدنا يوسف عليه السلام كما ذكرنا . ويقول المؤرخون ، ان مجيء العبرانيين كان فى عهد الملك ( أبو فيس ، من ملوك الهكسوس . فى الاسرة السادسة عشرة الفرعونية . وكما تقول التوراة : فان العبرانيين كان عددهم سبعة عشر فردا . وكانت هجرتهم فى عهد الملك فوطيفار ، الذى قرب يوسف اليه وعينه وزيرا على خزائن مصر . ثم جاء أهل سيدنا يوسف فأسكنهم أرض جاسان - وهى المنطقة بين غيطة التى ذكرناها ، وشلشلمون بالشرقية - وكانوا رعاة ماشية .

وكما تقول التوراة أيضا فى الإصحاح السابع والأربعين من سفر التكوين : « وسكن اسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان وتملكوا فيها وأثروا وكثر واجدا ، وعاش يعقوب فى أرض مصر سبع عشرة سنة .

وبعد أن عاش بنو اسرائيل فى ظل يوسف ، فى بحبوحة من العيش ، مات يوسف بعد عمر فاهز مائة وعشر سنوات . ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف قدر سيدنا يوسف وكان هذا بعد طرد الهكسوس من مصر فهال ذلك الملك ما رأى من أن بنى اسرائيل قد بلغوا مبلغا كبيرا من الثراء والقوة ، وصاروا أشبه بدولة داخل الدولة . فخشى منهم أن يثوروا عليه ، وقال لقادته كما تذكر التوراة : « هلم نحتال لهم لئلا ينموا فإذا حدثت حرب انهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا » .

وقد قالت المراجع التاريخية أيضا ، أنه فى عصر رمسيس الثانى .. ولكى يامن شر الاسرائيليين فى الشرقية ، بدأ

يستخلمهم في أعمال البناء ، وهى الاعمال التى كانوا يرفضونها ،  
بعد أن تخصصوا فى التجارة ، وقبلها كانوا رعاة للماشية .

وقد قيل أن الفرعون فرض عليهم أن يعملوا فى بناء مدينتى  
« فيثوم » و « بر وعسيس » ، ومع كل ما أحس به المصريون  
من خطر بنى اسرائيل ، فإن بنى اسرائيل كانوا يتكاثرون بشدة .  
وكانوا يعيشون فى مجتمع — اوجيتو بالمعنى الحديث — لا يزوجون  
بناتهم الا للبرانيين . ولذلك يصدر فرعون قرارا — كما يقول  
التوراة — يهدف الى اعدام المواليد الذكور من بنى اسرائيل .  
ونقول التوراة أيضا ، أن فرعون مصر تحدث مع « قابلتى » العبرانيات  
واسم احدهما « شفرة » والاخرى « فوعة » ٠٠ لكى تقللا  
مواليد العبرانيات من الذكور . فلم تفعل القابلتان ذلك .. مما  
دفع فرعون مصر الى اصدار امره بأن من يولد من الذكور يلقى  
فى النهر .. وخاصة — وكما تقول احدى البرديات الفرعونية —  
ان كبير كهنة طيبة قد تنبأ لفرعون بأن نهايته ستكون على يد  
طفل من بنى اسرائيل يولد خلال العام الجديد .. فكان هذا  
هو سبب امر فرعون يقتل كل المواليد الذكور فى العبرانيين .

وقد قيل ان رجلا من بيت ( لاوى ) بن يعقوب ، تزوج  
من بنت من بنات لاوى العبرانيات ، فولدت له زوجته طفلا  
ذكرا ، فلما رأت أمه أنه جميل الصورة خبأته ثلاثة أشهر . ثم  
صنعت له « سفطا » (١) من البردى ، وطلته من الخمارج بالحبر  
والزفت ، ووضعت الولد فيه ، ثم وضعت « السفط » بين  
الحقلاء على حافة النهر . وأوقفت اخته من بعيد لتعرف ماذا  
سيفعلون بالطفل .

وقد قيل أن الطفل ألقى على شاطئ « بر وعسيس » ،  
وحدث أن نزلت ابنة فرعون — وقيل أخت فرعون ، وبعض

---

(١) ٠٠٠ أى « سبتا » من البردى

المصادر تقول زوجة فرعون - لتفتسل وكانت جوارها ماشيات على حافة النهر ، فراين السفط بين الحطفاء ، وفنح السفط فراين طفلا ييكي . فرمت له اخت فرعون ، وقالت - كبا جاء في التوراة - هذا من اولاد العبرانيين . وهنا تأتي أخت الطفل ، وتقول لابنة فرعون: هل اذهب لادعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع الولد ، فوافقت ابنة فرعون ، وجاءت المرضعة ، وهي ام الطفل ، واخذته لترضعه . فلما كبر جاءت به الى ابنة فرعون ، التي تبنته وسمته موسى ، وهو بالطبع اسم مصرى لعلالة له باسماء العبرانيين .

والحقيقة ان بعض التفاصيل في التوراة تتشابه مع ما جاء في القرآن الكريم ، اذ يقول الله تعالى في سورة القصص : « واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ، فاذا خفت عليه فالحقه في اليم ، ولا تخافي ولا تحزني ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » .

ولقد تضاربت الاقوال عن اسباب غضب فرعون والمصريين على العبرانيين ، مما جعلهما يمتلآن على طردهم من مصر . . خاصة في عهد رمسيس الثاني ، الذي يسمى العبرانيون عهده بأنه عهد « تسخير » . أو سخرة بنى اسرائيل .

وقد جاء في التوراة ، ان العبرانيين هربوا من مصر ، لان فرعون كان يصادر املاكهم واموالهم ، ويسخرهم في اعمال الانشاءات وبناء القصور والمساكن ، ونحت الاحجار وشق الطرق ، وحفر الترع . كما ان فرعون جمعهم من انحاء مصر ، التي انتشروا فيها ايام سيدنا يوسف ، واسكنهم في مدينة واحدة هي مكان ( تل اليهودية ) - الآن - حتى يكونوا تحت رقبته ولا يدبروا المؤامرات .

ويروى ايضا ان كهنة طيبة ، كانوا يحقدون على العبرانيين

ومعابدهم الخاصة ، لانهم كانوا يمنعون المصريين من الاختلاط بهم ، أو الاطلاع على أسرار طقوسهم وتعاليمهم السرية . ولذلك فقد أقنع الكهنة فرعون ، بأن معابد العبرانيين ماهي الا « أوكار » يتآمرون فيها على البلاد ، ويتعاملون مع اعداء مصر المقيمين من فلول الهكسوس ، ويساعدون الاجنبي على اعادة احتلال البلاد .. ولذلك فقد بدأت الثورة على العبرانيين من طيبة مقر عبادة « آمون رع » كبير آلهة الفراعنة في ذلك الوقت ، فحطموا معابدهم وخرّبوا مقابرهم ..

وقد نسبت بعض البرديات الفرعونية القديمة ثورة المصريين على العبرانيين بسبب ما كانوا يقومون به من اساليب اغتصاب اراضي الفلاحين وابتزاز أموالهم . فكانوا اول من ابتدع الربا والمراهنة ، كما كانوا يجمعون الذهب والفضة ، نظرا لتخصصهم في صناعة المصاغ ويهربونه الى خارج مصر .

واسباب الثورة المباشرة على العبرانيين ، والتي انتهت بخروجهم - أو طردهم - من مصر ينسبها بعض المؤرخين الى خيانتهم وتأمرهم على مصر ، عندما كانوا يهربون اولادهم من التجنيد أو اعمال الحروب . بل انهم انتهزوا فرصة انشغال فرعون باخضاع القبائل الليبية على حدود مصر الغربية ، وقاموا بتهريب الماشية والغلال والذهب الى ارض كنعان . وقد كانوا في هذه الفترة هم المشرفون على مخازن الغلال في منف وفي بر رعسيس ، مما سبب مجاعة في البلاد ..

وقد وضع فرعون خطة للقضاء عليهم . وهذه الخطة عرفها موسى في القصر - حيث كان ربيب فرعون - ونقل تفاصيلها للعبرانيين .. مما جعلهم يخرجون من مصر - أو يهربون - الى سيناء ثم فلسطين .

والواقع وكما تدل القرائن ، أن سر خروج العبرانيين من

مصر لا يزال فيه كثير من الالفاز . بل ان ما يقوله ويبسره المؤرخون حول التسخير . . هو من قبيل الايحاء في العصر الحديث ، بأن النى شيده ومسيس الثانى بالذات من بناء وانشاءات ، هو أصلا من عمل العبرانيين ، ليجلبوا على أنفسهم شرف المشاركة فى بناء حضارة مصر الفرعونية . .

واعتقد ان العبرانيين كانوا رعاة ، وكان المصريون يحتقرونهم ويعتبرونهم أنجاسا . وقد كانت المباني من المعابد والهياكل الفرعونية مقدسة ، ولا أن تبني بأيدي المصريين وليس العبرانيين . ويحضرني هنا زيارة قمت بها لباريس ، أثناء افتتاح معرض رمسيس الثانى فى « الجران باليه » . . اى القصر الكبير وكانت السيدة التى أحت فى عرض بعض آثار رمسيس الثانى فى باريس ، هى مديرة القسم المصرى فى متحف اللوفر . وهى السيدة دوشيس كريستيان نوبلكور ، التى قيل وقتها انها ذات جذور يهودية ، أو هى تتعاطف مع اليهود . ولذلك جرى تصميم المعرض بحيث يومهم زائره بأن رمسيس الثانى سخر العبرانيين فى مبانيه العظيمة . . كما أن « الكنالوج » الخاص بالمعرض حاول أن يقول ما قاله تصميم المعرض . . مما سبب أزمة كبيرة بينها وبين الاثريين المصريين . . لان هذا الايهام لا أساس له من الصحة التاريخية ، أو الاسانيد الوثائقية .



والسؤال الذى لا يزال مطروحا حتى الآن بين العلماء هل فرعون موسى هو رمسيس الثانى ؟!

البعض يرى ذلك ، اعتمادا على وجود اسم موسى فى احدى لوحات طيبة التى تعود الى اواخر عصر رمسيس الثانى . وجاوب هذا البعض ان يؤكد ذلك ، مستشهدا بالحمولات التى قام بها هذا الفرعون العظيم الى الشام ، وانتصاره على

فلسطين ، وورود أخبار في وثائق تقول ان رمسيس الثانى هو الذى أمر بقتل الذكور من مواليد العبرانيين .

لكن يضعف من هذا الراى ان البعض يرى ان فرعون موسى هو بحتمى الثالث .. مع ان هذا الراى ايضا يفتر الى اثبت تاريخى .

والدين يحاولون الاعتماد على الاقوال التى ترخص بأن فرعون موسى هو رمسيس الثانى ، وان لم تقل ذلك صراحة .. فان التوراة التى كتبت بعد سبعة أو ثمانية قرون من الاحداث المفترضة لقصة الخروج .. قد حدث فيها بعض الاضافات والحذف والتعديل والتحوير كذلك .. وقد حرفها بعض الاحبار اليهود ليخدموا اهدافهم ..

والاقرب الى الحقيقة ، أن فرعون موسى هو مرنبتاح ابن رمسيس الثانى ، وقد حاول ان يؤكد هذا الراى السير فلنדרز بترى ، وادار ماير ، ونافيل . بل ان الاثرى المصرى سليم حسن يتفق مع هذا الراى . وهؤلاء جميعا يعتمدون فى رأيهم على ما يسمى باسم « لوحة اتريب » ، أو « لوحة مرنبتاح » .. والتى جاء فيها ذكر بنى اسرائيل لأول مرة فى الوثائق الفرعونية ، وفى انشودة نصر .. يصف فيها الفرعون مرنبتاح انتصاره على الاسرائيليين ، ويقول : ( ان اسرائيل خربت وقطعت بذرتها ، وخربت جيزوريل ، ولم يعد لنسلها وجود ، واضحت فلسطين أرملة لمصر ، وكل من كان ناثرا قتله الملك مرنبتاح ) .

وقد فسر السير فلنדרز بترى معنى « قطعت بذرتها » .. بطرد الاسرائيليين ، وتطهير البلاد من نسلهم .. كما وجد ايضا ان التاريخ الذى حدده الملك مرنبتاح لانتصاره على العبرانيين هو الشهر الثالث ، فى اليوم الثالث ، من السنة الخامسة من حكمه . وهذا التاريخ يتفق ، مع التاريخ الذى حدده العبرانيون فى سفر الخروج .

وقد قيل أيضا أنه عثر في خطابات « تل العمارنة » ،  
التي كانت ترد إلى اخناتون من أمراء الشام يستصرخونه  
الدفاع عن الامبراطورية ، عثر على اشارات لاقوام مشاغبة  
تسمى « الخابيري » . ويرجع الاتريون هؤلاء إلى أنهم أبناء  
العبرانيين الذين ظهروا فيما بعد نتيجة اختلاط الخابيري  
بالقبائل الآرامية . . . وإن كان هذا ينزع عن الاسرائيليين صفة  
شعب الله المختار الذي لم تختلط دماؤه بدماء أخرى .

على أن الذي يمكن أن نقوله هنا ، أن مرنبتاح - الذي  
يقولون عنه انه فرعون الخروج - تولى الحكم في عام ١٢٢٣ قبل  
الميلاد ، وهو الابن الثالث عشر لآبيه رمسيس الثاني . وكان  
القائد الاعظم للجيش أثناء حكم آبيه . وقد ذكر كل من مائيتون  
المؤرخ المصري ، ويوسيفيوس المؤرخ اليهودي أن مرنبتاح قد  
حكم ١٩ عاما وستة أشهر . وكانت سنه عندما ولي  
الحكم ٥٨ عاما . وقاد معاركه وهو في الستين . . مما جعل  
المؤرخين يخلطون بينه وبين آبيه رمسيس الثاني ، بعد أن ذكر  
المؤرخون اليهود أن فرعون الخروج كان طاعنا في السن ، عندما  
قاد الجيوش لمطاردتهم . . .

لكن هذه الآراء سنقوم بمناقشتها عند الحديث عن  
( الخروج ) في الفصل التالي .





## الفصل الثالث عشر

### سيناء والخروج



بعض الكتاب يرفض قصة الخروج ، وبعضهم يرفض ما  
تعلق بها من بعض الاساطير .. وهناك نظريتان في هذا الصدد ،  
جاء ذكرهما في كتاب فرويد (موسى والتوحيد) الذى ترجمه محمد  
العزب موسى .. فضلا عن بحث له في مجلة الهلال عدد اول  
يونيو ١٩٧١ بعنوان « موسى في سيناء » :

**والنظرية الاولى هي نظرية هوجو وينكلر :** وهو يهودى يرى  
ان الخروج لم يحدث في مصر ، وان اليهود اصلهم ياتوا الى مصر .  
وان كلمة ( مصرايم ) التى وردت في سفر الخروج لا تشير الى مصر  
النيل ، وانما الى اقليم موزرى جنوبى البحر الميت ، والذى يمتد حتى  
الحدود الشرقية لمصر ، ويضم جبل سير ، ومدينة البتراء ، وأرض  
مدين ، وأدوم .

ويضيف وينكلر ، أن اسم هذا الاقليم ، اختلط في ذاكرة  
اليهود بعد ذلك باسم مصر ، لان سكان هذه المنطقة ، وكل كنعان  
.. كانت تحت حكم مصر ، واخترعت العقليّة اليهودية (أسطورة)  
الخروج بكل تفاصيلها ، رمزا للخلاص من الحكم المصرى . ويؤيد  
وينكلر رأيه بما استقاه من كتاب لانفيل بعنوان « التراث المصرى :  
مصر وأسرائيل » ..

ونحن لا نتفق مع وينكلر في هذا الرأى ، ورفضه للخروج .  
ثم ان نظرية وينكلر يهدمها من أساسها ، ما ورد في التوراة من  
وصف دقيق للطبيعة الجغرافية المصرية ، كفيضان النيل ،  
وما يؤدى هبوط منسوبه الى انتشار الاوبئة والامراض ، وكذلك  
وصف بعض اقالييم مصر ، وجوها .. الامر الذى يدل على أن  
العبرانيين كانوا فعلا في مصر .

ويؤيدنا ايضا في الرأى ، ما جاء في كتاب : ( حضارة مصر

والشرق الأدنى القديم ٠٠ الساميون القدماء ) للدكتور حسن احمد محمود . ففيه ادلة تاريخية ثابتة على وجود جاليات سامية في مصر منذ زمن الهكسوس ، وتتكون هذه الجاليات أساسا من قبائل كنعانية باسم ( يعقوب ايل ) . والارجح أنها لم تكن من المؤكد أنها قبيلة يعقوب ويوسف . وما دام الامر كذلك ، فلا بد ان تكون هذه الجالية قد خرجت فيما بعد من مصر ، مع حرصها على علم الاندماج في الوسط المصري .

ثم ان تاريخ مانيتون يشير الى وجود اليهود بمصر ٠٠ وقد تناول وجودهم في عبارات غامضة باعتبارهم مواطنين مصابين بالبرص ، أمرهم الملك أمينوفيس بمغادرة البلاد ، بعد أن استقروا زمنا في المحاجر التي تقع على الجانب الشرقي للنيل .

**والنظرية الثانية هي نظرية فرويد :** فهذا العالم النفسى اليهودى ، يرى أن موسى لم يكن يهوديا بالجنس ، وإنما كان مصرياً دما وعقيدة . وأنه أعطى عقيدته المصرية - التي هي ليست سوى عقيدة آتون الفرعونية - لبني اسرائيل ، وقادهم في الخروج من مصر ، بعد انهيار البولة في مصر عقب مأساة اخناتون . وفي الفلاة تنكر اليهود لسيدهم المصرى وقتلوه ، وارتدوا عن عبادة ( أدوناي ) ٠٠ أى ( آتون ) الى عبادة ( يهوه ) اله البراكين . ولم يعودوا مرة أخرى الى الشريعة الموسوية الا تدريجيا عبر القرون ، لان ذكرى موسى ظلت قوية في أذهانهم . ولكن نتيجة لتنكرهم المشين لهذا الزعيم المصرى العظيم ، أصيبت النفسية الجماعية اليهودية بعقدة تاريخية . وحاول اليهود كبت حقيقة أن موسى كان مصرياً ، وأنهم اغتالوه ، فاقترفوا في سبيل ذلك سلسلة من الأكاذيب والتشويهات لتغطية هاتين الحقيقتين المؤلمتين ٠٠

واستطرادا من هذه النظرية ، ينفى فرويد أمرين :

١ - أن يكون موسى المصرى قد ذهب الى أرض مدين ، وتلقى

على جبل حوريب كلمة ( يهوه ) اله البراكين ، الذى زوده بمعجزات  
سحرية ، وأمره بمحاجة فرعون وإخراج بنى إسرائيل .

ويرى فرويد أن صورة موسى مدين ، لا تتمشى مطلقا مع  
صورة موسى قائد الخروج من مصر . وأن صفات ( يهوه ) ، الذى  
كان شيطانا مهلكا ، محبا للدماء ، لا تتمشى مع صفات الاله الواحد  
الاحد الذى علم موسى عبادته ، والذى يحرم السحر والشعوذة  
تحريما تاما .

ويخلص فرويد من ذلك الى أن اليهود مزجوا بين كاهن  
مدين ، وموسى المصرى ، أو بمعنى آخر قاموا بعملية ( إسقاط )  
كاهن مدين على شخصية موسى لإخفاء حقيقة موسى ، وما ارتكبه  
من أخطاء فى حقه وحق الهة .

٢ - يرفض فرويد كل التفاصيل المتعلقة بالخروج ، مثل  
محاجة فرعون ، والطواغين العشرة ، وشق البحر ، وتلقى الرسالة  
على جبل سيناء . ويرى فرويد أيضا أن ( الخروج ) تم بسهولة  
لنفوذ موسى فى البلاط المصرى ، وأنه استطاع أن يقود بنى  
إسرائيل - بيد قوية كما تقول التوراة - ولم تكن هناك مطاردة  
أو أى شيء من هذا القبيل . وأن هذه التفاصيل جميعا ، حين  
سجلت فى التوراة ، بعد هذه الاحداث بعدة قرون ، لم تكن أكثر  
من أساطير دينية ، تسجل تراثا ينحدر منذ زمن سحيق ، لأضفاء  
القدسية والمهابة على ذلك الحدث التاريخى ، ولإخفاء مصرية موسى  
فى نفس الوقت .

ونحن لا نتفق مع فرويد - مع أنه يهودى - فى الكثير مما  
أورده ، ولكننا أوردناه لنعرض بعض الآراء التى قيلت فى الخروج  
وعصره وطريقه . فقد اهتم كثير من المؤرخين والباحثين بالخروج  
وطريق الخروج فى العصر الحديث . ومن بين هؤلاء ولكوكس ،  
ولبنان ، وروبرتسون ، وجاردنر ، وبترى . . . بالإضافة الى ما ورد

فى سليم حسن ، وعلى شافعى . . والحفائر التى أجريت فى مدينة  
( قنطير . . وهؤلاء جميعا وغيرهم الكثير حاولوا مقارنة ما توافر  
لديهم من معلومات بما جاء فى التوراة . . وبما جاء أيضا بالخرائط  
القديمة حول البحث عن طريق الخروج . وهناك خريطة هامة تعود  
الى العصر البطلمي محفوظة بالفايتكان ، عليها أسماء البلاد والمراحل  
التي تم بها الخروج ، وهى باللغات المصرية القديمة ، والعبرية  
والعربية . وبالمقارنة بما فى الخرائط والتوراة ، أمكن تحديد عدة  
مواقع لتحديد طريق الخروج ، وتشمل : وعسميس ، سكوت ،  
بيداء ايتام ، قم الحيتوت ، يم سوف ، أرض شيجور ، مجدول ،  
بعل زيقون ، ومدنين .

على أن السؤال الذى ينبغى علينا أن نبدأ به هو : متى حدث  
الخروج ، ومن هو فرعون الخروج ؟

وكما جاء فى كتاب ( موسى والتوحيد ) ، فإن هناك آراء  
كثيرة فى الموعد الذى خرج فيه بنو اسرائيل من مصر ، وفى فرعون  
الخروج .

والخروج ينحصر فى الفترات التالية :

١ - من وقت طرد الهكسوس من مصر ، الى حكم تحتمس  
الثالث ، أى من عام ١٥٧٠ قبل الميلاد ، الى عام ١٤٤٠ ق.م. على  
وجه التقريب .

٢ - من انهيار الاسرة الثالثة عشرة الى زمن رمسيس الثانى  
ومرنبتاح ابنه . أى من عام ١٣٥٠ ق.م. الى عام ١٢٢٥ ق.م.

٣ - بعد انهيار الاسرة التاسعة عشرة ، أى من عام ١٢٠٠  
ق.م. الى ما بعد ذلك .

ويرفض الباحثون الفترة الاولى والفترة الثالثة ، على أساس  
أن الاولى مبكرة جدا ، والثانية متأخرة جدا . ولا يستقيم تاريخ

بنى اسرائيل اذا أخذناهما ٠٠ وتبقى الفترة الثانية - وهي المرجحة للخروج - ولكن فى أى عهد من عهود فراعنة هذه الفترة حدث الخروج ؟

وهناك عدة آراء فى ذلك :

**أولا ، فى عهد تحوتمس الثالث :** فطبقا لحساب التوراة ، يكون فرعون الخروج هو تحوتمس الثالث ، الذى حكم خلال الفترة الاولى ، وتوفى عام ١٤٤١ ق.م. ففسر الملوك الاول يقرر أن بناء الهيكل فى عهد سليمان كان عام ٤٨٠ لخروج بنى اسرائيل من مصر ، وفى السنة الرابعة للملك سليمان على بنى اسرائيل . ولما كان سليمان قد حكم عام ٩٦٥ ق.م. ، وبدأ بناء الهيكل بعد مرور أربع سنوات من حكمه ، أى حوالى عام ٩٦٢ ق.م. ، فمعنى ذلك أن الخروج حدث عام ١٤٤٢ ق.م. كما يرى جون الدر فى كتابه : ( الاحجار تتكلم ) والذى ترجمه عزت زكى الى العربية . ويؤيد هذا الرأى ، أن تحوتمس الثالث كان مغرما بالعمارة ، ومن آثاره لوحة تصور أسرى ساميين يعملون فى مشروعاته . وفضلا عن ذلك أنه اذا كان بنو اسرائيل قد قضوا ٤٠ سنة فى التيه بسيناء ، يكون معناه أنهم غزوا أرض كنعان تحت قيادة يوشع بن نون عام ١٤٠٠ ق.م. ، وهو التاريخ الثابت أثريا لحدوث غزو كبير لممالك كنعان ، واحراق وتخريب مدينة ( عاي ) فى منطقة أريحا ٠٠

لكن ٠٠ ينقص من هذا الرأى ، أن تحوتمس الثالث كانت جل آثاره فى الصعيد ، ولا يمكن أن تنسب اليه مدينتا ٥ بر رعسيس ) و ( فيثوم ) اللتان تقرر التوراة أن بنى اسرائيل استعبدوا فى بنائها . وأما عن تخريب ممالك كنعان ، فليس من الضروري أن يكون قد حدث على أيدي الاسرائيليين الخارجين من مصر . والمرجح أنه حدث فى فترة الفوضى التى صاحبت عهده اخناتون ، والتى تشير فيها وثائق تل العمارنة - كما قلنا - الى

قوم يدعون الخايري ، أو العايري . . هاجموا أملاك الامبراطورية المصرية في فلسطين . .

كذلك فان القول بالخروج من مصر في عهد تحوتمس الثالث ، معناه أنهم لم يلحقوا عصر اخناتون في مصر ، مع أن هناك تأثيرا قويا وفعالا لعقيدة آتون في الشريعة الموسوية ، الى درجة أن بعض نصوص التوراة ، عبارة عن ترجمة حرفية لاناشيد اخناتون . ولا يمكن أن يكون اليهود قد حملوا كل هذه البصمات من عصر اخناتون ، دون أن يشهدوا هذا العصر في مصر .

**ثانيا ، بعد وفاة اخناتون :** وهذا هو رأى فرويد استطرادا لنظريته في مصرية موسى . . كما يدل على ذلك التطابق بين شريعة موسى وعقيدة اخناتون . وحقيقة فان موسى فرض على شعبه عادة ( الختان ) ، وهي عادة مصرية قديمة . فلا بد أن يكون موسى معاصرا لاختناتون ، بل ومن أعضاء البيت المالكة . وربما كان موسى كاهنا أو أميرا أو قائدا في بلاط اخناتون ، وبعد انهيار آماله في مصر بانتظار سيطرة عقيدة اخناتون ، قرر أن يتحدى قلبه ، ورفض التخلي عن عقائده التي هي أعز لديه من وطنه ، فأعطى تلك العقائد التي رفضها المصريون لأكثر فئات المجتمع اضطهادا وهم الساميون المقيمون في أرض جاسان ، وقادهم الى الخروج في فترة الفوضى التي تلت موت اخناتون ، وسبقت استيلاء قائد الجيش حور محب على السلطة . . فيما بين عامي ١٣٥٨ ق.م. و ١٣٥٠ ق.م. .

غير أن فرويد لا يتشبث بهذا الرأي في موعد الخروج ، بل يرى أن نظريته في مصرية موسى ، تستقيم كذلك اذا تأخر موعد الخروج بعض الوقت ، اذا افترض أن موسى كان كاهنا في مدرسة ( أون ) - عين شمس - التي استمرت فيها عقيدة ( آتون ) حية ، عدة أجيال ، بعد القضاء عليها من الناحية الرسمية .

ويؤيد رأى فرويد في هذه الناحية الدكتور أحمد سوسة



فى كتابه ( العرب واليهود فى التاريخ ) يقول : ( ان هجرة موسى  
هى هجرة جماعة من الوجدويين ، وجدت نفسها معرضة للاضطهاد  
بعد وفاة اخناتون ، فضلت الهروب من البلاد والاتجاه ناحية  
الشرق ، ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة ( قوم موسى ) ، وكانوا  
يتكلمون المصرية القديمة ) .

**ثالثا ، فى عهد مرنبتاح او ( منتساح ) :** ويرجح اغلب  
الباحثين أن يكون الخروج قد تم فى عهد مرنبتاح ١٢٢٥ - ١٢١٥  
ق.م . وبذلك يكون هذا الفرعون هو فرعون الخروج ، ويكون  
رمسيس هو فرعون الاضطهاد . . فى رأى التوراة ، التى تفرق  
بين فرعون الخروج ، وفرعون الاضطهاد .



ويأتى سؤال آخر . ما هو مسار الخروج من مصر ؟!

تقول التوراة . .

● **فى اليوم الاول :** يبدأ من مدينة رعسيس الى سكوت .  
وغادرها ستمائة ألف ماش من الرجال ، خلا الاطفال . وكان فى  
الشهر الاول : فى اليوم الخامس عشر منه ، فى عيد الفصح على  
مشهد من جميع المصريين . وقد اختاروا هذا الشهر ، لانه شهر  
الجفاف والتحاريق ، والذى تجف فيه الحياض والترع ، ويمكن  
عبور النهر على الاقدام وبالعربات ، فلا يلتفتوا النظر ، ولا يحتاجون  
سفنا لنقلهم ونقل متاعهم .

وجدير بالذكر هنا ، أنه للتوضيح نقول ان مدينة بر رعسيس  
كانت فى موقع مدينة ( قنطير ) التى بها قصر رعسيس . ( سكوت )  
التي قضوا فيها الليلة الاولى من خروجهم ، فى منطقته الصالحة .  
وكانت بها قلعة تسمى « ختم سكوت » التى كان يذهب اليها  
مرنبتاح لصيد البط ( يم بتوم - مرنبتاح ) . . حيث بها بركة

الصيد المعروفة حاليا باسم سفند واكباد فى الشرقية • ويطلق على سكوت حاليا اسم ( تل اليهودية ) •

● **اليوم الثانى :** وكما تقول التوراة ( وارتحلوا من سكوت ونزلوا ببيداء ايتام فى طرف البرية ) • وببدا. ايتام كانت معروفة لدى الفراعنة باسم ( آدم ) وتحول اسمها الى ( ايتما ) فى عصر البطالمة ، وهى صحراء الفاقوسية الآن •

● **اليوم الثالث :** تقول التوراة ( كلم الرب موسى ، وقال له مر بنى اسرائيل أن يرجعوا وينزلوا امام فم الحيرت •• بين مجدل والبحر ، امام بعل زيفون تنزلون تجاهه فى أليم ) •• و ( قسبي الرب قلب فرعون ملك مصر فتبع بنى اسرائيل ، وبنو اسرائيل خارجون بيد سامية ) •

هذه الفقرة من التوراة تؤكد ما ورد فى البرديات القديمة ، من أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر باذن فرعون • ثم اكتشف بعد رحيلهم سرقة ذهب ومصاغ المصريين بحجة استعارته فى عيدهم ، ثم هربوا به مع ما سرقوه من خزائن الدولة • فتبعهم فرعون بجنده ، مما دعاهم الى تغيير خط سيرهم من طريق بلوزيوم او الفرما ، وهو الطريق الساحلى •• الى طريق سيناء - او جنوبها - حتى لا يلحق بهم فرعون وجنوده •

● **اليوم الرابع :** وكما تقول التوراة ، فان فرعون تبع موسى وقومه فى ٦٠٠ عربة يسوقها نخبة من فرسانه ، ولحقوا ببني اسرائيل بالقرب من ( يام سوف ) • وكلمة ( يام ) الواردة فى التوراة هى كلمة ( يم ) الفرعونية •• ومعناها البركة او المستنقع • و ( سوف ) معناها البوص • والمعروف أن البوص لا ينمو سوى فى المياه العذبة ، لذا فان ( يم سوف ) كانت من المستنقعات او البرك الواقعة شرقى بحيرة المنزلة ، والتي كانت تتغذى بالمياه من فرع حوض الشرقى ، احد فروع النيل فى ذلك الوقت • ومن

المعروف أن هذه البرك تنكشف أرضها لدى هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الموسمية - كما تقول الجغرافيا - ويمكن صوبها بالسيارة أو بالأقدام ، كما هو الحال في طريق بلطيم - البرلس ، الذي تغمره المياه وترفع إلى ما يزيد على المتر مع هبوب الرياح الغربية . وكما تقول التوراة : ( ومد موسى يده على البحر ، فأرسل الرب ريحا شرقية طول الليل جعله جفافا وأنشق الماء ) .

ومما يذكر ، أن ( يام سوف ) يقع شمال الاسماعيلية ، ويبعد عن البحر الأحمر حوالي ٧٠ كيلو مترا . كما أن ( أرض شبحور ) التي انتقل إليها بنو اسرائيل بعد عبورهم ( يام سوف ) تقع شمال السويس بما يقرب من ٦٠ كيلو مترا ، وهي أول منطقة وصلوا إليها في سيناء .

ولقد قيل أن غرق فرعون وجنوده في البحر ليس الا أسطورة . ويدلل الذين يقولون بهذا الرأي على ذلك ، بأن مرتبناح سجل انتصاره على بنى اسرائيل في لوحه بصره ، أو «رسائل أتريب » بالإضافة إلى ما جاء في مانيتسون وأفريكانوس المؤرخين من أن مرتبناح طرد بنى اسرائيل في العام الخامس من حكمه ، وحدد تاريخ طردهم باليوم والشهر . . بما يتفق مع ما ورد في سفر الخروج ، وأنه عاد إلى عاصمته واحتفل بالنصر . وأن حكمه استمر بعد طرد اليهود ١٤ سنة ، قام خلالها بفتوحاته وأحرز انتصاراته المشهورة .

والحقيقة أن الذين يقولون بهذا الرأي غير دقيقين . . ولا يستندون على أدلة قوية ، خاصة وأن القرآن الكريم يتفق مع التوراة الأصلية ، كما يتفق مع الحقائق التاريخية . يقول القرآن الكريم في سورة « طه » : ( وأوحينا إلى موسى أن أسر بصادي فأضرب لهم طريقا في البحر يبسا ، فاتبعهم بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم ) . وفي قوله تعالى : ( وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون بضيا وعدوا ، حتى إذا أدركه الغرق قال

آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) .

والآية الكريمة تقول أيضا : ( الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ، وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ) سورة يونس .

ويقول البعض أن الجملة التي وردت في القرآن الكريم ( ننجيك ببدنك ) تعادل التعبير العامي ( خلص أو نفذ بجلده ) .. وقد تعني أن فرعون وجنوده أغرقتهم المياه ، ولكنه لم يمت ، وإنما نجاه الله ببدنه ليكون آية لمن خلفه . أو قد يكون تفسيره أن فرعون غرق ومات وانتشلت جثته لتكون آية لمن خلفه .. وهذا بالطبع يحتاج إلى الكثير من التفسير نعود إليه في الفصل القادم .



والآن وبعد أن انتهينا من المرحلة الأولى في (الخروج) بعد أن عبر بنو إسرائيل (يم سوف) وصاروا على مشارف سيناء ، أو على بداية برية سيناء تواصل الحديث عن هذه المرحلة الثانية .. وهذه المرحلة الثانية حثت حولها الكثير من الاهتمام القديم ، ثم تجدد الاهتمام في الفترة بعد الاحتلال الإسرائيلي لسيناء عام ١٩٦٧ . فقد قامت بعض البعثات الأثرية الألمانية ، والأمريكية ، والإسرائيلية .. فيما أطلق عليه المسح التاريخي لسيناء للبحث والتنقيب فيها عن مسيرة خروج بنى إسرائيل ..

وهذه الأبحاث بدأت بمنطقة شرقى البحيرات المرة ، التي اعتبرت هي (يم سوف) .. وقالت الأبحاث أن منطقة الدفرسوار هي المر المائي الذي عبره بنو إسرائيل نظرا لضعف مياهه ، وتأثر المد والجزر بها والرياح الجنوبية والشرقية التي تهب في ذلك الوقت بالذات من السنة ، والذي اختير للخروج . كما أنها تنطبق عليها الأوصاف التي وردت في التوراة ..

وجدير بالذكر ، أنه من خلال البحوث التي قام بها جوردون

جاسكيل ، والبروفيسور منشه جابرييل ، يُمكن أن نتتبع المرحلة الثانية من طريق كالاتى :

**أولا :** ساروا من أمام فم الحيروت ، ومروا وسط سطح الياام . وهكذا كما تقول التوراة - ( أحضر موسى إسرائيل ، ومشوا فى بيده شور ، ومكتوا مسافرين ثلاثة أيام ، ولم يجدوا ماء ، وضربوا خيامهم فى مارا ) .

**ثانيا :** وصلوا الى مارا . وهو أول مكان وصلوا اليه بالقرب من البحر الاحمر ، ويقع على الشاطئ الشرقى لخليج السويس فى مواجهة مدينة السويس . وهذا المكان يطلق عليه الآن ( بئر المر ) . وعنده حدثت احدى معجزات موسى ( عندما ضرب صخر البئر بعصاه السحرية فذهبت ملوحة المياه ) . وتبلغ المسافة بين بحر سوف ومارا حوالى خمسين كيلو مترا ، وهى المسافة التى قطعت فى ثلاثة أيام .

**ثالثا :** ارتحلوا من ( مارا ) الى ( ايليم ) ، حيث بها ١٢ بئرا وسبعين نخلة . وايليم هى ( عيون موسى ) الحالية . وتبعد عن مارا بحوالى ١٥ كيلو مترا ، وهى الواحة الوحيدة من بين واحات سيناء الـ ٢٥٠ واحة ، التى يبلغ عدد عيونها ١٢ عينا .

**رابعا :** وهى أهم المراحل فى خروج بنى إسرائيل ، حيث وصل موسى وقومه الى ( رافيديم ) ، بعد مسيرة يوم من ( ايليم ) ، وتقع عند مدخل الوادى المقدس . ومنها شاهد موسى جبل حوريب الذى صعد اليه ليكلم ربه ( فاستبطاه اليهود عندما ذهب ليققات ربه ، فكفروا بموسى وربه واتبعوا السامرى ، أحد علمانهم الذين هربوا مع موسى - كما يصفه القرآن الكريم - فأمرهم أن يخلصوا حلبيهم التى استولوا عليها من المصريين وصنع لهم عجلا جسدا له خوار ، وقال لهم هذا الهكم واله موسى . فعبدوا العجل ، وكان معهم هارون اخو موسى فلم يستطع أن يفعل لهم شيئا ، .

وجدير بالذكر هنا أن هناك رأيا يقول أن رافيديم هي سدر الحالية • والوادي المقدس - كما يقال - لا يخرج عن كونه وادي سدر • كما أن جبل موسى الذي يقع على رأس العين من رافيديم هو جبل ( سن بشر ) • وهذه التسمية فسرت على أنها تعنى تشاريع البشر أو الوصايا العشر التي نزلت على موسى • فجبل حوريب هو ( سن بشر ) ، وهو جبل موسى •

أما جبل موسى في طور سيناء ، فهو يبعد عن عيون موسى بمسافة ٣٢٠ كيلو مترا • مما يتعارض مع ما ورد في التوراة نفسها ، من أن موسى وقومه بلغوا الوادي المقدس وجبل حوريب بعد مسيرة يوم واحد من عيون موسى • كما أن الجبل لا يمكن مشاهدته بإلهين المجردة من ذلك البعد ، أى من عند رافيديم • بالإضافة إلى ارتفاعه ٧٦٠٠ قدم ، بينما لا يزيد ارتفاع جبل ( سن بشر ) على ٢٤٠٠ قدم •

ويؤيد هذا الرأي ما يقولونه من أن أحجار اللوحات التي نقش عليها موسى الوصايا العشر من الحجر الجيري اللين ، الذي يسهل حفره • وقد تحطمت عندما سقطت على الأرض ، أو عندما ألقاها موسى - كما يقول القرآن الكريم - أو حطمها - كما تقول التوراة - وهذا يثبت أن الأحجار جاءت من حجر جبل ( سن بشر ) الجيرى وليس من حجر جبل موسى البازلتى أو الجرانيتى • كما ذكرت التوراة أن موسى اتجه ببني اسرائيل من الجبل إلى بئر دلهيم عليها أو فجرها اسمها ( بئر رتما ) • وقد ثبت وجود البئر فعلا في مجرى وادي سدر ، ويطلق عليها ( يمن رتما ) •

كما يؤيد أصحاب هذا الرأي نظريتهم ، أنه اكتشف أن المن والسلوى لا وجود لهما على الإطلاق في منطقة جبل سيناء ، وليس لهما وجود إلا في منطقة وادي سدر •

ويتفق إبراهيم أمين غالى مع الذين يقولون بهذا الرأي ••

وان كنا لا نتفق معه ، لان القرآن الكريم لا يدعنه ٠٠ ونحن نؤمن بما جاء في القرآن الكريم ٠ فأبراهيم أمين غالى يرى أن الخروج هو قصة أسطورية ، وأن هناك تخبطا في تفسير الاماكن التي مر بها الشعب الاسرائيلي ، فالبعض يرى أن جبل الشريعة هو جبل السريال . والآخر يرى عكس ذلك ، ويؤكد أنه جبل بالصفصافة احدى قمم جبل موسى ٠

ويتفق مع ابراهيم غالى الاستاذ منشة جابريل استستاذ الجغرافيا وتاريخ الاديان بالجامعة العبرية ٠٠ والذي قام بالبحث والتنقيب في سيناء ، ويرى « أن جبل موسى ليس هو الجبل المقدس ، وأنه لا يعلن هذا الرأي حرصا على شعور اليهود الذين يحجون الى المنطقة منذ القرن السابع الميلادى وحتى الآن ٠٠ » .

وما يراه منشة جابريل كيهودى ٠٠ وما يراه ابراهيم أمين غالى ، فيما يعتقدان هو افتراء على الحقائق التاريخية الايمانية ٠٠ ونحن نرفض آراءهما الى ان يأتونا ثبوت مايقولانه ... واعتقد انهما لن يأتيا بالادلة .



اخيرا ٠٠ ماذا فى المرحلة الاخيرة من خروج موسى ٠٠ وبني اسرائيل حتى وصلوا الى فلسطين ؟

يرى ابراهيم غالى - وهو رأى جرى على أية حال - أن الاجزاء اللاحقة من الكتاب المقدس ، لم تشر الى موسى ، اذا استثنى منها اشارتان عابرتان ، وكان العلاقة بين سيناء وموسى ، وبين اليهودية وأرض الميعاد قد قطعت ٠ بل انه من الامور المحيرة خلو شبه الجزيرة من الآثار التي تعبر عن تقديس المكان الذى تلقى عليه العبريون الوصايا العشر ونواميس شريعتهم . ويتساءل .. ما هو تفسير ذلك ؟!

ويرى أن سر احجام بنى اسرائيل عن المحافظة على ذكرى سيناء .. هي مسألة وفاة موسى . لقد اتهمت التوراة موسى بخيانة الرب ، فهي تقول : « مت فى الجبل كما مات هارون اخوك فى جبل هور لانكما ختتمانى .. فانك تنظر الارض من قبالتها ولكنك لا تدخل الى الارض التى اعطيتها لبنى اسرائيل » .. ويقول لماذا توارت فى التوراة ذكرى موسى ، وكأنها صفحه من تاريخ اليهود وقد طويت ؟!

ونقول له ان ما فعله بنو اسرائيل مع موسى .. جعلهم يخزون من تاريخهم المخزى ، كما أن هذا يعود الى أن الاسرائيليين حاولوا محو كل الآثار المصرية فى تاريخهم ، قبل دخولهم أرض الميعاد ، ليبنوا عليها نظرية شعب الله المختار ..

على أن ذلك كله لم ينفع حينما جاءت المسيحية وانتشرت فأعادت الى سيناء ذكرى موسى ، وامتلات شبه الجزيرة بأسماء موسى التى أطلقت على كثير من الاماكن ، فهناك عيون موسى غرب السويس على الضفة الشرقية للخليج . وحمام موسى قرب الطور، وجبل موسى ، وعليقة موسى ، وبئر موسى فى دير طور سيناء . وصخرة موسى فى وادى فيران .. وحتى سمك موسى .. الذى قال عنه أقباط مصر - كما يرى أبراهيم غالى - فى تقاليدهم أنه انشق مع انشقاق مياه البحر .. والذاك سمى بسمك موسى .. وان كان ذلك يحتاج الى بحث وتدقيق .



## الفصل الرابع عشر

### موسى فى القرآن الكريم



اطلنا الحديث حول سيدنا موسى ، وحول ( الخروج ) ٠٠  
وحول (جنسية) نبي الله موسى ، وحول بنى اسرائيل . كما عرضنا  
لاجتهاادات الذين ادلوا بدلوهم حول ما هو الفرعون الذى ظهر فى  
عهده سيدنا موسى ؟! وكذلك الوادى المقدس فى سيناء ، هل هو  
فى طور سيناء ، أم فى منطقة وادى سدر ؟!

وكل الذى عرضناه هنا للامانة العلمية فقط ، ولن يزيد  
الاستزادة من المحاولات التى استمرت - واعتقد أنها ستستمر -  
حول موسى وقصة ( الخروج ) ٠٠

وأنا أعتقد أنه ستكون هناك بحوث - بعد أن جلى الاسرائيليون  
عن ثلثي سيناء - من علماء آثار وأديان يهود ، يحاولون -  
مفرضين - أن ينفوا أنه كان فى سيناء خروج ، ويحاولون أيضا  
أن يشككوا فى جبل موسى ، وأنه كان الجبل المقدس . والدليل  
على ذلك ما ذكرناه من رأى للاستاذ منشة جابريل استاذ  
الجغرافيا وتاريخ الاديان ، بالجامعة العبرية ، الذى قال أنه يتفق  
مع رأى البعثات الامريكية والاسرائيلية والامريكية ، التى نقبت  
فى سيناء بعد عام ١٩٦٧ ، والتى تأكد لها أن الوادى المقدس هو  
وادى سدر ، وليس منطقة جبل موسى ٠٠ !!

وقد قال الاستاذ منشة جابريل هذا الرأى لمجلة المانية .  
وحين سألته لماذا لا ينشر هذا الرأى وهو رأى جهة علمية ، قال  
بالحرف الواحد :

- ان اليهود يحجون كل عام ، ومنذ القرن السابع الميلادى،  
وحتى اليوم الى جبل موسى ، ويتحملون مشقة الوصول اليه ،  
وتسلىق ٣٨٠٠ درجة من السلالم للوصول الى قمة الجبل . التى  
يعتقدون أن موسى كلم ربه فوقها ، وتلقى منه الرسالة والوصايا،

حتى صار ذلك الجبل بالنسبة لهم ، كالكمية بالنسبة للمسلمين  
.. ولا يقل عدد من زاروا هذا الموقع عن عشرين مليون يهودي .  
واعلان الحقيقة سيخيب آمالهم ، ويفقدهم الثقة فى أسطورة  
تحولت الى عقيدة ( .. !!

هكذا قال الاستاذ منشة جابريل .. من أن أسس الديانة  
اليهودية على جبل سيناء وتلقى الوصايا العشر .. هى أسطورة  
تحولت الى عقيدة .. ولا أعرف بالضبط ما هو السر وراء ذلك ،  
بعد أن عرف اليهود أن حرب أكتوبر ستقتلع جذورهم من سيناء ،  
والى الابد .. وأن اليهود المؤمنين الذين سيزورون جبل سيناء ،  
بالإضافة الى أنهم سيحجون هناك ، فستكون المنطقة سياحية نفند  
مصر ، ولا يتصور ذلك الاسرائيليون .

لكن مع اتفاق منشة جابريل مع أبحاث وتنقيت البعثات  
أيام الاحتلال ، فأننا نطمئن ، اليهود ونقول لهم ان موسى  
نبي الله وكليمه . وأن العقيدة اليهودية ، أو الموسوية ، هى عقيدة  
الهيبة ، وليست أسطورة كما يحاول أن يرهض بها المفرضون .



والى هؤلاء اليهود .. ولكل من عنده شك ، نذكر ما ورد فى  
القرآن الكريم - وهو كتاب الله لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من  
خلفه - بالنسبة لبنى اسرائيل .. هؤلاء الذين أتمبوا نبيهم كما لم  
يتعب نبي مرسل من قبل ولا من بعد مع من أرسله اليهم الله .

والواقع أن عناية القرآن الكريم باليهود وأخبارهم ، كانت  
أمرا طبيعيا . فقد كانوا من أعداء الرسالة المحمدية ، وأشدهم  
نقضا لليهود ، كما نقضوها عدة مرات مع نبيهم موسى بأعتراف  
( التوراة ) نفسها . ولم يطنب القرآن الكريم فى قصة مثلما أطنب  
فى قصة موسى بن عمران عليه السلام . كما لم يفصل القرآن  
الكريم فى مساوى قوم ، مثلما فعل فى مساوى بنى اسرائيل .

الذين شاهدوا ولمسوا معجزات نبي الله موسى ، ومع ذلك كفروا بالله ورسوله ، وأصرروا على الوثنية ، وعبدوا العجل ، وحرقوا التوراة .

وبالرغم من رحمة الله على بني اسرائيل ، أثناء خروجهم من مصر الى سيناء ، ونجائهم ، وبالرغم من معجزات النبي موسى ، وانزال المن والسلوى ، وظليل القمام لهم .. وبالرغم من طلباتهم الكثيرة المتعددة .. بالرغم من ذلك كله ظل بنو اسرائيل قساة غلاظ انقلوب على استعداد دائم للتمرد والارنداد .

فما أكثر ما تنمر بنو اسرائيل على موسى منذ البداية ..

ومثال ذلك ، في التوراة ، حيث تقول : ( فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم ، واذا المصريون راحلون وراهم ، ففزعوا جدا ، وضرع بنو اسرائيل الى الرب ، وقالوا لموسى هل لانه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية . ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ، أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين : كف عنا لنخدم المصريين ، خير من أن نموت في البرية)؟! وتقول التوراة في مكان آخر : ( فتذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية ، وقال لهما بنو اسرائيل ، ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر ، اذ كنا جالسين عند قسودور اللحم ، ناكل خبزا للشبع ، فانكما أخرجتمانا الى هذا الفقر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع ) .

وفي مكان ثالث ، تقول التوراة : ( فخاصم الشعب موسى ، وقالوا اعطونا ماء لنشرب ، فقال لهم موسى ، لماذا تخاصمونني ، لماذا لا تجربون الرب . وعطش هناك الشعب الى الماء ، وتذمر الشعب على موسى . وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشيها بالعطش . فصرخ موسى الى الرب قائلا : ماذا أفعل بهذا الشعب ، بعد قليل يرجعونني ) .

هذا ٠٠ قليل من الكثير مما جاء فى التوراة ، وقد كتبها  
اليهود أنفسهم ، ونحيل القارئ اليها لقراءتها فى سفر الخروج ٠٠

وفى القرآن الكريم الكثير مما فعله بنو اسرائيل بسيدنا  
موسى عليه السلام :

● فى سورة الاعراف : « وجاوزنا بنى اسرائيل  
البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل  
لنا آلهة كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ) .

● فى سورة البقرة : ( واذا قلتُم يا موسى ، لن نصبر على  
طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها  
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى  
بالبذى هو خير اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم ) .

● وفى سورة طه : « يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ،  
الا تتبعن افعصيت امرى . قال يابن ام لا تأخذ بلحيتى ولا براسى  
انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى ) .

● وفى سورة المائدة : « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى  
كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتتقلبوا خاسرين . قالوا  
يا موسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ،  
فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون انعم  
الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون . وعلى  
الله توكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا  
ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هنا قاعدون . قال  
رب انى لا املك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين .  
قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على  
القوم الفاسقين ) .

● وفى سورة البقرة أيضا : ( واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا

فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا • قالوا سمعنا وعصينا ، وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بنس ما يأمركم به إيمانكم أن كنتم مؤمنين ) •

● وفي سورة البقرة كذلك : ( واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ) •

● وفي سورة النساء : « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فيما نقضتم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم » •

● وفي سورة طه : ( يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ، ونزلنا عليكم المني والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفؤا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ) •

وهناك رأى يرى أن سيدنا موسى عندما جاء بالالواح وعرض ما بها على بني إسرائيل في سيناء ، أعرضوا عنها ، ولم يقبلوا شرع الله لما رأوا فيها من تكاليف • فأمر الله جبريل عليه السلام ، فقطع جبل الطور - أو الجبل - من أصله ، ورفع فوقهم ، وهددهم موسى بأنه إن لم يقبلوا تعاليم الله الذي أنجاهم من فرعون ، فإن الله سيلقي عليهم الجبل ، فيقضى عليهم • وقد ارتعد بنو إسرائيل لهذا المنظر ، وقبلوا شرع الله • ولكنهم سرعان ما نكَلُوا ، فقال لهم الله : ( كونوا قردة خاسئين ) - كما جاء في سورة البقرة - أي جامعين بين سوء المنظر والمظهر ، وبين حقارة الطوية والخسة ••

ومن العجيب أن بعض اليهود ، حتى العهد الحاضر ، يخافون

من جبل الطور أن يصبح يوما مقبرة لهم .. وربما هذا هو السبب  
الذى جعل منشأة جابرييل وغيره ، وجعل الكثير من الاحبار اليهود  
يحاولون اغفال جبل موسى ، ويروجون بأن تجلى الله لموسى لم يكن  
هناك ، وانما فى وادى سدر .



ونأتى الى سيناء فى القرآن الكريم .. حيث هناك رباط  
وثيق .

يذكر القرآن الكريم سيناء بكسر السين . ويذكرها القرآن  
الكريم مضافا اليها كلمة ( الطور ) . فيقال ( طور سيناء ) ، كما  
جاء فى الآية الكريمة : ( وشجرة تخرج من طور سيناء ، تنبت  
بالدهن وصيغ للأكلين ) .

وقد سماها - أيضا القرآن الكريم ( سينين ) ، كما جاء فى  
قوله تعالى : ( والتين والزيتون وطور سينين ) .

وفى سيناء .. الوادى المقدس ، حيث يذكر القرآن الكريم  
فى سورة طه مخاطبا سيدنا موسى : « انى آنا ربك ، فاخلم نعليك  
انك بالواد المقدس طوى ) ويوجد فى سيناء ما ذكره القرآن الكريم  
من : الوادى الايمن ، والبقعة المباركة ، كما جاء فى سورة  
القصص : ( فلما قضى موسى الاجل ومار بأهله آنس من جانب  
الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعل آتيكم منها بخبر  
أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاه نودى من شاطئ  
الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا  
الله رب العالمين ) .

أيضا فى سيناء ( الطور ) وهو الجبل . وقد تكرر ذكر  
الطور فى آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى فى سورة  
مريم : ( وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ) . كما  
ذكر القرآن الكريم الطور فى سورة التين : ( والتين والزيتون  
وطور سينين ، وهذا البلد الامين ، لقد خلقنا الانسان فى احسن



( يقويم ) ٠٠ وواضح أن الحق سبحانه وتعالى قد جعل ( الطور ) أحد أشياء أربعة أقسم بها تنويعها بشأنها وتذكيرا بمكانتها .  
ولما يقول د٠ أحمد شلبي في بحث له بمجلة الهلال في يونيو ١٩٧١ بعنوان : « سيناء والاديان السماوية : ان هناك رباطا مقدسا يربط بين سيناء والاسلام ، ذلك هو ورودها في القرآن الكريم . فاحدى سور الكتاب سميت باسم ( الطور ) . وورد ذكر الطور في غير هذه السورة ثمان مرات . وارتبط في مرتين منها بكلمة ( سيناء ) أو سينين . ويرى بعض الباحثين أن المقصود ( بطور سيناء ) أو ( طور سينين ) ٠٠ شبه جزيرة سيناء كلها ، وليس جبل الطور وحده ، من باب اطلاق الجزء على الكل . كما أقسم الله سبحانه وتعالى بالطور في مكانين من القرآن الكريم هما : ( والطور وكتاب مسطور في رق منشور ) ٠٠ ثم القسم اثنتى في قوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور في رق منشور » . وهذا يدل على مكانه الطور في الفكر الاسلامي . كما ورد ذكر الطور مرة للتدليل على صدق رسالة سيدنا محمد ، حيث يقول الله تعالى : ( وما كنت بجانب الطور اذا نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير قبلك ) فآله سبحانه وتعالى يقول لرسولنا محمد عليه الصلاة والسلام ، أنك يا محمد لم تكن بالقرب من طور سيناء حينما نادينا موسى ، ولكننا أعلمناك ذلك لتقدمه لقومك دليلا على صدق دعوتك ، ولتنذروهم بعد أن مرت فترة طيلة على دعوة اسماعيل للعرب ، فأصبح العرب في عهدك - لظول الهدى بينهم وبين اسماعيل - كأنهم لم يشهدوا دعوة من قبل .



ونعود الى قصة سيدنا موسى بناء على ما جاء في سور القرآن الكريم وعلاقته بسيناء ١٠٠

٠٠ وكما قلنا من قبل ، فإن موسى ولد في فترة وجسود العبرانيين في مصر . وأمه حين ولدته ، وضعت في صندوق محكم وألقته في النيل ، ( فقالت لاخته قصيه ، فبصرت به عن حنب

وهم لا يشعرون ) • وقد قيل أن امرأة فرعون وجدت الصندوق ووجدت الطفل فيه ، وراحت أن تربيته • وسالت أخته لامرأة فرعون : ( هل أدلكم على أهل بيت يكملونه لكم ) ٤ • وجاءت بامه لترضعه : ( فرددناه الى أمه كي ترضعها ولا تحزن ) •

وكبر موسى في قصر فرعون ، وعرف أنه عبري ، ورأى ذات يوم مصرىا وعبريا يقتتلان فقتل موسى المصرى • ويقال أن العبري استنجد به مرة أخرى فنهزه موسى ، فخاف العبري وفطن على موسى بأنه قتل المصرى • فهرب موسى عبر صحراء سيناء الى ارض مدين • وهناك وجد فتاتين أمام بئر تريدان أن تستقيا ، ولكنهما لم يستطيعا ، فادى موسى المهمة عنهما • وعادت الفتاتان الى أبيهما الشيخ وهو النبی شعیب كما ورد في القرآن الكريم وقصتنا بحمله فأصرقا واقترحتا أن يستاجر أبوهما هذا الشاب القوى الامين . ووافق الأب ، وكان ميثاق على أن يتزوج موسى إحدى الفتاتين لقاء أن يخدم الشيخ ثمان حجج أو عشر أن اراد وبالفعل حدث الاتفاق . وتزوج موسى إحدى البنيتين . ثم اراد بعد انتهاء المدة الرجوع الى مصر عبر سيناء ، وفي طريق العودة ، بصر نارا في طور سيناء ، في جانب الطور اليميني . فقال لاهله : ( امكثوا اني آنست نارا لهلى آتيكم منها بقبس أو اجد على النار هدى . فلما آتاها نودى يا موسى انى أنا ربك ، فاطلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك . فاستمع لما يوحى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ) •

واقترب موسى من النار ، فوجدها شجرة خضراء • • وفي رواية عن ابن عباس قال : رأى موسى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها ، كأنها نار بيضاء تنقد • وسمع تسبيح الملائكة ، ورأى نورا عظيما فخاف وبهت • فألقيت عليه السكينة ثم ناداه الله • •

وفي رواية عن وهب ، قال : ( ظن موسى أن الشجرة أوقدت ، فأخذ من رقاق الحطب ليقتبس من لهبها ، فمالت اليه كأنها تريده ، فتأخر عنها وهابها • • ثم لم تزل تطمعه ويطمح

فيها ، ثم لم يكن أسرع من خمودها كأنها لم تكن . ثم رمى موسى بنظره الى فرعها ، فاذا خضرته ساطعة في السماء ، واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار . فلما رأى موسى ذلك ، وضع يده على عينيه ، فناداه الله ..

على أنه بعد أن علم الله نبيه قواعد الدين من التوحيد ، واقامة الصلاة ، وحسن السيرة ، والايمان الوثيق بالله وبالحساب ، زوده بالمعجزات التي تشهد من أزر رسالته وتدعمها ..

وسأل الله موسى ( وما تلك يمينك يا موسى ) .. وأجاب موسى ربه قائلا : ( هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى ) .. فجعله الله جل شأنه يرمى عصاه ، فاذا هي حية تسعى . ثم أمر الله نبيه موسى أن يضرسح يده في جيبه ، ( فتخرج بيضاء من غير سوء ) .. ثم أمره أن يذهب الى فرعون - مزودا بالمعجزات - لان فرعون طغى . فطلب موسى من ربه أن يشرح صدره لهذه المهمة ، وأن يحل عقدة لسانه ، ليفهموا قوله .. لانه كما يقال ( ألثغ ) والسبب أنه حين كان طفلا أخذ جذوة من النار ليأكلها فاثرت في لسانه . كما طلب موسى من ربه أن يبعث معه هرون أخاه ، ليشهد من أزره ، ويشركه في أمره .. واستجاب له الله ..

وذهب موسى الى مصر ليلبغ رسالة ربه ، ومعه هرون أخوه ، ليدعوان فرعون الى الايمان .. وأرى موسى فرعون المعجزات ، فلم يصدقها فرعون ، ووصف موسى بأنه ساحر عظيم . وجمع فرعون السحرة من أنحاء مصر ليحاجوا موسى . لكن السحرة لم يستطيعوا أن يفعلوا وأبطل الله سحرهم .. وهنا قال السحرة ( آمنا برب موسى وهرون ) . وصدقوا رسالة موسى . وحين أنذرهم فرعون بأشد العذاب ، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، تمسكوا بموسى وفضلوا الموت على تعيم الدنيا الزائل ..

وتوالت الاحداث بين الايمان والشرك .. حتى أمر الله موسى وقومه الذين آمنوا بدعوته عبور سيناء الى فلسطين . وفي مسيرهم يسر الله لهم عبور البحر ، وأغرق فيه فرعون . وفجر الله لبنى إسرائيل الماء في سيناء ، وأنزل على بنى إسرائيل المن والسلوى .

وفي الوادي المقدس ، أوحى الله الى موسى ( بأوصايا العشر ) ، التي تدعو اليهود الى التوحيد ، ولا يكون لهم اله الا الله الواحد الأحد الفرد الصمد . وألا يصنعوا تمثالا يتخذونه صنما يعبدونه ويسجدون له . وألا يلهوا باسم الله الذي لا يغفر للعابثين باسمه . وأن يستريحوا يوم السبت من كل اسبوع ، ولا يقتلون ، ولا يزنون ولا يسرقون ، وألا يشهدون زورا قط ، وأن يسلموا من الحسد والتطلع الى ما في يد الغير .

لكن .. بنى إسرائيل ظلوا في غيهم وأغضبوا النبي موسى ، ونسوا وعد الله لهم ، ونقضوا ما وعدوا به موسى .. حتى أن موسى طلب من ربه أن ينزل عليهم غضبه الماحق . وعاقب الله قوم موسى على كفرهم فجعلهم يقتتلون . بل أن شعب إسرائيل ، حينما رفض الدخول الى الارض المقدسة في فلسطين ، مخالفين بذلك الله ورسوله ، فإن الله حرمها عليهم أربعين سنة ، يتوهون فيها في الصحراء ، ويقاسون الألم والعذاب .

ويقرر بعض الباحثين أن التيه بسيناء هو الذي حدد بأربعين سنة ، وليس تحريم دخول الارض المقدسة . فالتحريم مطلق أبدي ، أى لن يكون لهم فيها استقرار . ويدللون على ذلك بأن سيدنا موسى مات في وادي الاردن ، ولم يدخل القدس ، رغم أنه كان يراها . لكن الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه ( قصص الانبياء ) ،

له رأى آخر في تفسير التيه بأربعين سنة ، فيقول : ( ان العلماء يقررون أن حضارة العلم خمس عشرة سنة ، فاذا ابتدأت امة تتعلم ، فاتها تجنى ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة . ونما حضارة الاخلاق فمدتها أربعون سنة . لذلك أراد الله أن تبقى بنو

اسرائيل فى البرية أربعين سنة ، حتى يفنى الجيل الذى نشأ ،  
ويأتى جيل جديد ) •

كما يقرر الباحثون أيضا ، من علماء الانثروبولوجيا ، أن  
خروج بنى اسرائيل من مصر ، كان حدا فاصلا بين عهد النقاء ،  
وعهد اختلاط الدم • فقد كان بنو اسرائيل يعيشون - كما  
وصفناهم من قبل - فى مكان أسبى ( بالجيتو ) الكبير فى مديرية  
الشرقية ، بأرض ( جوشن ) •• لكن خروجهم من مصر ، لما يعون  
غوستاف لوبون فى كتابه ( اليهود فى الحضارات الاولى ) ، ألحق  
بهم عددا من المصريين الساخطين ، ومن الاسارى والعبدة • ولما  
جاوز بنو اسرائيل البحر - بحر القلزم - بدوا وكانهم عشيرة  
واحدة ، كأنها من نسل رجل واحد ، وإن كانت فى الحقيقة فاتحة  
صفوفها لجميع الفارين معها • ويؤيد هذا الرأى أيضا العلامة  
مرجليوث فى كتابه ( تاريخ الشعب اليهودى ) •



وهناك توضيح علينا ألا نهمله ، وهو أن سفر العدد من  
التوراة ، يقول أن الذين خرجوا مع سيدنا موسى الى سيناء بلغ  
عددهم ٦٠٠ ألف من الرجال القادرين على الحرب ، بخلاف أبنائهم  
وزوجاتهم وتابعيهم • وهو تقدير ، لا شك ، مبالغ فيه • فإذا كان  
اليهود يعيشون فى مصر فى أرض ( جوشن ) ، أو ( جاسان ) ••  
فإن هذه الأرض - أو المنطقة - بعد البحوث التى أجريت ، لم تكن  
لتستطيع أن تتحمل هذا العدد الضخم • ثم إن صحراء سيناء  
لا يمكن أن يكون فيها من الموارد ، ما يكفى هذا العدد الكبير من  
المأكول والمشرب • ولذلك فنحن نوافق العلامة السير فلندرز بترى  
فى كتابه ( مصر واسرائيل ) ، الذى يرى أن هذا التقدير فى  
التوراة مبالغ فى رقمه ••  
فلاصحاح الاول من سفر العدد يحصى الخارجين من مصر ،  
لنسل يعقوب على النحو التالى :

راؤبين ٤٦٥٠٠  
 شمعون ٥٩٣٠٠  
 جاد ٤٥٦٥٠  
 يهوذا ٧٤٦٠٠  
 يساكر ٥٤٥٠٠  
 زبولون ٥٧٤٠٠  
 أفرام ٤٠٥٠٠  
 منسى ٣٢٢٠٠  
 بنيامين ٣٥٤٠٠  
 دان ٦٢٧٠٠  
 اشير ٤١٥٠٠  
 نفتالي ٥٣٤٠٠

ويقترح العلامة السير فلنדרز بترى تفسير خانة الآلاف ، بأنها تعنى عدد العشائر التى فى كل قبيلة • وخانة المئات ، بأنها تعنى العدد الحقيقى لافراد كل قبيلة • ويعتمد فى هذا التفسير بأن كلمة ( الف ) بالعبرية • تدل على العدد ، وتدل أيضا على العشيرة أو الاسرة • و ( ألف ) أيضا اذا وضعنا الهمزة تحت الالف فانها تعنى بالعربية الالف أو الاسرة •

وتطبيقا لذلك تكون قبيلة راؤبين مثلا تضم ٤٦ ألفا أو عشيرة ، أو أسرة • مجموع اعضائها حوالى ٥٠٠ شخص. وقبيلة شمعون مثلا تضم ٥٩ أسرة ، مجموع اشخاصها حوالى ٣٠٠ شخص • وهكذا • وهذا بالتالى يجعل عدد الرجال الذين خرجوا من مصر مع موسى ، والقادرين على الحرب ٥٦٥٠ بخلاف ابنائهم وتابعيهم • وهو تقدير مقبول كما يقول السير فلنדרز بترى - اذا عرفنا أنه كانت هناك ( قابلتان ) فقط تقومان بمساعدة النساء الاسرائيليات على الوضع ، وأن موسى كان يفصل بنفسه فى المنازعات التى كانت تشجر بين أبناء شعبه •

وتوضيح آخر لا بد منه فى ختام هذا الفصل ..

ففى الموسوعات الكثيرة مثل ( موسوعة تاربخ العالم ، و ( موسوعة ايفرى مان ) ، و ( موسوعة حتشسسون للقرن العشرين ) ، وكتاب ( اديان العالم ) للويز . و موسوعة هـ . ج . ويلز : ( موجز تاريخ العالم ) .. هذه وغيرها من الكتب الكثيرة ترى أن الخروج تم فى عهد رمسيس الثانى . بينما تقول الدراسات الحديثة أن الخروج حدث فى عهد منفتاح ، أو مرتبتاح ابن رمسيس الثانى وخلفه .

ويرى الدكتور الفرنسى موريس بوكاى فى كتابه ( الانجيل والقرآن والعلم ) أنه طبقا للعقيدتين المسيحية والاسلامية ، فان هناك فرعونين لهما علاقة بموسى عليه السلام . وقد جاء برأيه هذا بعد دراسة لمومياء رمسيس ومرتبتاح ، ساعده فيها خيرا المنظار الكهربائى المشع د . يوسف المنيلوى ود . رجائى المليجي . وهذا الرجل الطبيب كشف على مومياء مرتبتاح ، واكتشف مادة ملحية مترسبة داخل تجاويف صدره ، ونتيجة لذلك فقد قال د . موريس بوكاى أن مرتبتاح مات غرقا ، ثم امتلأ جسده بماء البحر ، وبعد تبخر الماء لم تبق الا الترسبات الملحية التى اختلطت بمادة الراتنجات ، المستخلصة فى عملية التحنيط .

ونحن هنا نؤكد بعد دراسات مستفيضة أن خروج موسى قد تم فى عهدى رمسيس الثانى ومرتبتاح لان رمسيس الثانى عاش اكثر من ٩٠ سنة .. وأنه تنازل عن الملك لابنه مرتبتاح وهو حي يرزق .. وربما جاء الخروج فى السنوات الاولى من حكم مرتبتاح ، بينما والده كان لا يزال على قيد الحياة .





## الفصل الخامس عشر

### المسحية وسينها



في سفر هوشع ، وأسفار أغلب الانبياء اللاحقين ، بعض الآثار التي تدل على أن النبي موسى لقي نهاية عنيفة ، اثر تمرد قام به ضده فريق من شعب اسرائيل العنيد العاصي . وأن الموسوية - الشريعة التي نزلت على سيدنا موسى - قد هجرت . . وقد يكون هذا سبب بكاء اليهود عند حائط المبكى تكفيرا لهم عما ارتكبوه من ذنوب في حق النبي موسى .

ولقد قيل أنه في أواخر عهد ( الاسر البابلي ) ، انبثق الامل بين الشعب اليهودي بأن الرجل الذي أنقذ اليهود ، ثم جحدوا فضله وعاملوه بكل قسوة ، سوف يعود من مملكة الموتى ، ليقود شعبه النادم التائب ، وغير شعبه أيضا ، الى مملكة البركة الخالدة . . وقد كان هذا فيما يبلو من مبررات الارهاص بقدم السيد المسيح ، كرسول الى بني اسرائيل .

وجاء السيد المسيح ، وكما يقول ابن اسحاق الثعلبي في كتابه ( قصص الانبياء ) أن مولد السيد المسيح كان بعد مضي ٤٢ سنة من حكم أوغسطس ، وواحد وخمسين سنة من ملك ملوك الطوائف .

يقول انجيل متى : أن هيردوس ملك اليهود من قبل قيصر ، لما علم بولادة السيد المسيح ، ورأى أن مجوسا من بلاد المشرق ، قد جاءوا خصيصا ليسجدوا للطفل الالهى ، الذي رأوا نجمة ، ويقدموا له هداياهم من الذهب والمر واللبن . . سأل هيرودوس المجوس : لماذا اختاروا الذهب ، المر ، واللبن ؟ فقالوا : تلك أمثاله ، لان الذهب هو سيد المتاع كله ، وكذلك هذا النبي هو سيد أهل زمانه . ولأن المر يجبر به الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبي يشفى به الله كل سقيم ومريض . ولأن اللبن ينال دخانه

السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبي يرفع به الله إلى السماء ، لا يرفع أحد غيره (١) .

هنا يطلب هيرودوس من المجوس أن يبحثوا عن الطفل المسمى بالالهى ، ويقدموا له هداياهم ، ثم يرجعوا اليه لينبؤ به بمكان المسيح المولود ، ليذهب هو أيضا ويسجد له !!

لكن المجوس ، بعد أن اهتمدوا الى بيت لحم ، وإلى البيت الذى كان السيد المسيح فيه ، وسجدوا له ، وقدموا هداياهم .. لم يعودوا الى هيرودوس .. واذ أوحى اليهم فى الحلم ألا يرجعوا الى هيرودوس ( ) .

أما هيرودوس .. فلما أحس أن المجوس قد سخر وامنه ، فقد غضب ، بل استشاط غضبا ، وأرسل جنوده القساة ، ليقتلوا جميع أطفال ( بيت لحم ) ، وكل تخومها من ابن سنتين ، فما دون هذه السن .. حتى يضمن بذلك التخلص من السيد المسيح . لكن لم يدر هيرودوس ، أن الملاك ظهر ليوسف التجار فى الحلم - وهو خطيب السيدة العذراء مريم البتول - وقال له ، كما فى سفر هوشع ، ( قم فخذ الصبي وأمه وأهرب الى مصر ، وكن هناك حتى أقول لك . فان هيرودوس مزعج أن يطلب الصبي ليهلكه . فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا ، وانصرف الى مصر . وكان هناك الى وفاة هيرودوس ، ليتم المقول من الرب ، بالنبي القائل : من مصر دعوت ابنى ) .

وانجيل متى - الاصحاح الاول - يتحدث عن هجرة يسوع المسيح الى مصر عبر سيناء ، فيقول : ( أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدها حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان بارا وأم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر فى هذه

(١) وإن كانت بعض قصص الانبياء تؤكد أن هناك اثنين من الانبياء رافعا إلى السماء هما اندريس عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام .

الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأك . لان الذى حبلى به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع . لانه يخلص شعبه من خطاياهم . . . وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعو اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما امره ملاك الرب واخذ امراته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع ) .

ثم يضيف انجيل متى قائلا : فلما مات هيرودوس اذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر ، قائلا : قم واخذ الصبى وامه واذهب الى ارض اسرائيل . لانه قد مات الذين يطلبون نفس الصبى . فقام واخذ الصبى وامه وجاء الى ارض اسرائيل . ولكن لما سمع ان ارخيلالوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودوس - اى بعد هيرودوس - ابيه خاف ان يذهب الى هناك . واذا وحي اليه في حلم انصرف الى نواحي الجليل واتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة ، لكى يتم ما قيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا ) .



وقد كان هروب العائلة المقدسة الى مصر عبر سيناء . ومصر كما يقول الثعلبى هي الربوة . . كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ( وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين ) . ويبدو ان هيرودوس قد علم بعد قوات الاوان بهروب العائلة المقدسة الى مصر ، فارسل عشرة جواسيس من قبله الى سيناء ومصر ، وامرهم ان يفتشوا بتدقيق عن الصبى ، ويأتوا به حيا ليقتله بيده . ولكن الجنود العشرة لم يهتدوا الى الصبى الالهى ( يسوع ) . ولم يعرفوا طريقه ومسيرته في سيناء ، لانه اخفى من أعينهم . وقد كانت العائلة المقدسة تغير مكان اقامتها في مصر ، شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . ومات هيرودوس قبل ان يتمكن من بلوغ مآربه .

وحين أذن للصبي بالعودة ، وقد بلغ سنه على أغلب الاحوال اثنتى عشرة سنة ، غادر الصبي الالهى جبل قسقام ، الذى كان آخر تقبضة وصل اليها فى جنوب مصر ، عائدا الى فلسطين ، وهكذا كانت الرحلة المقدسة الى مصر ارض الايمان عبر سيناء المقدسة .

لكن ٠٠ فى أى طريق من سيناء سارت العائلة المقدسة ؟ البعض مثل عبد الحميد جودة السحار فى كتابه عن السيد المسيح يقول : أنها سارت فى طريق القوافل الذى أوردته التوراة ، هذا الطريق الذى بيع فيه يوسف الصديق بدينارهم معلومة للاسماعيليين . وفى نفس هذا الطريق سار نبي الله يعقوب بأهله ليدخلوا مصر بسلام ، بعد أن صار يوسف على خرائن الارض فى مصر . وفى هذا الطريق أيضا سار موسى هاربا من وجه فرعون بعد أن قتل المصرى .

ويضيف جودة السحار : لقد استمرت ( العائلة المقدسة ) فى سيرها بين شروق وغروب ، حتى أشرفت على طور سيناء ، فخيفت القلوب ورفرفت كجناح حمامة . فقد تجلى الله لموسى على هذا الجبل ، وكتب فى الألواح وصاياه . وذهبت العائلة الى الوادى المقدس طوى ، فخلع يوسف التجار بعلية ، ووضعت مريم البتول ابنها على الارض ، فشخص بصره الى السماء ، وخرت هى ساجدة ، كانوا فى تلك البقعة الطاهرة يناجون الله .

ويدلل السحار بأن العائلة المقدسة ذهبت الى الوادى المقدس بطور سيناء ، بأن يورد الآية الكريمة ، من القرآن الكريم : ( وجعلنا ابن مريم وامه آية ، وآتيناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ) يعنى أن السحار يرى أن الربوة والقرار المعين هى الوادى المقدس ٠٠ بينما يرى البعض أن الربوة والقرار المعين ، هى مصر كلها ٠٠ أو ربما هى من اطلاق اسم الجزء على الكل .

والواقع أن أغلب المصادر التى تناولت مسيرة العائلة

المقدسة ، بعد خروجها من ( بيت لحم ) ، لم تذكر المناطق والمدن التي مرت بها ، بعد تركها مدينة ( بير سسبح ) ، من حدود فلسطين . ولذلك يأتي السؤال : هل العائلة المقدسة اختزلت وسط سيناء حتى وصلت إلى جنوبها ؟!

الإجابة على هذا السؤال تقف أمامها ظروف شبه الجزيرة، وهل كانت هناك طرق ملائمة وآبار ، وماء وغيرها .. !!

وأنا أعتقد أن العائلة المقدسة قد تكون مرت بالوادي المقدس ، وليس اختراقا لشبه الجزيرة ، وإنما سارت في الطريق الساحلي السهل القصير . وكثير من الكتاب يؤيد هذا الرأي . لكن ليس الطريق الساحلي السهل هو الذي سارت فيه العائلة المقدسة بالضبط .. فربما أنها سارت في طريق آخر يبعد عن الطريق المعروف ، حتى لا يقتضي أثرها جواسيس هيرودوس .

فالكاتب المؤرخ محمود كامل في بحث له ، يقول : أن العائلة المقدسة سلكت الطريق الحربي العظيم ، الذي يبدأ من رفح ، فالشيخ زويل ، ثم العريش ، ثم بير مزار جنوب الفلوسيات عند أقصى شرق بحيرة البردويل على شاطئ البحر المتوسط ، ثم جنوب البردويل ، ثم بير العبد، ثم بير رمانة - قطية حاليا - ثم المجدول جنوب الفرما مباشرة ، ومكانها الآن ( تل الحير ) ، ثم رمانة على مقربة من المحمدية ، ثم سيل - ومكانها الآن تل أبو صيفة - على بعد ثلاثة كيلو مترات شرقي القنطرة شرق .

لكن هذا الطريق كما قلنا كان مطروقا ، ولا بد أن تكون العائلة المقدسة وهي تسير هربا من الحاكم الروماني ، وتعرف أن وراها زبانية .. أقول لا بد أن تكون العائلة المقدسة قد سارت في طريق آخر غير الطريق المعروف .

على أن المهم ، أن سيناء صارت مكانا مقدسا لدى المسيحيين، وهي أيضا مكانا مفضلا للرهبان ، الذين فروا - كما فرت العائلة

المقدسة - يدينهم من الاضطهاد الروماني ، ليمارسوا عبادتهم في سلام .

والمهم أيضا أن سيناء ورمالها وجبالها وسبخاتها ، بل وآبارها ونخيلها .. قد شاهدت الرهبان الاول الذين تعينوا في أرضها وأظلتهم سماؤها بل أن الرهبانية كحركة دينية عالمية ، شاهدت سطورها الاولى في العالم على أرض سيناء المباركة .



والواقع أنه لم يعرف اضطهاد حدث لاصحاب دين توحيد ، مثلما حدث لاتباع يسوع المسيح عليه السلام ، على يد الامبراطورية الرومانية الوثنية . ولم يشتد التنكيل والالقاء للوحوش الضارية بالمؤمنين المسيحيين ، مثلما حدث للمسيحيين في مصر بالذات .. التي لعبت ادوارا هامة وخطيرة في العصور المسيحية الاولى ، سواء في الوادي او في سيناء .

ولقد تصاعد الاضطهاد الروماني وتوحش ، منذ أيام الاباطرة الرومان : كراكلا ( ٢١٥ م ) ، وديكيوس ( ٢٤٩-٢٥١ ) ، هاليوس ( ٢٥١-٢٥٢ ) .. وأن كان هذا الامبراطور - استثناء - قد سمح للمسيحيين ببناء معابد وامتلاك العقار . ثم اشتد الاضطهاد في عصر فاليريانوس ( ٢٥٣-٢٦٠ ) ، وجالينوس ( ٢٦٠-٢٦٨ ) .

على أن الاضطهاد وصل الى ذروته في عهد الامبراطور دقلديانوس ( ٢٨٤-٣٠٥ ) .. حتى أن المسيحيين سمووا عصره بعصر الشهداء ، وبدأوا به التاريخ القبطي تخليدا وتذكيرا ، من كثرة الجثث والاشلاء التي تبعثرت ههنا . فقد أصيب هذا الامبراطور الروماني ، في سنوات حكمه الاخيرة ، منشورا امبراطوريا ، امر فيه بآبادة الكنائس وهدمها ، وحرق الكتب



المسيحية ، وحرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية ، واستباح  
دمائهم .

ومع أن هذه الاضطهادات ، استمرت في عهد من خلفوا  
دقلديانوس ٠٠ في عهد جاليريوس (٣٠٥-٣١١) ، ومكسيميانوس  
( ٣١١-٣١٣ ) ٠٠ فإن الايمان المسيحي ، وصمود المسيحيين  
الاوائل وصبرهم على المذابح والاضطهاد ، واعتقادهم أن المؤمن  
الحق ، هو الذى لا بد أن يمر فى طريق الآلام VIA DOLORIS  
٠٠ مثل الذى مر به يسوع المسيح ٠٠ أقول أن الايمان المسيحي  
جعل المسيحيين يصمدون ، لهذه الفتنة ، التى حلت بهم ٠٠ وبالفعل  
فإن هذه الفتنة بلا شك ، قد مرت ، ولكن على كثير من الضحايا  
والجماجم المؤمنة ٠٠

والواقع أن الفتنة بدأت تنقشع ويتجلى نور الايمان ، حين  
قيض الله لاتباع ياسوع المسيح امبراطورا رومانيا ، دخل فى قلبه  
بصيص من نور الايمان المسيحي ، وهذا الامبراطور هو الامبراطور  
الرومانى قسطنطين ، ابن الامبراطورة هيلانه الورة التى أضاء  
قلبا نور الايمان ، فشح على ابنها .

لقد كان عصر قسطنطين بداية لايقاف المذابح والاضطهاد ،  
واعترف للمسيحيين بدينهم كأحد الديانات والمعتقدات فى  
الامبراطورية الرومانية .

ويقال الكثير عن السبب الذى من أجله أجاز قسطنطين  
اعتناق المسيحية فى رعايا الدولة الرومانية . لكن الذى يهز الوجدان  
ما قيل من أن هذا الامبراطور ، وكان على رأس غزوة ضد أعداء  
الامبراطورية ، أنه شاهد فى منامه صليبا فى السماء فوق قرص  
الشمس ، وعليه كلمات تقول : ( بهذه العلامة تغلب أعدائك ) .  
وقيل أيضا أن السيد المسيح ظهر لعن المنام بالصليب ، وقال له (بهذا  
تغلب أعدائك ) . وبالفعل فقد كان لهذه الرؤيا فعلها . كما كان  
لامه التى اعتنقت المسيحية سرا أيضا .. دافعا للامبراطور ، لى  
يصلح مرسوم التسامح الدينى من مدينة ميلان فى ابريل ٣١١  
ميلادية ليوقف الاضطهاد . بمعنى أنه أجاز رسميا اعتناق المسيحية  
٣٤٧

في أول الامر ، ثم انضم الى جانب أتباع يسوع المسيح بعد ذلك وشرع هو بناء الكنائس بنفسه . بل انه في عام ٢٢٥ الميلادي رأس أول المجمع المسكونية في نيقية ، من أجل أن تتم وحدة المسيحيين الذين اختلفوا حول طبيعة السيد المسيح .

ومصر هي التي تزعمت هذا الخلاف وتساعد الخلاف بين أريوس واثاناسيوس حول طبيعة السيد المسيح . . وهي مشكلة نشأت . . لا داعي للخوض فيها هنا . ومن يريد الاستزادة يقرأ كتاب سليم سالم بعنوان : « تاريخ الامة القبطية » .

لقد جاء الخلاص بعد عصر طويل من الدماء والاشلاء والجحام

بدا منذ عهد الامبراطور نيرون ( ٥٤ - ٦٨ ميلادية ) . أن نيزون قد عاقب ٦٤ مسيحيا - أو كما كان الرومان يسمونهم أتباع خريستوس ، على سبيل السخرية - بالحرق العمد . والنسب الرئيسي في عقابهم كما قال بعض المؤرخين ، أن المسيحيين الاوائل كانوا في نظر الرومان جماعة تحوم حولها الشبهات بشكل أو بآخر ، وأنهم - أي المسيحيون - كانوا يمتنعون عن تقديم فروض التكريم للالهة الرومانية الوثنية ، كما كانوا لا يركعون لتمثال الامبراطور . وهذه كما يقول كتاب ( الامبراطورية الرومانية ) للمؤرخ م . ب . تشالز وورث . . كانت خيانة عظيمة للدولة الرومانية عقوبتها الحرق . وهكذا صار اعتراف المسيحي باعتراف المسيحية قرابة مائة وعشرين عاما بدأت منذ عهد نيرون الى عهد قسطنطين ، جريمة شتاء تقضى عقوبتها الى الموت والتمثيل بجثث المحكوم عليهم بالاعدام .



والسؤال هنا : كيف كان حال المسيحيين الاوائل في مصر ،

من هذه الاضطهادات ؟

الواقع انه حين تصاعدت موجة الاضطهادات بشكل لا مثيل له في التاريخ ، لم يكن أمام الكثير من المسيحيين الا تعاليم السيد

المسيح ، ومنها ما قاله : ( إذا أردت أن تكون كاملا ، فبع ما لديك وأعط ثمنه للفقراء وتعال اتبعنى ) . وقوة السيد المسيح أيضا ( أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ) .

وبالفعل ، فإنه ما أن استفحل الامر وعظمت المصيبة وكثر عدد الشهداء - هذه لفظة كانت تطلق على من يتحمل الاذى والتعذيب أو يموت فى سبيل دينه - فقد رأى البعض من المسيحيين أن ينأى يدينه الى حيث يستطيع أن يمارسه فى خشوع وأمن ، ويواصل الرسالة المسيحية . ومن هنا بدأ ما يعرف باسم (التنسك) أو ( الرهبة ) . أى الفرار الى البرية ، حتى يقضى الله أمرا .

وبعض المصادر ترى أن أول من لجأ الى البرية من المسيحيين فى مصر ، هو القديس بولس السكندرى ( ٢٢٨-٢٤٣ م ) . وقد لجأ الى الصحراء الشرقية . لكن مما تجمع الآراء عليه ، أن المؤسس الاول للرهبانية فى مصر ، كفكرة فلسفية ، هو القديس أنطونيوس ، أو مار أنطونيوس ( ٢٥١-٣٦٥ م ) ، ويقول المؤرخ ملن فى كتابه ( تاريخ مصر تحت حكم الدولة الرومانية ) . أن القديس أنطونيوس ، حين ذهب الى الصحراء ترك أرضه دون أن يتصرف فيها .

والحقيقة أن الذى ساعد على انتشار الرهبة فى مصر وعلى نشأتها ، هو اتساع صحارى مصر ، ووجود المعابد الفرعونية على أطراف وادى النيل وداخل الصحارى . فقد كان هذا دافعا للمسيحيين الاوائل فى عصر الاضطهاد ، كى يعيشوا حياة الرهبة فى مختلف المناطق ، ومن هذه المناطق بالطبع ، منطقة ( طور سيناء ) .

ومن الثابت أن الرهبان وصلوا الى منطقة جبل سيناء منذ اوائل القرن الثالث الميلادى . فهى بعيدة عن مخالب الرومان الوثنيين وظافقهم المفترسة . وهى بالقطع ، لا بد وأن لها ذكريات

تاريخية منذ رحلة السيد المسيح الى مصر .. مما يشد من ازر  
الرأى الذى يقول أن العائلة المقدسة فى طريقها الى مصر مكثت  
بعض الوقت فى الوادى المقدس طوى ، أى منطقة جبل سيناء .

واذا كان الامن والامان للمسيحيين قد حدث فى عهد  
الامبراطور قسطنطين ، فان الذين ذهبوا الى البرية من المسيحيين  
الاوائل ، قد ذاقوا حلاوة الايمان والامن فى حياة الرهبنة  
والتقشف . واستهوتهم هذه الحياة البعيدة عن زخرف الدنيا  
وصراعاتها . ولهذا فرغم التسامح الدينى ، فقد رفضوا العودة من  
البرية الى المدينة . وتحولت الرهبنة الى ( ديرية ) ، بحيث  
يبقى المسيحيون فى البرية ، يكفون أنفسهم بأنفسهم ، ولا ينظرون  
أبدا الى الورا ، وإلى نعيم الدنيا الزائل . ويقال أن أول من بدأ  
حياة ( الديرية ) فى مصر هو القديس ( باخوم ) . لتنتشر بعد  
ذلك فى صحراوات مصر ، ومنها منطقة طور سيناء بالطبع .. ثم  
تتعدى الحدود الى العالم المسيحى كله ..

ويرى ابراهيم أمين غالى .. أنه بعد الخروج قلت أهمية  
سيناء ، الى أن قفزت أهميتها من جديد مع ظهور المسيحية ، بحركة  
الرهبنة فى الصحراء . وقد كانت سيناء من قبل تتمتع بمنزلة  
ايمانية خاصة بسبب أنها الصحراء التى أقام فيها شعب اسرائيل .  
وكان لذلك الحدث أهمية خاصة ، منذ لقبت المسيحية نفسها  
باسرائيل الجديدة .

ولقد تحقق المؤرخون - منذ القرن الثانى الميلادى - من وجود  
نساك فى شبه الجزيرة ، فكان أول من تحدث عنهم وعن الاصطهاد  
الذى منوا به ( ديونيسيوس ) البطريرك الاسكندرى فى عام ٢٠٥  
ميلادية . إلا أن الرهبنة لم تنظم على حجم كبير ، الا فى القرن  
الثالث الميلادى . وكما يقول الاسقف الفرنسى هـ . لاجرانج ، فان  
الرحلات الدينية كانت كثيرة جدا فى القرون الاولى المسيحية الى  
سيناء . وكانت سيناء بالنسبة للمسيحيين تعتبر أرضا مقدسة .

ولقد لقيت حركة الرهبنة انتشارا واسعا ، حتى قدر بعض العلماء عدد المترهبين بحوالى ١٠ ٪ من مجموع سكان مصر من الذكور . وكان هناك اعتقاد عند المسيحيين الاوائل ان ميعاد نهاية العالم وشيك الوقوع ، وعلى المسيحى الحق ان يستغفر عن ذنوبه بالتقشف فى الصحراء انتظاراً لتلك الساعة الرهيبة ، حتى ينال ملكوت السموات .

على ان اهم الاماكن التى نزل بها الرهبان والنسك فى سيناء ، هى منطقة جبل موسى ، ووادى فيران ، ووادى الحمام شمال مدينة الطور ، نى ( ريتو ) القديمة . وقد اُمتلأت سيناء بالرهبان . ويقال ان الرهبان حينما استشهدوا العيش فى سيناء بحثوا عن طريق التوراة وساروا فيه ، أى مسيرة شعب اسرائيل ( الخروج ) . كما قيل ان الامبراطورة هيلانة شيدت برجين و منطقة جبل موسى فى الوادى المقدس ، وهو المكان الذى اقيم عليه فيما بعد دير سانت كاترين .

ولهذا جاء الاهتمام فى تلك الفترة ، بالبحث عن الطريق الذى سلكه شعب اسرائيل ٥٥ وفى القرن الرابع الميلادى قالوا انه فى اتجاه عيون موسى ، الواردة فى التوراة باسم ( مرة ) ثم منها الى وادى فيرنندل ، الذى يسمى الآن ( اليم ) ، ثم وادى فيران ( رافيديم ) ، وهى آخر مرحلة قبل الوصول الى جبل موسى .

وعند فجر القرن الرابع نزل ( هيلاريون ) - من جنوب غزة - الى البحر الاحمر ، ليقابل القديس أنطونيوس ، ثم عاد الى بلاده ٥٥ وانتشر تلاميذه فى أنحاء وادى العريش . كما ان الراهب ( امونيوس ) زار سيناء عام ٣٧٣ ميلادية . بمعنى ان الرحلات تعدت الى سيناء ٥٥ وكتب عنها كثيرا ٥٥ حتى أنهم يقولون أنه فى القرن الثالث الميلادى عاش راهب مسيحي فى منطقة الطور ، واسمه الناسك موسى ، وكان يشفى الكثير من الامراض ، مما جعل اكثر العرب القاطنين فى سيناء عند تخوم فيران يعتقدون

المسيحية . ثم ان الامبراطورة هيلانة كانت زيارتها لسيناء حدثا كبيرا فى العالم المسيحى ادى الى أن تصبح سيناء كمكان لحج المسيحيين اليها ، وخاصة منطقة الوادى المقدس .

ويقال أن من بين الذين لجأوا الى سيناء الراهب ( نيلوس ) ، وكان محافظا للقسطنطينية . وأنه ذهب اليها فى الاربعين من عمره حين قرر أن يزهد الدنيا . فترك وظيفته ، وهجر عائلته ، وذهب الى الطور ، فأقام فيها حوالى ١٦ سنة فى مقارة تدعى ( مقارة ايليا النبى ) . وقد مات فى عام ٤١١ ميلادية . ويروى الراهب نيلوس أن مدينة فيران فى عهده كان لها مجلس من الاعيان ، وكانت محاطة بسور كبير ، وكان بها مقر اسقفية ( أى مطرانية ) . وجدير بالذكر أنه فى القرن السادس الميلادى استخدم اسم سيناء ليدل على فيران .

يقول المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس ، يصف سيناء وما فيها من حياة الرهبنة والديرية : ( فى المنطقة التى كانت تسمى بلاد العرب . صحراء واسعة بلا ماء ولا نبات ولا أشجار ، يوجد جبل ناء لا يمكن تسلقه الا بشق النفس وهو يقرب من البحر الاحمر ويسمى سيناء . ويسكن هذا الجبل وهبان ونساك ، حياتهم كلها مخصصة للعمل والصوم والتفكير فى الآخرة ، وهم يعيشون فى عزلة تامة ) .

ويضيف بروكوبيوس : ( لما رأى الامبراطور جوستينيان أنه ليس فى استطاعته أن يمدحهم بأية مساعاة ، اذ أنهم يزهدون المال وخيرات الدنيا ، قرر أن يبنى لهم معبدا - كنيسة - باسم السيدة العذراء . وعلى سفح الجبل بنى لهم حصنا ، وخصص قوة من الجنود لحماية الحصن ) .

وجدير بالذكر أن هذا الحصن قد بنى حوالى عام ٥٤٥ ميلادية ، وبنى معه المعبد والدير . لكننا نختلف مع بروكوبيوس والرحالة الذين زاروا سيناء فى تلك الفترة ، لانهم بالغوا

كثيرا ، وخاصة حول حياة الرهبان . فلم تكن حياتهم عزلة تامة ومقطوعة عن العالم .. فالدير مثلا كان يشاهد قساوسة يزورونه بين الحين والآخر ، قادمين من المدينة . كما أن بعض الرهبان كانوا يكلفون بعضا منهم بإدارة شئون ثرواتهم التي تركوها قبل أن يعيشوا حياة الرهبنة في الدير . . . وذلك كما في حالة أتمدبس أنطونيوس ، الذي ذهب إلى حياة الرهبنة ولم يبع أملاكه . وأيضا فان سيناء كانت عاصمة بحركة المسافرين والواردين .



وعلى ذكر الدير .. فإنه لم يحمل الاسم الذي اشتهر به حتى الآن وهو ( دير كاترينا ) منذ انشائه . ان هذا الدير قد بدأ في منتصف القرن الرابع الميلادي ، وكان يحمل اسم ( دير السيدة العذراء ) . وهذا الدير أيضا كان بناؤه في الفترة التي بنيت فيها معظم الديرية المسيحية في مصر . وقد أمرت القديسة هيلانة ببناء كنيسة صغيرة ، بعد أن زارت النساك وتبركت بهم ، وهذه الكنيسة سميت ( كنيسة العليقة ) ، حيث كان الرهبان يتعبدون بجانب العليقة المقدسة ، أو الشجرة الملتهبة .

ويقولون أن الامبراطورة رات بعد أن قررت ببناء الكنيسة ، أن العليقة الملتهبة ، لا بد أن يكون مكانها خارج الكنيسة ، حتى لا تموت . وفعلا اقتلع الرهبان الشجرة وأعادوا زراعتها على مبعدة بضعة أمتار . وهذه العليقة الملتهبة كلما شاخت ، يأتي الرهبان بفرع منها ليعيدوا زراعته . والعليقة - كما يقال - نوع من شجر التوت ، ولكنه لا يثمر أبدا . وخبراء النبات - رغم الدراسات المستفيضة التي أجريت حول هذه الشجرة - لم يصلوا إلى معرفة أصلها . وهي ، أي الشجرة ، تقوم بجانب البئر التي سميت في العصر المسيحي باسم ( بئر موسى ) . كما أنه بجانب العليقة توجد شجرة تعرف باسم ( شجرة النبي هارون ) ، التي يقال أنها نبتت من عصاه التي زرعا ، فتحولت إلى شجرة وارفة الظلال .

وعلى أية حال فإن الامبراطورة هيلانة لم تغادر منطقة جبل موسى ، الا بعد أن أمرت أيضا ببناء برجين حول الكنيسة ، حتى يكون الرهبان فى مأمن من غارات اللصوص . ولقد بارك الرهبان الامبراطورة ودعوا لها .

وقد ظل رهبان منطقة جبل موسى محل اعجاب العالم المسيحى فى الامبراطورية الرومانية . وسبب ذلك بالطبع ، انه بالرغم من صدور مرسوم التسامح الدينى ، والمراسم الاخرى التى كفلت للمسيحيين حرية العبادة ، فانهم ظلوا فى البرية . واستهوتهم حياة النسك النقية ، بما فيها من ترويض للنفس الامارة بالسوء . والرهبان أنفسهم سعدوا بهذه الحياة ، لا يقلقهم سوى بعض غارات اللصوص . فالمنطقة التى بها الكنيسة الجديدة والبرجان ، منطقة خصبة ، مملوءة بالماء والخضرة ، مما جعلها عامل جذب للاغارات . وقد ازدادت هذه الاغارات وتكاثرت بعد أن انكشفت الدولة الرومانية حامية الدير ، وبعد أن تم جلاء القوات الرومانية عن ( البتراء ) عاصمة مملكة ( النبط ) ، فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى وفى عهد الامبراطور الرومانى ( فالنس ) . وكان الرومان قبلها يحمون الدير من الاخطار .

وحين تكررت الاغارات التى اقلقت هدوء الرهبان ، فكروا أن يبناو اسورا حول الكنيسة . ليكون حصنا لهم ، يقيهم شر الغزوات . وتبع هذا التفكير سفر وفد من الرهبان الى القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ليلتمسوا من الامبراطور جوستينيان ، أن يبنى لهم حصنا مزدوجا ، يؤمن الطريق من العقبة الى الوادى من ناحية ، ويحميهم من شر الغزوات من ناحية اخرى . وفى الدير الآن وثيقة مؤرخة بعام ٥٣٠ ميلادية ، قيل انها الطلب الذى قدمه الرهبان الى الامبراطور ، وتقول هذه الوثيقة : أن الرهبان اجتمعوا ، واختاروا اناسا منهم ينهبون الى الملك جوستينيان ، ليلتمسوا منه بناء حصن . وهؤلاء الذين ذهبوا هم : ثيودوسيوس ،



وبروكوبيوس ، وبوخوميوس ، وأنطونيوس ، وسابا ، وقد سافروا  
بحرا الى القسطنطينية . والتقوا بالامبراطور الذي رحب بهم ، وبالحق  
فى اكرامهم واجابهم الى طلبهم . وقد أرسل الامبراطور رسولا من  
قبله الى واليه على مصر ، واسمه ثيودوسيوس ، يأمره ( بعمل  
اللازم ) . .

وتقول الوثيقة أن والى مصر ، لم يجد ما يبنى عليه الحصن  
أفضل من مكان العليقة ، لانه منبسط من الارض ، فيه الماء ، وهو  
موضع مقدس ، فبنى عليه الحصن ، وهو الدير الحالى ، على مساحة  
فدان ونصف فدان .

كذلك فان الامبراطور جوستينيان أمر بإرسال مائة رجل  
بعائلاتهم من بلاد ( الفلاخ ) ، جهة البحر الاسود . وأرسل لواليه  
على مصر ، ليرسل مائة رجل آخرين بعائلاتهم من مصر ، لينضموا  
اليهم . وهؤلاء جميعا أقاموا فى حراسة الدير ، وخدمة الرهبان فى  
حلهم وترحالهم . وأمر الامبراطور أن يكون هؤلاء جميعا ( عبيدا  
للدير وفى طاعة الرهبان ، هم وأولادهم الى أن يرث الله الارض ومن  
عليها ) . . كما يقال أن جوستينيان أمر واليه ليجعل للدير راتبا  
مستديما من الحبوب من أجل مئونة الرهبان .

هؤلاء الخراس ، عرفوا فيما بعد باسم ( الجبالية ) . وقد  
أسكنوا حول الدير . . ثم تحولوا الى مهنة الادلاء للسياح ، بجانب  
توليهم أعمال النظافة والخدمة . وعدد الجبالية الآن يربو على  
الستائة . وصاروا قبيلة من قبائل سيناء . ولهم شيخ . وفى  
الصيف يهبطون الى الوديان ، وفى الشتاء يصعدون الى الهضاب ،  
هربا من السيول . والدير حتى الآن هو مصدر رزقهم الوحيد  
برهبانه وزواده من السياح ، الذين يستخدمون جمال ( الجبالية )  
المدرية فى الصعود . وقد اعتنقت الجبالية فيما بعد الدين الاسلامى .  
لكن حتى الآن فان القبائل العربية فى سيناء لا تتزوج منهم ،  
ولا يزوجونهم بناتهم . .

على أنه حدث شيء آخر في عهد جوستينيان • فهذا الدير الذي أمر ببنائه حول كنيسة العليقة ، بنى بداخله أيضا كنيسة أخرى ، بعد موت زوجته ثيو دورا ، زكاة على روحها وهدية من الامبراطور الى الرهبان • وقد عرفت هذه الكنيسة ( بكنيسة المناجاة ) أو ( كنيسة الاستحالة ) •

وفي الدير لوحة رخامية عليها كتابة بالعربية واليونانية تقول : ( أنشأ دير طور سيناء وكنيسة المناجاة ، الفقير الراجي غفر مولاه ، الملك الرومي المذهب جوستينيان ، تذكرا له ولزوجته تاوضورة على مرور الزمان ، حتى يرث الله الارض ومن عليها فهو خير الوارثين •• )



دير طور سيناء اختير في سفح قمة من قمم طور سيناء ، على ارتفاع ٥٠١٢ قدما فوق مستوى سطح البحر • وقد أحيط بسور عظيم طوله ٨٥ مترا وعرضه ٦٧٥ مترا • أما ارتفاعه فيتراوح ما بين ١٢ و ١٥ مترا • وسك الحائط حوالى مترين وربع المتر •

وقد استخلم في بناء السور حجر الجرانيت الذي استخرج من الجبل في جنوب الدير • وكان للدير باب كبير في حائطه الغربي من الجهة الشمالية •• الا أن الرهبان - فيما بعد - اضطروا الى سده ، واستبدلوا به بابا ضيقا وسط الحائط ، يمر فيه الداخل الى دهليز ضيق بطول حوالى مترين ، الى باب آخر يؤدي للدير •

وقد قيل أن الذي دفع الامبراطور جوستينيان الى أن يبني الدير على هيئة قلعة ، هي الظروف التي كانت وقتها تمر بالامبراطورية الرومانية ، حيث بدأت منذ عصر ثيودوسيوس الكبير - أوآخر القرن الرابع الميلادي - تتقطع الاوصال وتضعف •• حتى أن جوستينيان حين جاء امبراطورا حاول جهده أن يعجزى دماء القوة في اوصالها المشلولة ، وذلك باقامة مجموعة من الحصون التي

تحميمها حاميات ، لتستعيد الامبراطورة مجدها • لكن يبدو أن المجد الحربي للرومان كان قد انهارت أعمدته الى غير رجعة •

ويقول مؤرخو العمارة ، والمؤرخون العسكريون أن بناء الدير في سفح عمدة جبال ، يعتبر خطأ تاريخيا استراتيجيا ، ويدل على عدم خبرة بالمنشآت العسكرية المحصنة ، لان الدير يمكن أن يهاجمه كل من تسلق الجبال المحيطة به • ولهذا - كما يقولون - فقد غضب الامبراطور على المهندس الذي بنى الدير وحكم عليه بالاعدام • والبعض يرى أن البناء يدل على قصر النظر الهندسي، ويدلون على ذلك ، بأنه في العصر الذي حكم فيه الامبراطور جوستينيان وشاهد على ضعف الامبراطورية ، كان لا بد من حماية الدير بالبارود • ولذلك مثلاً فإنه في العصر الاسلامي ، وضع العثمانيون مدافع في أبراج السور - في عصر السلطان سليم ومن جاء بعده - لحماية الدير من الغزوات •

على أن المهم هنا أنه في أواخر عصر جوستينيان بنى داخل الدير كنيسة كبرى عرفت باسم كنيسة الاستحالة كما سبق أن ذكرنا • وموقعها في زاوية السور الشمالية الشرقية • وهي مبنية من حجر الجرانيت • ويقال أنها بنيت بين عامي ٥٦١ و ٥٦٥ ميلادية •

ومما يذكر أن الدير تعرض للكثير ، خاصة السور ، من عوامل الجو والسيول والامطار • وبسبب ذلك تهدمت معظم أجزاء السور وأعيد بناؤه في عصر وراء عصر • ويذكر للجنسرال بونايرت أنه أرسل قائده كليبر على رأس حملة تصهيرية لترميم وبناء ما تهدم من سور الدير بفعل السيول • وقد سجلت هذه العمارة على لوحة رخامية فوق ما يعرف باسم ( برج كليبر ) تشير الى أنها تمت في مايو عام ١٨٠١ وأنها تكلفت ٣٢٠٢٨ قرشا عثمانيا • وقد أصلحت حملة نابليون العلمية الجزء من السور الذي كان قد انهار نتيجة زلزال حدث في المنطقة عام ١٣١٢ ميلادية •



**الفصل السادس عشر**

**دير القديسة كاترينا**

**ومجمع الأديان**



كيف ومتى حمل الدير - دير طور سيناء - اسم القديسة كاترينا .. أو كاترين ؟  
انها قصة طويلة من التراث الدينى المسيحى ، الذى حدث فى سيناء .

ان تسميته بالدير باسم القديسة كاترينا ، لم تبدأ الا فى القرن التاسع الميلادى ، حين بدأت شهرة هذه القديسة الاسكندرية تزداد ، وتأخذ طابعا عالميا .

والقديسة كاترينا لها قصة مثيرة بدأت أول سطورها فى الاسكندرية ، وآخر سطور القصة تأتى برفاتها لتستقر فى صندوقين على مذبح الكنيسة الكبرى فى الدير .

والقصة تبدأ فى القرن الثالث الميلادى ، حين جاء الاسكندرية القديس مرقس الرسول لبشر أهلها بالمسيحية . وقد كانت بالاسكندرية فى ذلك الوقت جالية يهودية كبيرة مسيطرة ، حتى على الحكام فيها . وهذه الجالية اليهودية وصل بها الأمر الى أنها كانت ميون الوالى الرومانى ليقبض على المسيحيين وينكل بهم .

فى هذه الفترة ولدت فى الإسكندرية فتاة لشريف من وجهاء المدينة اسمها ( كوستوس ) ، ولسيدة فاضلة اسمها ( سابنيلا ) وكانت الأسرة ثرية . وكبرت ابنتها وشبت ، ليتقدم لها فتى ممن اعتنقوا المسيحية . وقد استطاع الفتى من خلال حديثه مع خطيبته أن يرضى قلب الفتاة بالحديث عن يسوع المسيح المخلص ، وكان قلبها قبل أن يتقدم لها الخطيب غضا أخضر يميل الى هذا الدين الجديد . ولذلك فإن الفتاة طلبت من خطيبها أن يكرسها حياتهما للدعوة للمسيحية .. بدلا من الزواج ، ووافق الفتى ، خاصة وأنها قالت له : انها شاهدت السيد المسيح وهى

فى الثانية عشرة من عمرها ، فى منامها ، وقد وضغ خاتما من الذهب الخالص فى اصبعها ، ولما استيقظت من نومها وجدت الخاتم فعلا فى اصبعها ، وكانت رؤيتها للسيد المسيح على هيئة طفل بين ذراعى السيدة العذراء .

المهم أن كاترينا مضت تبشر بالمسيحية داخل الاسكندرية ، لكن سرعان ماوشى بها اليهود لدى الوالى الرومانى مسكيماتوس « ٣١٧ ميلادية » . وهذا الوالى استدعى الفتاة ليسالها : لماذا تكفر بالاونان ، ولا تعبد آلهة روما ؟ لكن البنت بشجاعة نادرة ، بدأت تشرح للوالى المسيحية بطريقة حسنها عليها . وقد اعجبت الوالى شجاعة الفتاة وصراحتها ، ورأى فى قتلها - كما يفعل بالمسيحين - خسارة . فجمع لها خمسين من الفلاسفة الرومان ، من جامعة الاسكندرية العريقة ، ذات الصيت العظيم ، وأوصاهم أن يعاجوها ، وأن يثنوها عن المسيحية .

والتقت كاترينا بالفلاسفة ، ووجها النضر يشع بالايمان ، وطالت المناقشة بينها وبين فريق الفلاسفة الخمسين حول : هل الله واحد أم الالهة كثيرون ؟ . وفى نهاية المناقشات خرج الفلاسفة من عند الفتاة ، وهم يحملون الصليب . بعد أن أقنعتهم هى بالمسيحية . . . وعندئذ ظهر للوالى خطر هذه الفتاة ، وأمر بإيداعها السجن . . وتكل بالفلاسفة .

ثم ارسل الوالى زوجته الى كاترين فى السجن ، لتقنمها بالعدول عن المسيحية ، ويتعدد الالهة ، وبعبادة الامبراطور . . لكن زوجة الوالى التى ذهبت الى الفتاة فى السجن ، خسرت من عندها ، وقد اعتنقت المسيحية . ثم ان كاترين التى شدد عليها الوالى الحراسة بعد ما حدث منها لزوجته والفلاسفة ، استطاعت أن تجعل حراس سجنها يعتنقون المسيحية ، ومنهم قائد حرس السجن نفسه .



حينئذ أدرك الوالى خطر كاترينا ، وقرر تعذيبها الى ان تنهشم عظامها ، وذلك بألة جديدة للتعذيب خصصها لها - وهى تتكون من عجلة فى أسنة تدور على العكس ، وتفرم من رمى بين أسننتها .. وكانت هذه الآلة تسمى « عصارة الموت » . واثتى يتبرك بها المسيحيون الكاثوليك ويصنعون منها خواتم وعلاقات .

وتقول الروايات ، ان الوالى رمى بها فعلا الى « عصارة الموت » فى مكان عام تجمع حوله الكثيرون لتصبح كاترين منلا رادعا لكل من يحاول اعتناق المسيحية . ورميت الفتاة فعلا الى هذه الآلة الرهيبة ، لكن - وكما تقول الرواية - فان الملائكة نزعوا جسدنا من هذه الآلة ، وقدقوا بأجساد معذبيها الى عصارة الموت لتفرم جسدنا وعظامنا . وهنا يأمر الوالى بقطع رأس الفتاة وفصلها عن جسدنا ، وهى فى التاسعة عشرة من عمرها ، فى ٢٥ من نوفمبر عام ٣٠٥ ميلادية .. أو ٣١٣ ميلادية .

لكن هنا تظهر المعجزة « فبدلا من أن ينفجر الدم من عملية بتر الرأس من الجسد ، يتفجر اللبن » .. وتقول القصة أيضا ان رأسها لم يبتتر ، وانما هى رفعت الى السماء ، وزوجتها السيدة مريم ليسوع المسيح .

هذه الرواية ظلت تنتشر ، وتقوى من إيمان المسيحيين ، وتشيع فيهم روح البطل والتضحية والاستشهاد فى سبيل العقيدة مدة خمسة قرون . وقد زيد على الرواية ما قيل من ان الملائكة ، طارت بجسد كاترين ، لتضعه فوق جبل حوريب فى سيناء . وأن أحد للرهبان كان يتعب هناك ثم غفا غفوة ، ورأى فى المنام أن الملائكة حملوا رفات كاترين الى قمة الجبل . وأن أسراب طائر الشنلر - والشنلر قد يكون نوعا من أنواع الصقور - كانت تذهب الى نبع ماء بلال قية وشهبا بالماء ، ثم تظفر وتنفض الماء فى مكان آخر . وتكرر ذلك عدة مرات . وصحبا الراهب من نومه وثار فضوله . فصعد الجبل ، وهناك وجد رفات كاترين وبجانها الرأس .

وحمل الراهب - بعد أن صعد اليه بعض زملائه - وفات  
- كاترين الى سفح جبل حوريب ، ونقلوها الى مكانهم الذي كان  
على هيئة دير ، وأطلقوا على هذا الدير منذ ذلك الوقت اسم  
دير القديسة كاترين .

لكن هناك قصة تقول أنه بعد انتهاء عصر الشهداء ، نقل  
الرهبان جسد الشهيدة كاترين الى سيناء في الجبل الذي يحمل  
اسمها ، وظل هناك حتى القرن الخامس الميلادى ، حين عثر  
عليه أحد الرهبان ونقله الى الكنيسة التى بناها الامبراطور  
جوستينيان .

هذه القصة يؤيدها البعض ويرفضها البعض الآخر ، وحقت  
حولها الكثير من الجدل . ويرى صاحب كتاب سيناء المضربة ،  
أن اسم كاترين جاء لأول مرة فى المخطوط المعروف باسم انطونيوس  
الشهيد حوالى عام ٦٠٠ ميلادية . وهناك صعوبة فى تصديق  
الوقائع التى لا يست قصة استشهاد كاترين ونقلها . بل هو يقول  
ان الكنيسة القبطية لا تذكر قديسة بهذا الاسم بين شهدائها .

وقد حاول البعض اعتبار كاترينا هى القديسة « دميانة » ،  
وقال أنها شهيدة قبطية ، ما زال تاريخها محاط بالغموض . لكن  
هذا ينقض ما عرف عن دميانة من أنها استشهدت فى عهد  
( قلديانوس ) ومعه ٤٠ راهبة ، كانت هى رئيستهم .

ويقول البعض الآخر أن كاترينا هى القديسة التى تحدث  
عنها أوزيبوس فى مؤلفه ( تاريخ الكنيسة ) حيث قال : « أنها  
تقدمت الى مكسيموس ولامته على معاملة العذارى المسيحيات  
معاملة المومسات » . ويذكر أوزيبوس أن هذه القديسة كانت من  
عائلة نبيلة وثرية فى الاسكندرية . لكنه يقول أنها نجت من  
الاسكندرية مما لا يجعلها من بين الشهداء .

وهناك من يقولون أن فى العالم المسيحى عفة قرينيات  
لكاترين . فهناك كاترين سويدية عاشت فى القرن الرابع ويحتفلون

بذاكرها في ٢٢ مارس . وهناك كاترين بولونية من القرن الخامس عشر ، ويحتفل الرهبان الفرنسيون بعيدها في ٩ مارس من كل عام . وهناك كاترين من ميناء جنوة بإيطاليا ، وهي من عائلة ارمستقراطية ، وقد وهبت حياتها للعرض في القرن الخامس عشر . وهناك كاترين فرنسية من مدينة روان .

المهم أن سيرة كاترين انتشرت في كل مكان في أوروبا ، حتى أنه في القرن الحادي عشر الميلادي صارت القديسة كاترينا - انثى معناها الطاهرة - سيدة العلماء ورجال الدين والفلاسفة ، والطلبة ، والبنات العذارى . وقد صارت القديسة كاترينا راعية بتبارك بها الحرفيون والميكانيكيين وصناع العجلات ، والعجلة التي تحطمت عندما لمستها القديسة صارت رمزا لها . بل إن القديسة كاترينا يقال أنها ظهرت لشهيدة فرنسية جان دارك ، وشجعتها على تحمل الموت بعد أن حكّم عليها الانجليز بالاعدام حرقا .



الدير الآن في سيناء داخل مسوره الاثرى . يضم شجرة العليقة و ١٧ كنيسة ومذبحا ، وصوامع للرهبان ، ومخازن حبوب ، ومطابخ وأفرازا ، ومعصرة للزيتون ، ومكتبة ، وجامعا . وبالدير عدة آبار تختف في قدمها وفي عمقها . كما أنه بالجهة الغربية منه يوجد بستان يضم مجموعة من أشجار الفاكهة . ومقبرة للرهبان ، ومخزنا للعظام . كما أن له راية بيضاء ترفرف على سارية ، عليها الحرفان الأولان من « أجيا كاترينا » . . أو « القديسة كاترينا » باليونانية .

والواقع أن أهم ما في الدير من المعمار هو الكنيسة الكبرى . أو « كنيسة الاستحالة » كما تسمى ، وهي مبنية من الحجر الجرانيتي الذي بنى منه السور . وطول الكنيسة ٣٨.٥ متر

وعرضها ١٩٥٥ . ومتوسط ارتفاع جدرانها دون السقف خمسة أمتار . وبداخل هذه الكنيسة صفان من الأعمدة الجرانيتية ، كل صف منها من ستة أعمدة على الطراز البنزنطى . بمعنى أن الأعمدة ١٢ عمودا ، حسب عدد الرسل . والكنيسة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام : راحة في وسطها ، ورواق على اليمين ، وآخر على اليسار . ويحف بالأعمدة صفان من المقاعد للجلوس عليها أثناء الصلاة وأرضية الكنيسة مكسوة أيضا بالرخام .

ونظرة على الكنيسة الكبرى ، نجد أن لها واجهة بسيطة ، وسقفها منحدر . . ولو دققنا النظر إليها من الخارج نجد محفورا على جدرانها عددا كبيرا من الصليبان ، منها ما يأخذ الشكل اليونانى للصليبان المتساوية الأذرع ، وكل صليب فى دائرة منحوتة . ومنها ما يأخذ الشكل اللاتينى ، حيث ذراع الصليب السفلى تكون أطول من غيرها ، والصليب كله داخل مثلث . كما أنه فى الواجهة الغربية للكنيسة يوجد شجرتا نخيل صغيرتان منحوتتان على الصخر .

وباب الكنيسة الأثرى يفتح إلى جهة الغرب . . ويتدلى من سقفها عدة ثريات نادرة ، وقناديل نفيسة . كما تزدان حوائطها بمجموعة من الأيقونات ، التى لا تقدر بحمل . . أقدمها هى أيقونة العذراء مريم تحمل الطفل يسوع المسيح ، وقد قيل أنها من صنع لوقا الإنجيلى ، ثم أيقونة للعذراء وسمعان ، وعلى يده السيد المسيح طفلا ، بعد ولادته بثمانية أيام . ويقال عن هذه الأيقونة أنها هدية من المهندس الذى أشرف على بناء الدير .

كما أن على باب الهيكل ، وفى فناء الكنيسة ، توجد أربعة شمعدانات كبيرة من النحاس الأصفر ، ومركب عليها شمعدانات أخرى تعود إلى عام ١٧١٩ . وهيكل الكنيسة نفسه قطعة نادرة من

الفن ، وفي عمده منظر أخاذ عمل بالموازيك للسيد المسيح تحف به  
الرسل والتلاميذ ومؤسسو الكنيسة بطلعتهم التوراتية . والسيد  
المسيح في هذا المنظر يتوسط الرسم ، ويتجلى لتلاميذه وتعييل  
به دائرة زرقاء اللون ، وسط أرضية الموازيك المذهب ، وحول  
رأسه هالة من النور ، بينما هناك أشعة عريضة من الضوء تخرج  
منه الى الشخصيات الأخرى .

وهناك أيضا رسم للنبي موسى يتناول الوصايا العشر من  
يد مدت اليه من أعلي وصورة للملاك ، هي في الواقع تمثل الملكة  
تيودورا . وصورة لسيدنا موسى يخلع نعليه بجانبها ، ويد تشير  
من فوق .. ثم صورة للامبراطور جوستنيان .

وعلي يمين مذبح الكنيسة ، يوجد تابوت فضي جميل  
الصنع .. يضم صندوقين من الذهب ، داخل أحدهما وضعت  
جمجمة القديسة كاترين ، ودخل الثاني وضعت عظام يدها  
اليسرى محلاة بالخواتم المطعمة بالفصوص النادرة . وتعرض  
الجمجمة واليدان على زائري الدير للتبرك بهما مرة كل عام في  
عيد القديسة كاترين . وجدير بالذكر ان التابوت الفضي هو هدية  
من بطرس الأكبر ، الذي كان يسمى « عامود الذهب » وقد  
أهداه الى الدير مع رسالة قال فيها : « لقد نما الى علمنا ان  
رفاة القديسة كاترين لا تجد وعاء فظيا يحفظها ... »

والداخل الى الهيكل من بابه الأوسط ، يجسد عن يمين  
وشمال صندوقين من الفضة الخالصة ، المطعنين بالذهب الخالص  
والأحجار الكريمة المتنوعة الألوان . ويبلغ طول قلعة كل منهما  
مترين ، والعرض يزيد على المتر ، ويعلو بارتفاع ١٢٠ سنتيمترا  
وكل صندوق يزدان بصورة « بارليف » للقديسة كاترين . واحد  
الصندوقين وهو الذي على يسار الداخل هدية للدير من مسيحي  
قبرصي أهداه عام ١٦٨٨م ليكون تابوتا للقديسة كاترين . أما الصندوق

الآخر الذى على يسار الداخل ، فقد اهدته حكومة اليونان للدير عام ١٨٦٠ ميلادية . وهذان الصندوقان يميزهما الاحجار الكريمة ، التى تتوسطها زمردة خضراء كبيرة ثمنها ملايين الجنيهات . وفى هذين الصندوقين يحتفظ الرهبان بالهدايا التى تقدم فى عيد القديسة كاترين ومختلف المناسبات .

والى يسار الداخل للهيكل من الباب الشمالى ، توجد رخامة عليها نقش يقول : « هنا قبر القديس أفتيموس ، بطريرك اورشليم المتوفى عام ١٧٢٢ ميلادية » . وأما مذبح الكنيسة نفسه ، فهو تحفة من الفن ، وقد صنع من الصدف اللؤلؤى الغالى الثمن .

والمهم فى هذه الكنيسة التى اطلنا الحديث حولها ، أنها مبنية وفق الطراز « البازيليكي » . وهى فى أبسط أنواع هذا الطراز . وترجع أهمية البناء ، الى أن هذا الطراز البازيليكي - فى مرحلته الاولى - هو طراز معمارى نادر فى عصرنا الحديث . فمعظم المائى التى تنتمى لهذا النوع من الفن ، لم تبق ، تهلكت أو انتهى أمرها . ولأن هذه الكنيسة ما زالت على حالها الاول ، فهى تعتبر طرازاً اثرياً هاماً ، لا يوجد له مثيل فى العالم الا القليل النادر ، ومنه كنيسة القديس بطرس فى روما وكنيسة القديس بولس خارج أسوار روما . ثم كنيسة ( سانت أبو لينارى ) فى رافنا .

والكنيسة بها عدة هياكل جانبية صغيرة ، تفتح على الأجنحة ، وكل منها له مذبح . ومازال السقف الخشبي للكنيسة موجوداً ، ولكن تغطيه ألواح الرصاص . وهذا السقف من الداخل مقسم الى مربعات خضراء ، تزينها نجوم مذهبة لامعة . وأهمية هذا السقف تعود الى أن عمره من عمر بناء الكنيسة وعلى السقف توجد نقوش اثرية كثيرة ، منها نقش من ثلاثة أسطر باليونانية : السطر الاول يذكر اسم بانى الكنيسة ، الامبراطور جوستنيان .

والسطر الثاني : يطلب الرحمة لزواجه الامبراطورة ثيودورا .  
واسطر الثالث : يطلب الدعوات للمهندس ستيفانوس الذى بنى  
الكنيسة وهذا المهندس اصلا من المنطقة المحيطة بخيخ انعقة .  
ولكن ماذا عن كنيسة العليقة ، التى بنتها الامبراطورة -  
او القديسة - هيلانة ؟!

هذه الكنيسة تقع الى الشرق من الكنيسة الكبرى ..  
والداخل اليها يتحتم عليه ان يخلع نعليه ، كما فعل النبي موسى  
حين امره ربه فى التوراه « يا موسى اخلع حذاءك من رجلك ،  
لان الموضع الذى انت واقف عليه ارض مقدسة » . وفى القرآن  
الكريم « .. اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » .

ويميز كنيسة العليقة مجموعة من الايقونات تزدان بها  
حوائطها ، وقبة الكنيسة تزدان بالفسيفساء الجميل النادر .  
والغريب انه فى قمة جبل المناجاة شرقى الدبر نافذة طبيعية تدخل  
منها الشمس الى الكنيسة ، مرة واحدة فى العام ، صبيحة يوم  
٢٣ مارس ، فتضيء الكنيسة بلا أنوار . ويقول البعض ان هذا هو  
اليوم الذى كلم فيه موسى ربه ونحن نعرف بالطبع انه على بعد  
ثلاثة امتار يوجد المكان الذى تنمو فيه شجرة العليقة ، والتى امر  
مهندسو هيلانة باخراجها من كنيسة العذاراء التى بنتها حتى  
لا تموت الشجرة .

وفى هيكل كنيسة العليقة توجد مجموعات هائلة من الملابس  
الكهنوتية المطرزة بخيوط الذهب والفضة ، وعليها النقوش  
والرسوم ، ثم مجموعة من تيجان الاساقفة الذهبية والفضية ،  
على اختلاف أشكالها وأحجامها . بالاضافة الى زورق من  
الفضة نلوه تجار داهمت سفينتهم عاصفة هوجاء ، فقرروا ان نجوا  
ان يقدموا هدية للقديسة كاترين . وقد تجاهم الله فوفوا النذر ،  
هذا بالاضافة الى انه يوجد بالكنيسة مجموعة صوانى دقيقة

الصنوع ، ثم مجموعة من أغطية ( أغلفة ) الاناجيل والكتب المقدسة ، وهى من الذهب الخالص .  
ويضارع هذه المجموعة التى ذكرناها ، بقايا أجساد القديسين ، مثل جمجمة يوحنا فم الذهب ، وذراع القديس باسيلوس ، والفك السفلى للقديس جريجورى . . فضلا عن تل هائل من عظام وجماجم القديسين التى تحفظ بمكان خاص فى الدير .



لقد تحدثنا عن أهم الكنائس داخل سور الدير . وبالطبع فان الدير كما يذكر ، يحوى عدة كنائس أخرى مثل كنيسة سان جيمس ، وكنيسة يوحنا المعمدان ، وغيرهما من الكنائس الصغيرة التى تسمى معابد ، والتى بنيت فى مختلف العصور ، وجاء ذكرها فى كتاب « سيناء » لمؤلفه هاينز سكرويشة ، طبعة جامعة أكسفورد .

ومن المهم فى كنائس الدير ، مجموعة الايقونات الشمعية ، التى يرجع جزء كبير منها الى العصر البيزنطى المبكر ، كما يقول د . داود عبده داود فى بحث له مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ويعنوان « دير مسانت كاترين وأهميته فى تاريخ الفن البيزنطى » .

والايقونة . هى صورة دينية مرسومة على الخشب أو غيره من المواد ، وفى كنائس الدير ايقونات مرسومة على الصدف ، بل هناك ايقونات من العصور المتأخرة رسمت على الخيش ، وكانوا يعتقدون ، ليس فى قيمتها المادية ، وانما فى قيمتها الروحية ، ولذلك فانها توضع فى الكنائس وأحيانا فى البيوت .

ولقد بدأ عصر الايقونات فى القرن الرابع الميلادى ، ثم انتشرت انتشارا كبيرا فى القرن الخامس ، وقد كان الآباء الاول للكنيسة ، لا يجدون ضميرا من انتشارها ، على العكس ، بل ان



البعض ، ومنهم « يوحنا فم الذهب » اسقف القسطنطينية  
يعتبر الايقونات من الوسائل أو الوسائط التي تساعد على نشر  
المسيحية وتقريبها للأذهان .

وقد كان للايقونات فن خاص بها . كانت ترسم بالالوان  
الشمعية ، قبل أن تعرف ألوان الزيت . وهذه الالوان كانت نحلط  
بالشمع وتسحق ، وربما يضاف اليها بعض الزيت ، ثم يوضح  
الكل على نار ، ليتحول الى سائل سميك ، ويصمم به الفنان المنظر  
بواسطة سكين ساخن .

ومن الجدير بالذكر هنا ، أن الايقونات انتشرت في العالم  
المسيحي حوالي أربعة قرون فقط . ففي القرن الثامن الميلادي ،  
قامت القيامة حول الايقونات في العالم البيزنطي ، وصدرت أوامر  
الامبراطور بتحطيمها ، بعد أن أفتى رجال الدين المسيحي ، أنها  
نوع من عبادة الصنم . وقصد تبني هذه الدعوة بعض الاباطرة  
البيزنطيين ، الذين عرفوا في التاريخ باسم ( الاباطرة اللايقونيين )  
ومن أجل ذلك جرى حرق الايقونات في الامبراطورية ، وفي العالم  
المسيحي كله تقريبا . . . فيما عدا - بالطبع - تلك الايقونات  
في دير سانت كاترين ، لأن سيناء كان من حظها أنها خرجت من  
سلطة بيزنطة ، وكانت مصر في ذلك الوقت ولاية اسلامية . فلم  
تمتد يد بيزنطة اليها . ثم ان المسلمين حين جاءوا دير سانت  
كاترين ، لم يتدخلوا في عقيدة المسيحيين ، بل تركوا لهم حرية  
العبادة .

والحقيقة أن كنائس الدير تضم مجموعة نادرة من الايقونات  
الهامة ، التي تعتبر كنوزا فنية روحية لا تقدر بمال كما قلنا .  
ويقال ان من بين هذه الايقونات أربعين أو خمسين أيقونة ، لا يوجد  
لها مثيل في العالم المسيحي . ومن الايقونات النادرة بالدير :  
● أيقونة تمثل السيدة العذراء جالسة على العرش .

والمسيح الطفل على رجليها ، ويحرسها عن يمينها ويسارها  
القديسان المحاريان ( جورجيوس ) و ( ثيودوسيوس ) على التوالي .  
وخلف السيدة العذراء ملاكان ينظران الى السماء والوجوه كلها  
جادة ، والعيون واسعة ، والملابس ثمينة - خاصة ملابس السيدة  
العذراء - فهي تلبس اللون الأرجواني المخصص للباطرة .

● أيقونة أخرى تمثل القديس بطرس الرسول . . . ليس  
بطرس الصياد المسكين الذي طلب منه السيد المسيح أن يتبعه ،  
وانما هو بطرس المفكر . فهو في حالة تفكير عميق ، يمسك بيده  
اليسرى عصاه الطويلة ، وباليمنى اليمنى يقبض بقوة على حزمة  
مفاتيح ، هي مفاتيح السماء .

● وأيقونة تحدثنا عنها وهي تمثل السيد المسيح وسط  
دائرة في أعلى المنظر ، والانتظار كلها متجهة اليه ، وهي من العصر  
المسيحي المبكر .

● أيقونة رابعة هي أيقونة ( ان الصلب ) ، وتمثل السيد  
المسيح على الصليب ، ويدان تمتدان من السماء لرفع السيد  
المسيح . . . وتعود الى القرن السادس الميلادي .

● أيقونة خامسة ، وهي من أقدم أيقونات التاريخ ، وهي  
من ابداع لوقا الانجيلي تلميذ السيد المسيح ، وفيها صور اصدق  
ملاحم المسيح .

● وأيقونة سادسة لسمعان وهو يحمل الطفل يسوع المسيح  
بين يديه وهو ابن ثمانية أيام في المزود ، وقد أشرنا اليها .

والكثير من الايقونات التي أهديت الى الدير ، أو تلك  
التي قام برسمها رهبان الدير . . . تعود الى القرن السابع عشر .  
ففي باب قاعة الايقونات في الكنيسة البازيليكية مكتوب : ( هذا  
الصلب النبيل قد أنجز في كريت في عام ١٦١٢ ، حينما كان

لوزنتيوس بطريرك كريت ٠٠ وقد عملها راهب كريتى فى  
الدير ) ٠

ومما يذكر أن الايقونات ظلت فى الدير آمنة ، لا يعرفها  
أحد ٠٠ حتى القرن الثامن عشر ، حين جاء الاسقف الروسى  
بورفيروس أوزبونسكى الى دير سانت كاترين وشاهدها ٠٠ وحمل  
بعضا منها الى روسيا ٠ وهنا بدأ عالم ايقونات الدير يعترف ٠  
والملاحظ أن هذه الايقونات ذات ملامح شرقية أصيلة ، وهى تشهد  
بأنها فن لم يتأثر بالوجوه الاوربية ، التى شاعت فى ايقونات عصر  
النهضة ٠

ويقال أن بالدير ٢٠٠٠ ايقونة و ١٥٠٠ رسم على الموزايك  
وغيره ، كما قدورها المؤتمر البيزنطى الذى انعقد فى جامعة اكسفورد  
عام ١٩٦٦ ٠ وهذا المؤتمر قد ناقش كيفية الحفاظ على الايقونات  
والتراث المسيحى فى الدير ، بعد أن قدم الارشمندت جريجواز  
الثانى ، مطران الدير تقريراً بحالة الايقونات والآثار المسيحية التى  
تحتاج الى الحفظ والاصلاح ٠

ويذكر هنا أيضا ، أنه فى عام ١٩٥٧ قام د٠ مراد كامل ،  
استاذ اللغات السامية سابقا ، والذى توفى ، بأعداد فهرست لكل  
مخطوطات الدير ٠ كما قام المطران جريجوار الثانى بأعداد فهرست  
لجميع المطبوعات الموجودة فى الدير منذ عام ١٥٤٠ ميلادية  
- أى منذ تاريخ اختراع الطباعة - وحتى عام ١٩٠٠ ٠ كذلك فانه  
فى الفترة من عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٥ قام بتصوير الايقونات  
واللوحات وعمل فهرس لها الاستاذ فايتسيمان ، الاستاذ  
بجامعة برنستون ٠ من خلال وزارة خارجية مصر ، وبلاشتراك  
مع مصلحة الآثار المصرية ، وجامعة الاسكندرية ٠ وقد كانت  
الحكومة المصرية قد وافقت لمكتبة الكونجرس الأمريكى بلاشتراك  
مع جامعة الاسكندرية ، بتصوير مخطوطات الدير بالميكروفيلم ،  
واحتفظت مكتبة الكونجرس - ولا تزال بالطبع - بنسخ من هذا

الميكرو فيلم • على أنه في فترة الاحتلال الاسرائيلي فقد الدير لوحنين فنيتين ، وقيل أن القوات الاسرائيلية سرقتهما • وقد أبلغ مطران الدير ، من خلال الحكومة المصرية ، البوليس الدولى ( الانتربول ) للبحث عنهما •

والواقع أن عدة بعثات ذهبت الى الدير لدراسة ما فيه من الكنوز • ويهمننا من هذه البعثات ثلاثة هي : بعثة جامعة الاسكندرية ، التي منلها د • فوزى الفخراي ، ود • سامى شنودة ، ود • عبده داوود • أما البعثة الثانية والثالثة فهي لجامعتي برنستون وميتشيجان ، ومنلهما د • فايتسبان ، أستاذ تاريخ الفن بجامعة برنستون ، ودكتورة فورسايت أستاذ العمارة فى جامعة ميتشيجان ومجموعة من المصورين • وهؤلاء جميعا درسوا الآثار التى تنتمى الى عصر الامبراطور حوستنيان ، كما قاموا بتصوير مجموعة من الايقونات والآثار الدقيقة وغير الدقيقة •

وقد قام د • فوزى الفخراي بدراسة تيجان أعمدة الكنيسة البازيلكية ، وهى من الآثار الباقية منذ عهد حوستنيان • ودرس د • سامى شنودة مجموعة الايقونات المقدسة ، والتى تمتاز صورها بوجود عناصر شرقية ، وبعض الكتابات العربية • • مما يدل على أنها صنعت فى بعض الاقاليم البيزنطية • وبعضها يحل الطابع المصري أو السوري • والراجع - كما يقول الباحث - أن هذه الايقونات أودعت فى الدير بعد ظهور الاسلام ، وظهور بعض الاتجاهات الفنية المتناثرة بالفن الاسلامى الوليد • وقد اهتم د • سامى شنودة بالذات بدراسة الملامح الشرقية ، لاتصالها بمخطوط مصور قبطى عثر عليه فى المكتبة الاهلية بباريس • وهذا المخطوط من دمياط ويعود الى القرن الحادى عشر الميلادى • وقد أجريت دراسة للمخطوط والايقونات • • أثبتت الطابع الشرقى لايقونات الدير • كما أثبتت أن بعض كتل الخشب ذات النقوش والمستخدمة فى بعض أنحاء الدير ، ليست هى فى مكانها الاصلى ، بل سبق استخدامها فى أغراض أخرى عند انشاء الدير •

أما د . داود عبده فقام بدراسة أعجب هيكل في تاريخ الكنائس ، وهو هيكل صغير داخل السور الجنوبي للدير . ويبلغ ارتفاع الهيكل نحو مترين ، بينما عرضه لا يزيد على ٢٧٥ سنتيمترا . والهيكل عبارة عن قبو ، بناحيته الشريفة حنيه صغيرة ، وفي وسطها رف يرجح أنه كان مذبحا . وفي غربه حنيه أخرى قد تكون لحفظ بعض أدوات الخدمة الدينية . وهذا الهيكل مكانه عند أول انحناء لدرج الدير ، المؤدى الى عرفة الزائرين . وفي الجهة الشرقية منه رسم لصليب ملون . وجدوان الهيكل مقسمة الى مساحات عليها رسوم مجزعة ، كما أن القبو مقسم الى مربعات صغيرة بها رسوم لصفوف من الصلبان والطيور الملونة . والراجع أن هذا الهيكل أعد للعبادة الانفرادية ، لانه لا يتسع سوى لشخص واحد . والنافذة الوحيدة فيه عبارة عن احدى الفتحات التي كانت تستخدم لوضع المدافع للدفاع عن الدير ، والتي - تعرف باسم ( المكاحل ) .

وبالإضافة الى ما قلناه ، فإن الدير . ما زال يحوى كنوزا ثرية ومتنوعة من فن العمارة .

فبجانب الآثار المسيحية النادرة ، فإن الدير يضم مسجدا صغيرا ، وهذا المسجد بجوار الكنيسة الكبيرة ، ويعتبر من أهم وأقدم الآثار الاسلامية فى سيناء . ويقال انه بنى فى عصر الدولة الفاطمية . وقد بناه الوزير أبو جعفر أنوشتكين عام ١١٠٦ للميلاد أى فى القرن السادس الهجرى ، فى عهد الخليفة الأمر بأحكام الله ، الذى تولى الخلافة الفاطمية بين سنتي ٤٩٥ و ٥٢٤ هجرية . وهناك نص مكتوب بالخط الكوفى على متبر الجامع يقول : ( نصر من الله وقتح قريب لعبد الله ووليه أبى على المنصور الامام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين . أمر بإنشاء هذا المتبر السيد الاجل الافضل أمير الحرمين ، سيف الاسلام ، ناصر الامام ، كافل قضاء المسلمين أبو القاسم شاهنشاه ضد الله به الدين . وذلك فى ربيع الاول سنة خمس مائة ) .

ومما يؤكد أن الوزير أنوشتكين هو الذي بنى الجامع ، ذلك الذي يذكره د<sup>•</sup> عبد الرحمن زكي في كتابه ( سيناء أرض مباركة ) ، الذي أورد نصا مكتوبا على الكرسي بالجامع يقسول : « مما أمر بعمل هذه الكراسي المباركة .. الأمير الموفق المنتخب منبر الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين . الآمرى » .

وهذان النصان يلغيان الرأي الذي يقول ان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله هو الذي أنشأ هذا الجامع . كما يلغيان أيضا الرأي الذي ذكره سكرويشه في كتابه ( سيناء ) .. من أن هذا الجامع كان كنيسة ثم تحولت الى جامع .

وللمسجد منارة ، يقال انها ما زالت قائمة وسط أبراج الكنائس المتعددة ، كما أنه يضاء بنجفة كبيرة لها ستة عشر قنديلا من الزيت . ولا شك أن هذا الجامع تم ترميمه عدة مرات وفي أزمان كثيرة ، ولكن المعلومات عنه قليلة في هذا الصدد ، ويحتاج الى الاثريين لدراسته دراسة وافية .. بعد عودة الدير الى مصر .

ومنبر الجامع بالذات هو من الانواع الفريدة في عالم الاسلام ، ولا يوجد له مثيل في مصر من عمائر المناير ، سوى منبر مماثل في الجامع العمري بمدينة قوص .. ثم منبر آخر في مدينة الخليل بفلسطين .. وكلاهما ينتميان الى العصر الفاطمي المتقدم .. ذلك العصر الذي يتميز بالنقوش والحشوات والزخارف النباتية المزهرة .. والمناظر الهندسية . والغريب أنها تشبه أيضا نقوش وحشوات أبواب الكنيسة الكبرى في الدير .

كما يوجد أيضا بالمسجد مقرة خشبية للقرآن الكريم ، يعود تاريخها الى تاريخ بناء المنبر ، وهو عام ١١٠٦ ميلادية ، أما المثانة فيبلغ ارتفاعها حوالي عشرة أمتار . ويؤكد المؤرخون ، أن انشاء هذا الجامع داخل الدير وبجوار الكنيسة الكبرى هو برهان صاقد وساطع ، يرمز الى روح

التسامح التام بين الطوائف في مصر الايمان • وهو مظهر سسام رائع ، تتمثل فيه الاخوة الصادقة والسماحة الخالصة التي ميزت مصر منذ أن دخلها الاسلام •

وجدير بالذكر أن هذا المسجد ، كان من الطبيعي أن يأتي ذكره مرارا في أوصاف حجاج الغرب الى دير سانت كاترين ، وكذلك في أدب الرحلات التي انطلقت الى سيناء ، خاصه في العصور الوسطى • وهؤلاء الكتاب حين كتبوا في مشاهداتهم عن الجامع كان يتخلل كتاباتهم نغمة الدهشة والاستغراب ، بل العجب • ومن هؤلاء الذين كتبوا عن الجامع شخص يسمى ( يعقوب ) من مدينة فيرونا بايطاليا ، حين زار دير سانت كاترين عام ١٢٣٥ الميلادي • وكذلك ( ليونارد فريسكو بالدي ) الذي زار الدير عام ١٣٨٤ ميلادية وقد سجل أوصاف رحلته ، وأشار الى وجود الجامع ، بنغمة تملؤها الدهشة • وهذا الامر ، إن دل على شيء فانما يدل - هذه الدهشة والاستغراب - على أن الغرب المسيحي ، لم يكن قد اعتاد أن ينظر تلك النظرة التي تتسم بالسماحة ، الى موضوعات تتعلق بالعقيدة أو الدين في بلادهم ، مثلما كان ذلك الحال في العالم الاسلامي ، خاصة في مصر • وهذا يدل على أنه في الفرون الوسطى كانت مصر أكثر تسامحا من أوروبا المسيحية •

وجدير بالذكر كذلك ، أن الجامع يشرف على خدمته ، أفراد من قبيلة ( الجبالية ) ، ويحتفظون بمفاتيحه ، ويعنون بكل ما يتعلق بخدمته ونظافته • وأفراد هذه القبيلة يتوارثون خدمة المسجد أبا عن جد • وهي قبيلة كانت مسيحية ثم اعتنقت الاسلام ، كما سبق أن أوضحنا •



ثم نأتي الى مكتبة الدير الشهيرة والتي نالت أهمية كبيرة ، وتعرفها الجامعات العلمية وتتطلع اليها دائما • وهذه المكتبة تضم - في الحقيقة - كنوزا نادرة من المخطوطات

والكتب ، بلغات العالم الحديثة والقديمة ، منها العربية والسريانية .  
والقبطية ، واليونانية ، واللاتينية ، والجورجانية ، والعبشية ،  
والتركية ، والفارسية ، والآرمينية ، والبولونية ، السلافونية .

والمكتبة تضم أقدم مخطوط طبي عربي في العالم ، وهو كتاب  
الطبيب علي بن علي ، وهو في طب العيون .

ويوجد بالمكتبة ٤٢٠٠ مخطوط باليونانية و ٦٧٠ مخطوطا  
بالعربية ، و ٥٠٠ مخطوط بالسريانية و ١٢٠ بالآرمينية ، و ١٩  
بالعبشية . وهو تقدير قد يزيد أو ينقص . وان كان قد تم حصر  
المخطوطات ، من خلال بعثة جامعة الاسكندرية بالاشتراك مع  
أساتذة ومصوري جامعتي ميتشجان وبوسطن وخبراء مكتبة البيت  
الابيض . كما أن د . عزيز سوريال عطية حين كان مديرا المعهد  
الدراسات الشرقية بسولت ليك سميتي قد أشرف على طبع عدة  
مجلدات ، تضم فهراس المكتبة التحليلية ، ومجموعة المخطوطات  
العربية . كذلك فان بعثة جامعة الاسكندرية والجامعات الأمريكية ،  
أعدت مجلدات ، طبعت بعضها - أو ربما كلها - ومنها المجلد  
الاول من كتاب « التاريخ الديني وآثاره في عهد جوسنيان » ، شاملا  
الفترة الاولى من حياة الدير ، وان كنا نطالب بنشر ما طبع بالعربية  
والواقع أن الكتب والمخطوطات في دير سانت كاترين ،  
لا تقتصر موضوعاتها على النواحي الدينية فقط ، كما قد يتبادر  
الى الأذهان ، انها في كل فروع العلم والمعرفة . لكن هناك  
مخطوطات نادرة ، نذكر منها على سبيل المثال :

أولا : الانجيل المكتوب بماء الذهب ، بخط يد الإمبراطور  
ثيودوسيوس ، والذي أهداه للدير عام ٧١٦ ميلادية .

ثانيا : الانجيل السرياني المعروف باسم ( المثلث ) ،  
وهو مخطوط على رق غزال . وهي أقدم نسخة للانجيل بالسريانية ،



وترجع الى القرن الخامس الميلادى وتعتبر أقدم ترجمة للكتاب المقدس .

**ثالثا :** كذلك من بين المخطوطات : كتاب سيناء المقدس ، أو ( كودكس سيناء ) ، الذى كتبه أسبيوس ، أسقف قيصرية فى القرن الرابع الميلادى ، وأهداه الامبراطور جوستينيان للدير . وقد أخذه - أو سرقه - سائح المانى اسمه تشيندروف وقدمه لفريديريك أوغسطس ، ملك الساكسون عام ١٨٩٦ ميلادية . وقد دفع فيه الملك ثمانية آلاف فرنك . ثم قسمه جزئين ، أعطى جزءا منه لجامعة ليبزج والآخر لقيصر روسيا . ويقال ان قيصر روسيا قد أمر بعمل نسخة منه أعيدت للدير . ثم باعت الحكومة الروسية الاصل - بعد ثورة البلشفيك فى أكتوبر ١٩١٧ - بمائة ألف جنيه ذهب لمكتبة المتحف البريطانى فى لندن عام ١٩٣٣ .

**رابعا :** بالإضافة الى ( كودكس سيناء ) فان تشيندروف ، قد استولى أيضا من الدير - على سبيل السلفة التى لم يردھا - على مجموعة من المخطوطات الجورجية .

**خامسا :** وهناك كذلك كتاب الانبياء ، ٥٥ والذى لا يقدر ببال لنفاسسته وندرته وهو فى ٤٠٠ صفحة ، ومكتوب بماء الذهب . وبهوامشه رسوم للسيد المسيح والقديسين ، تنصورها وكأنها رسمت بالامس .

**سادسا :** أما سفر الزامير ، فقد كان كاملا بالدير ، حتى زاره عام ١٨٥٠ رجل الدين بورفير أوزبنسكى ، وقد نقب فى كنيسة كوزماس وديميترى ووجد الكثير من المخطوطات الاغريقية والارمنية والجيورجية والاشورية والعربية والحشية . وقد استطاع أوزبنسكى ان يدون ٦٧ مخطوطا جيورجيا . كما أخذ وورقتين من أصل الست ورقات - بردى - من سفر الزامير ، الذى لا يقرأ بالعين المجردة والورقتان اللتان أخذهما محفوظتان الآن فى دار الوثائق فى مدينة ليننجراد .

**سابعاً :** كتاب « حكم لقمان » وهو أيضاً مخطوط نادر ، اكتشفه العالم الالماني بوركهارت النى زار الدير فى ربيع ١٨١٦ لاول مرة ثم زاره عدة مرات بعد ذلك ، وألف كتاباً بعنوان « رحلات الى سورية والأراضى المقدسة » بالانجليزية .. وجدير بالذكر أن بوركهارت فحص ١٥٠٠ مجلد يونانى و ٧٠٠ وثيقة عربية . وقد قال ان أغلب كتب الدير عبارة عن نسخ من الانجيل وكتب القديسين وتراويل الصلوات .. كما أزال النقش عن « حكم لقمان » تأليف هرمس الملقب بالمثلث .

**ثامناً :** ومن بين وثائق الدير أيضاً « المهددة النبوية » .. والتي يذكر الرهبان أنها كتاب العهد لرهبان الدير من النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، ويقال انها تعود الى العام الثمانى من هجرة الرسول .

**تاسعاً :** كذلك هناك وثيقة من الجنرال بونابرت مؤرخة فى ٢٠ ديسمبر ١٧٩٩ وقد أقر فيها بإجراء الترميمات اللازمة لسور الدير ، وسجل فيها الامتيازات التى منحها للرهبان ، وتعيين ضابط وجنود لحمايتهم .

وفى السنوات ما بين ١٨٩٤ و ١٨٩٨ نشرت مجموعة من الوثائق بالدير ، وفيها باللغة العربية رسالة بولس الرسول الى أهل كورنتس والى جلاطية . وكذلك رسالة القديس بولس الى أهل افسسوس .. بالإضافة الى بعض القطع الأخلاقية للكتاب اليونان ومنهم بلوتارك ، وهى بالسريانية .

ان هذه الثروة الهائلة من المخطوطات والوثائق والكتب .. مصفوفة على أرفف حديدية ، فى بهو فسيح بالطابق الثالث . ولا يسمح للزائرين بالاقتراب منها سوى بترخيص خاص ، وتحت مراقبة شديدة ..



أخيراً نترك الدير التاريخى بكنوزه ، التى مازالت فى حاجة

الى ازالة النقيب عنها وخاصة بعد جلاء اسرائيل عن المنطقة طبقا لمعاهدة السلام .. وتتناول فكرة تاريخية لمعت في وجدان الرئيس السادات ، وهو يرى نصر أكتوبر وقد صار حقيقة ، كما رأى معاهدة السلام تسير في طريقها المرسوم .

وهذه الفكرة التاريخية جاءت على مراحل في ذهن قائد النصر أنور السادات ..

ولأن سيناء أرض التوحيد وأرض الديانات الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام .. فإن أنور السادات ، وقبل توقيع اتفاقيتي « كامب ديفيد » أعلن عزمه على إقامة مسجد وكنيسة ومعبد يهودي ، على تلك الأرض المقدسة ، وعند الجبل الذي كلم الله عليه موسى ربه . كما أعلن عزمه على الصلاة - صلاة شكر لله - وعلى سطح الجبل المقدس ، انذى تجلى الله جل جلاله عليه للنبي موسى . وأشار الرئيس السادات - وذلك قبل توقيع معاهدة السلام مع اسرائيل - ان في وجدانه أن يتم توقيع معاهدة السلام فوق تلك البقعة المباركة .

لكن توقيع اتفاقية السلام في ٢٦ مارس تعثرت بعض الوقت .. كما تعثر قبلها توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ . وكان التفكير الذي استقر عليه عزم الرئيس السادات .. أن يقوم بوضع حجر الأساس لمجمع السلام فوق الجبل المقدس في ١٠ نوفمبر .. وهو التاريخ الذي قام فيه بالمبادرة التاريخية إلى القدس .

وقد دعا الرئيس السادات زعماء العالم وبابا روما لحضور وضع حجر الأساس لهذا المجمع الديني ، الذي يجمع الأديان الثلاثة في بقعة واحدة مقدسة ، وفي صرح شامل يضم مسجدا وكنيسة ومعبدا يهوديا .. على سفح جبل موسى .. وتؤدي إليها جميعا رحبة تسمى « رحبة السلام » . وهذه الرحبة

عبارة عن قاعة ، يتمثل في الالتقاء عندها معنى التقاء أديان الله الثلاثة في سلام . والرحبة يوصل إليها ثلاثة أنفاق ، تصعد إليها من سفح الجبل ، ومن جوانب ثلاثة ، يلتقى عندها زوار الجبل المقدس من مسلمين ومسيحيين ويهود ، وعند هذه الرحبة يذهب المسلم الى المسجد ، والمسيحي الى الكنيسة ، واليهودي الى المعبد ، ليناجي كل منهم ربه . فالله هو السلام في الاسلام ، وهو المحبة وعلى الارض السلام في المسيحية ، وهو رب موسى وعيسى ومحمد عليهم افضل الصلاة والسلام .

وعندما ينتهي المسلم والمسيحي واليهودي ، في مسجده وكنيسته ومعبده ، يخرجون في طريق العودة ، يلتقون مرة اخرى في رحبة السلام ، قبل أن يختار كل منهم طريقه لهبوط الجبل ، في الحرب الذي يستخدمه .

والمسجد .. تتجه قبلته الى مكة المكرمة .

بينما الكنيسة والمعبد يتجهان الى بيت المقدس .

كما أن الكنيسة تقسم الى ثلاثة أقسام : قسم للكاتوليك ، وآخر للارثوذكس وثالث للبروتستانت .. وجميع الطوائف المسيحية تلتقى في البهو الذي يؤدي الى الكنيسة بأجزائها الثلاثة .

وتزود الكنيسة والمعبد والجامع كل منها بمكتبة دينية .

كما سيشتغل المسجد على مدرسة لتعليم وتحفيظ القرآن ؛

والمعنى الكامن في ذلك كله .. هو اللقاء ، والتفاهم والتعايش بين ديانات السماء الثلاثة . فهذه المنشآت يظللها ويجمعها هلال الاسلام ، وصليب المسيح ، ونجمة داوود . كما تجمعها في النهاية وحدة المكان ، ووحدة المعنى في ظلال السلام الوارفة .

والمشروع - قبل أن يوضح أساسه - وكما نشر عنه يتكلف ٦٠ مليون دولار بصفة مبدئية ، قد تتم الدعوة فيه لاكتساب عالمي ، لانه يخدم فكرة السلام العالمى بين شعوب الارض ، ويحقق رمزية التواصل الحقيقى بين شعوب العالم ، على اختلاف دياناتها ، ويفتح عهدا جديدا من الحوار المشتركة البناء للرخاء واحترام انسانية الانسان ، ويضع نهاية لعصر الغاب .

وقد أعد مشروعان للمجمع جرى تصميمهما وهما :

أولا : مشروع للدكتور محمد عبد الحليم الرمالى الاستاذ بكلية الهندسة فى جامعة الازهر ، والذي يقام فى قمة بنائه الهندسى خمسة أبراج ، اثنان منهما عليهما الصليب ، والثالث عليه الهلال ، والرابع عليه نجمة داوود . أما البرج الخامس فيضم الهلال ، والصليب ونجمة داوود معا .

- والانفاق الثلاثة المؤدية لقمة الجبل ، الهدف منها ان يستريح الزائر من عناء الطريق ، وتقام بها استراحات ، وقوق هذه الاستراحات حجرات لاقامة علماء الدين الاسلامى والرهبن والحاخامات .

ويتضمن المشروع ايضا انشاء فندقين صغيرين ، كل فندق سعته مائتى غرفة ، تقام فيهما المناسبات الدينية على المستوى العالمى .. بالإضافة الى الجامع والكنيسة والمعبد .

كما أن المشروع يطالب برصف الطرق البرية المؤدية لجبل موسى ، وانشاء مطار قريب لطائرات الهليكوبتر بالإضافة الى المطار الموجود أصلا ، والذي ينشأ أيام الاحتلال .. وانشاء مزعومة فى حوض الجبل لتوفير الغذاء اللازم لرجال الدين من الاديان الثلاثة الذين يعيشون بصفة دائمة هناك .

ثانيا : مشروع آخر لثلاثة من المهندسين العالمين ، هم :

المهندس حسن محمد حسن رئيس جمعية المهندسين المعماريين  
المصرية ومهندس اسرائيلي هو ال • منسفيلد من مدينة حيفا ثم  
مهندس فرنسي وهو بير فاجو من باريس •

وهذا المجمع مبدئيا يضم أربعة أقسام رئيسية هي :  
( أ ) الأماكن المقدسة للديانات الثلاثة ، وهي عبارة عن  
ثلاثة مباني متساوية من ناحية السعة ، مختلفة من ناحية المظهر  
والشكل ، ولكن تظهر الفكرة الروحية بطريقة متكاملة ، ويكون  
موزعة حول ساحة تخدم المباني الثلاثة للديانات وتكون كمسكان  
لقاء واتصال بينهم •

( ب ) مركز للدراسة والتأمل ، ولكنه منفصل عن المباني  
المخصصة للديانات الثلاثة • ويكون مكانا للتعبد بصفه عامة ،  
ويضم قاعات للدراسة والمؤتمرات ، وحجرات للراحة والتأمل ،  
واستراحات للحوار ، ومكتبة عامة ، ومركزا للوثائق ، ومركزا  
للخدمات الفنية ، مثل الترجمة الفورية ، والعروض السينمائية  
والفنية •

( ج ) فندق صغير ، لاستقبال واقامة الافراد المشتركين  
في أية اجتماعات او مؤتمرات ، ويمكن ان يضم ٦٠ وحيدة ،  
ومطعما يستوعب حوالي ٣٠٠ وجبة ، وأماكن لاقامة المصلين  
بالخدمات •

( د ) مجمع للسياح ، يقام على مقربة من مجمع الأديان  
وفقا للدراسات السياحية للمنطقة ، ويستوعب حوالي ٣٠٠  
شخص ، ويكون مستقلا تماما •



وقد جرى دراسة المشروعين على الطبيعة خلال شهر  
أكتوبر ١٩٧٩ ، وقيل أن المشروع الثاني قد حاز القبول ، ويبقى  
التنفيذ •

كما سيشرف على تنفيذ المجمع المهندس عثمان احمد عثمان  
الذى كلفه الرئيس السادات بالاشراف على تنفيذ هذا العمل  
التاريخى ، خاصة وان عثمان احمد عثمان يعتبر أحد أبناء  
سيناء ، اذا انه ينتمى الى منطقة العريش ، وابنا لاجد قبائلها .  
وأخيرا . . فان تنفيذ المجمع سيكون تحت اشراف مصر  
بالكامل . ثم ان اختيار مكان هذا المجمع الايمانى سيتم فى اطار  
التخطيط السكانى والعمرانى والسياحى لمنطقة الوادى المقدس .





## الفصل السابع عشر

خاتمة



علاقة سيناء بالعروبة والاسلام ، علاقة وطيدة ومستمرة ..  
بل هي علاقة ، كما يرى هيتز سكرويشه ذات شقين .

**الشق الأول :** هو ما اكده القرآن الكريم ، حيث ذكر « طور سيناء » في عدة آيات بينات ، كما ذكرنا من قبل . وفي هذا الذكر تبين العلاقة قبل الاسلام ، تلك التي جعلت احدي سور الكتاب الكريم تسمى « الطور » . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مكانة الطور - أو سيناء من قبيل اطلاق الجزء على الكل - في الاسلام وفي فكر الاسلام .

وعندما بزغ فجر الاسلام واشرق بنوره ، قيل أن النبي عليه الصلاة والسلام ، ارسل خطابا الى رهبان دير سانت كاترين ، باعتبارهم اهل كتاب ، يؤمنهم فيه على حياتهم ويدعوهم بدعوة الاسلام .

وهناك في الدير نسخة من ( المهدية ) النبوية ، حيث الاصل - كما يقولون .. نقله العثمانيون الى متحف طوب كلبوسراي ، وترك للرهبان صورة ..

كذلك ، قيل أن العلاقة بين المسلمين وسيناء قد بدأت قبل زحف عمرو بن العاص بجنده الى سيناء ومصر .

**والشق الثاني :** هو علاقة سيناء بالاسلام ، من خلال علاقة مصرية تبدأ منذ الفتح العربي لمصر .

والواقع أن سيناء لعبت دورا اسلاميا وعربيا هاما ، منذ صدر الاسلام . حيث شهدت بدءا من عام ٦٣٩ ميلادية عبور طلائع الجيش الاسلامي . فعمرو بن العاص قائد هذا الجيش ، قض كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اليه في العريش . والعريش

ثابت من مصر ، هكذا قالوا لعمر بن العاص .. وهى دلالة اكيدة على مصرية سيناء قبل الاسلام ، ويعدده بالطبع .

وقد كان اجتياز عمرو بن العاص لسيناء ووصوله الى مصر ، وبنائه القسطنط ثالث المدن الاسلامية ، وأولها فى افريقيا ، مرحلة هامة من مراحل تاريخ مصر الاسلامية العربية . فالاسلام الذى جاء الى مصر عبر سيناء كان نقطة انطلاق فى افريقيا والاندلس .

والحقيقة أن عروبة سيناء ومصر قبل الاسلام كانت مؤكدة فسيناء كما كانت معبرا للقبائل العربية ، نتيجة للهجرات الكثيرة من شبه الجزيرة العربية فهى ايضا احتفظت ببعض العشائر والاقخاذ والبطون . بل هى كانت - وما زالت - موطن قبائل عربية صميّة مثل قيس ، ومزينة ، والقراوشية ... وغيرها . كذلك فإن سيناء ومصر بالطبع كانت معبرا وموصلا جيدا للكتاب والعلماء والشجراء .. ما بين مشرق العرب ومغرب ، والعسكى كذلك صحيح .. خاصة بعد تأسيس القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر ، كعبة الاسلام العلمية .. يضاف الى ذلك فان سيناء كانت المبرر الرئيسى لطريق حجاج افريقيا زمنا طويلا اشترنا اليه فى الفصول السابقة .

يقول يوحنا النقيوسى فى تاريخه ، ان أحد رهبان دير السيدة العذراء - دير صانت كاترين بعد ذلك - قد أسلم قبل أن يتم فتح العرب لمصر ، وكان مع الكثيرين من الرهبان عونا لقوات الفتح الاسلامى ، وتقدمها نحو وادى النيل .

بل ان المسيحية والاسلام تعانقا فى سيناء ، فوق بقلعهما المقدسة ، قبل أن يتعانقا داخل وادى النيل ، يدل على ذلك مظاهر كثيرة ، ومنها الجامع داخل الدير فيما بعد ، والذى يقع غرب كنيسة التجلى .

وينشأ تساؤل هنا لم نطرحه ، ونحن نتحدث عن دير سانت كاترين : ما سبب بناء المسجد داخل حرم الدير ؟  
قيل ان السبب ، جاء من اعتناق « الجبالية للإسلام » وقيل

أيضا أن المسجد بنى كي يؤدي فيه المسلمون الذين يزورون الجبل المقدس ، صلاتهم . فالجبل مقدس عند المسلمين ، كما هو أيضا عند اليهود والمسيحيين . لكن هناك رأى أقرب الى الصحة ، ذلك الذى يقول ان بناء المسجد جاء نتيجة تهديد الصليبيين لبيت المقدس . . وبعد أن بدأت سيناء تلعب دورا هاما في الدفاع عن الأمة العربية والإسلامية ضد هذا الخطر الصليبي .

والواقع ان سيناء ظلت هي المعبر بين شرق العرب ومغربهم . بل ظلت همزة الوصل بين بعضهم فى آسيا وبعضهم فى أفريقيا . وقد جعلها موقعها هذا الاستراتيجى مطمعا لكثير من القوى التى استهدفت التآمر على العرب وعلى وحدتهم ، وعلى تاريخهم كذلك . وقد تمثل ذلك فى كل ما جاء على عالم العرب والإسلام ، وكل ما مر به من أحداث ، بحيث يمكننا أن نقول - ودون مغالاة - أن تاريخ سيناء شريحة كبيرة من التاريخ العربى بكل مفاخره وانتصاراته ، وبكل أوزاره وأوضاعه أيضا .

فالصليبيون مثلا ، لكي يحققوا استراتيجية فصل مغرب العرب عن مشرقهم ، استهدفوا امتلاك سيناء والسيطرة عليها ، بالضبط مثلما جاء الصهاينة - الصليبيون الجدد الذين حاولوا احتلال وامتلاك سيناء لينفذوا الفكرة ، الصليبيية البائدة . . فالسكاكيب اليهودى إيلي ليفى أبو عسل فى كتابه : « يقظة العالم اليهودى » يؤكد أن إسرائيل كانت تريد أن تلعب نفس الدور الذى فشل فى تحقيقه الصليبيون ، أو الذى أفضله المصريون على وجه أصح . .  
كذلك فإن الجنرال بونايرت حين غزا مصر اهتم بـسيناء ولوسل إليها العلماء والمهندسين ، بل أنه زان شبه الجزيرة وأقام

عدة أيام في منطقة عيون موسى يبحث ويدرس إقامة قاعدة في تلك المنطقة ، لتكون مركزا استراتيجيا للامبراطورية التي كان يحلم بها في المشرق ، تلك التي تحطمت على صخرة المقاومة المصرية في سيناء وغير سيناء . كذلك حين زارت الامبراطورة الفرنسية أوجيني مصر في عام ١٨٦٩ كضييفة شرف في افتتاح قناة السويس .. كان أول ما فكرت فيه هو أن تزور منطقة عيون موسى . ما ذكرناه حول البريطانيين الذين حاولوا الانفراد بسيناء ليختموا سياستهم الاستعمارية في فلسطين ومصر معا ..

ومن هنا يأتي عظمة ما حدث في كامب ديفيد الثاني أولا . ثم ما حدث من توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل للجلاء عن سيناء ثانيا . وقبل هذا وذاك جاءت حرب أكتوبر المجيدة ، تلك التي وضعت نهاية لكل تلك المخططات التي استهدفت إقامة القيود والسدود بين مغرب العرب ومشرقهم من خلال سيناء .

وقد لفتني كاتب اسرائيلي أثناء احتلال سيناء بعد عام ١٩٦٧ ، حين قال : ( اذا كنا قد عقدنا العزم على تحويل اسرائيل الى دولة هامة ، فعلينا أن نستغل كل فرصة ، وأن نبعث عن كل ذريعة لكي نوطد أقدامنا في شبه جزيرة سيناء ، ولا نتزحزح منها الى الأبد ) !

بل ان الامر قد وصل بمناحم بيجين ، آخر الكبار الذين ساهموا في إقامة دولة اسرائيل بالدماء والجحاحم والاشلاء ، أنه أوصى في مستعمرة « ياميت » .. قرب رفح ..

وهذا وذاك بالطبع مؤشرا على تلك الاستراتيجية الصليبية الصهيونية الاستعمارية ، التي ترى في احتلال سيناء تصفية لقضية شعب فلسطين ، ولفصل مغرب العرب عن مشرقهم .. وقطعا أرضيا وبشريا بين العرب ووحدهم .. بمعنى أن تزول الى الأبد تلك الأرض المشتركة بين مشرق ومغرب العالم العربي .



في بحث له عن سيناء ، يرى الكاتب محمدا عمارة ، أن شبه

الجزيرة هي الشرط الثالث للقومية العربية ، منذ أن قامت للعرب والعروبة امبراطورية .. كان لسيناء ذلك الدور القومى العربى ، منذ عبرها الجيش العربى . وهذا الدور لسيناء ساهم فى حمل وتوصيل رسالة التنوير والحضارة الاسلامية ، حتى وصلت للانجلس ، بل استنارت به اوريا بدءا من جنوبها . وهذا الدور - وهو الاعم - قد ساهم فى التكوين النفسى المشترك للمواطن العربى ، على امتداد الوطن العربى الكبير .

كذلك فانه حينما حدث التفاعل ، بدأت حركة أخرى من المغرب الى المشرق ، بدأت بدولة الفواطم ، وقبلها ، تلك التى اتخذت من مصر منطلقا للعروبة عبر سيناء ، وحيث من خلال الازهر الشريف ، ومن خلال بيت الحكمة ، بدأت مصر عبر سيناء تجديد شباب حضارة الاسلام فى المشرق . بل بدأت معركة الدفاع عنه - وحتى الآن - أمام ما بدأ يجتاحه من غزوات على مختلف أنواعها ، تلك التى حاولت فصل مصر ودورها القيادى عن مشرق العالم العربى . هذه الغزوات أكدت أنه لا قيام للدولة العربية ولا تقسم للعرب الا بالاتحاد مع مصر .. وقد وضع ذلك حينما كان العبور عبر سيناء هو بداية النهاية لتلك المحاولات المفرضة على العرب فى العصور الوسطى ، والتى تجددت فى عصرنا الحديث من خلال الهجمة الصهيونية الاستعمارية .

بل هناك مثال حديث على ذلك .. حينما عقد حزب المحافظين البريطانى مؤتمرا استعمارية فى عام ١٩٠٥ ، لدراسة تجارب الفشل والنجاح .. وقد أقر المؤتمر ، أن الوحدة العربية المركزة على وحدة الارض العربية ، هي السبب فى افشال المخططات الاستعمارية . ولذلك فقد كان من اهم توصيات هذا المؤتمر اقامة قوة مدونة لشعوب تلك المنطقة وصديقة للدول الاوروبية ومصالحها ..

هذه القوة المدونة بالطبع هي اسرائيل ، التى أعطيت وعد بلفور ، هذا الوعد الذى أعطاه من لا يملك لمن لا يستحق !!

وهكذا كانت دائما أهداف القوى الاستعمارية أن تعزل مصر عن شقيقاتها في المشرق العربي ، وبناء جزيرة استعمارية على مقربة من قناة السويس تعيق كل نبض في مصر ، حتى لا يسبح صدهاء في عالم العرب بالشرق .

ولذلك .. فان عودة مسسيناه .. هي عودة الروح ، وعودة الجسر بين مشرق العرب ومغربهم . وانتهاء المستوطنات الاسرائيلية في سيناء والجللاء عنها .. هو مسابقة هامة .. وهدم جدار ادعاءات اقامتها لسبب الامن الاسرائيلي وهدم للتراث الاستعماري الذي استمر لعدة قرون .

والذين يعارضون ، أو يرفضون هذه العودة .. هم يفكرون - فعلا - بعقلية المستعمر الامبريالي .

ان عودة سيناء الى الامم مصر ، وإلى العرب جميعا ، هي عودة للالتقاء والجسر ، واستئناف لمسيرة العرب الحضارية ، من خلال الارض الموحدة العربية في افريقيا وآسيا على السواء .



وفاق السلام

ملاحق وخرائط



## معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل

ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة اسرائيل ..

اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لاقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الاوسط وفقا لقرارى مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ .

اذ تؤكدان من جديد التزامهما « باطار السلام في الشرق الاوسط المتفق عليه في كامب ديفيد » ، المؤرخ في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ..

واذا تلاحظان أن الاطار المشار اليه انما يقصد به أن يكون أساسا للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل فحسب ، بل أيضا بين اسرائيل وأى من جيرانها العرب كل فيما يخصه ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس ..

ورغبة منهما في انهاء حالة الحرب بينهما واقامة سلام تستطيع فيه كل دولة أن تعيش في أمن ..

واقترناعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل يعتبر خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصل الى تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي بكافة نواحيه ..

ولذ تدعوان الاطراف العربية الاخرى في النزاع الى الاشتراك في عملية السلام مع اسرائيل على أساس مبادئ السلام المشار اليه آنفا واسترشادا بها .

واذ ترغبان أيضا في انهاء العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا لميثاق الامم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات الدولية في وقت السلم .

قد اتفقتا على الاحكام التالية بمقتضى ممارستها الحرية  
تسيادتهما من أجل تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين  
مصر واسرائيل .

### المادة الاولى :

١ - تنتهى حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما  
عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ - تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء  
الى ما وراء الحدود الحالية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما  
هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة ( الملحق الاول )  
وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء .

٣ - عند اتمام الانسحاب المرحل المنصوص عليه فى الملحق  
الاول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقاً للمادة  
الثالثة ( فقرة ٣ ) .

### المادة الثانية :

ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هي الحدود الدولية  
المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح  
بالخريطة فى الملحق الثانى وذلك دون المساس بها يتعلق بوضوح  
قطاع غزة ، ويقر الطرفان بان هذه الحدود مصونة لا تمس ويتعهد  
كل منهما باحترام سلامة اراضى الطرف الآخر بما فى ذلك مياه  
الاقليمية ومجاله الجوى .

### المادة الثالثة :

١ - يطبق الطرفان فيما بينهما احكام ميثاق الامم المتحدة  
ومبادئ القانون الدولى التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت  
السلم ، وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيها واستقلاله السياسى .

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها .

(ج) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ، أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ، وبحل كافة المنازعات التى تنشأ بينهما بالوسائل السلمية .

٢ - يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو التهديد بها من داخل أراضيه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر ، كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الإثارة أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف ضد الطرف الآخر فى أى مكان، كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبى مثل هذه الأفعال للمحاكمة .

٣ - يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانتهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع لتمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلح . كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطنى الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائى بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة ( الملحق الثالث ) الطريقة التى يتعهد الطرفان بمقتضاها بالتوصل إلى إقامة هذه العلاقات وذلك التوازى مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة .

## المادة الرابعة :

١ - بغية توفير الحد الأقصى للامن لكلى الطرفين وذلك على أساس التبادل تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الاراضى المصرية والاسرائيلية وقوات أمم متحدة ومراقبين من الامم المتحدة وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الاول وكذلك أية ترتيبات أمن اخرى قد يتفق عليها الطرفان .

٢ - يتفق الطرفان على تركز أفراد الامم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الاول ويتفق الطرفان على أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم الا بموافقة مجلس الامن التابع للامم المتحدة بما فى ذلك التصويت الايجابى للاعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .

٣ - تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه فى الملحق الاول .

٤ - يتم بناء على طلب أحد الطرفين إعادة النظر فى ترتيبات الامن المنصوص عليها فى الفقرتين ١ ، ٢ من هذه المادة وتعديلها باسدى الصرفين .

## المادة الخامسة :

١ - تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومدخلها فى كل من خليج السويس والبحر الابيض المتوسط وفقا لاحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول ، كما يشمل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الاشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة .

٢ - يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوي ، كما يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور الجوي من وإلى أراضيها عبر مضيق تيران وخليج العقبة .

### المادة السادسة :

١ - لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على أى نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٢ - يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من طرف آخر وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة .

٣ - كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكى تطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف التى يكونا من أطرافها بما فى ذلك تقديم الاخطار المناسب للأمين السام للأمم المتحدة وجهات الإيداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات .

٤ - يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزامات تتعارض مع هذه المعاهدة .

٥ - مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى التزامات أخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة وناقذة .

### المادة السابعة :

١ - تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة .

٢ - اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضات  
فتحل بالتوفيق أو تعال الى التحكيم .

#### المادة الثامنة :

يتفق الطرفان على انشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة  
لكافة المطالبات المالية .

#### المادة التاسعة :

١ - تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق  
التصديق عليها .

٢ - تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المقود بين مصر  
واسرائيل في سبتمبر ١٩٧٥ .

٣ - تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقه  
بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها .

٤ - يتم اخطار الامين العام للامم المتحدة بهذه المعاهدة  
لتسجيلها وفقا لاحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة .

حررت في واشنطن دي . سي . في ٢٦ مارس ١٩٧٩ م، ٢٧  
ربيع الاول ١٣٩٩ هـ من ثلاثة نسخ باللغات العربية والانجليزية  
والعبرية وتعتبر جميعها متساوية الحجية ، وفي حالة الخلاف حول  
التفسير فيكون النص الانجليزي هو الذي يعتمد به .

عن حكومة اسرائيل  
عن حكومة جمهورية مصر العربية  
مناحم بيجين  
محمد أنور السادات

شهد التوقيع

جيمس كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية



## الملحق الاول

### البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الامن

#### المادة الاولى - اساس الانسحاب :

١ - تقوم اسرائيل باتمام سحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء في موعد لا يتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ - لتوفير الامن لكلي الطرفين سيصاحب تنفيذ الانسحاب على مراحل الاجراءات العسكرية وانشاء المناطق الموضحة في هذا الملحق وفي الخريطة رقم (١) والمشسار اليها فيما بعد بكلمة « المناطق » .

٣ - يتم الانسحاب من سيناء على مرحلتين :

(أ) الانسحاب المرحلي حتى خط العريش - رأس محمد كما هو مبين على الخريطة رقم (٢) وذلك خلال تسعة أشهر من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

(ب) الانسحاب النهائي من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٤ - تشكل لجنة مشتركة فور تبادل وثائق التصديق على المعاهدة من أجل الاشراف على وتنسيق التحركات والتوقيعات أثناء الانسحاب ، واحكام الخطط والجداول الزمنية وفقا للضرورة في حدود القواعد المقررة في الفقرة (٣) أعلاه ، والتفاصيل المتعلقة باللجنة المشتركة الموضحة في المادة (٤) من المرفق لهذا الملحق .

وسوف تحل اللجنة المشتركة عقب اتمام الانسحاب الاسرائيلي  
النهائي من سيناء .

### المادة الثانية - تحديد الخطوط النهائية :

١ - بغية توفير الحد الاقصى لامن كل الطرفين بعد الانسحاب  
النهائي فان الخطوط والمناطق الموضحة على الخريطة رقم (١) يتم  
انشاؤها وتنظيمها على الوجه التالي :

#### (أ) المنطقة «أ» :

١ - المنطقة (أ) يحدها من الشرق الخط (أ) ، الخط الاحمر  
ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقي لخليج السويس كما  
هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتواجد في هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة  
مشاة ميكانيكية واحدة ومنشأتها العسكرية وكذا تحصينات  
ميدانية .

٣ - تتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

(أ) ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية .

(ب) لواء مدرع واحد .

(ج) سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة  
مدفعية .

(د) سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ  
فرديّة أرض / جو وحتى ١٢٦ مدفع مضاد للطائرات عيار ٢٧ مم  
فاكثري .

(هـ) حتى ٢٣٠ دبابة .

(و) حتى ٤٨٠ مركبة أفراد مدوّعة من كافة الانواع .

(ز) اجمالي حتى ٢٢ ألف فرد .

#### (ب) المنطقة «ب» :

١ - المنطقة «ب» يحدها من الشرق الخط «ب» ( الخط الاخضر ) ومن الغرب « أ » ( الخط الاحمر ) كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - توفر الامن في المنطقة «ب» وحدات حدودية مصرية من اربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية في المحافظة على النظام في المنطقة ، وتتكون العناصر الرئيسية لكتائب الحدود الاربعة من اجمالي حتى ٤٠٠٠ فرد .

٣ - يمكن اقامة نقاط اذار ساحلية أرضية قصيرة المدى ذات قوة منخفضة لوحدة الحدود على ساحل هذه المنطقة .

٤ - تنشأ في المنطقة «ب» تحصينات ميدانية ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الاربعة .

#### (ج) المنطقة «ج» :

١ - المنطقة «ج» يحدها من الغرب الخط «ب» ( الخط الاخضر ) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتمركز في المنطقة «ج» قوات الامم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط .

٣ - تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفة اداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة .

٤ - توزع قوات الامم المتحدة داخل المنطقة «ج» وتؤدي وظائفها المحددة في المادة السادسة من هذا الملحق .

٥ - تتمركز قوات الامم المتحدة أساسا في معسكرات تقع داخل مناطق التمرکز التالية والموضحة على الخريطة رقم (١) ، على أن تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر كما يلي :

(أ) في ذلك الجزء من المنطقة في سيناء التي تقع في نطاق ٢٠ كم تقريبا من البحر المتوسط وتتأخم الحدود الدولية .  
(ب) في منطقة شرم الشيخ .

#### (د) المنطقة «د» :

١ - المنطقة «د» يحدها الشرق الخط «د» ، الخط الأزرق ( ومن الغرب الحدود الدولية كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .  
٢ - تتواجد في هذه المنطقة قوة اسرائيلية محدودة من أربع كتائب مشاة ومنشأتها العسكرية وتحصينات ميدانية ومراقبي الامم المتحدة .

٣ - لا تتضمن القوة الاسرائيلية في المنطقة «د» دبابات او مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ فردية أرض / جو .

٤ - تتضمن العناصر الرئيسية لكتائب المشاة الاسرائيلية الاربع حتى ١٨٠ مركبة افراد مدروعة من كافة الانواع واجمالي حتى ٤٠٠٠ فرد .

٢ - يسمح باجتياز الحدود الدولية من خلال نقاط المراجعة فقط والمحددة من قبل كل طرف وتحت سيطرته ويكون هذا الاجتياز وفقا للقوانين والنظم المعمول بها في كل دولة .

٣ - تتواجد بهذه المناطق تلك التحصينات الميدانية والمنشآت العسكرية والقوات والاسلحة المسموح بها والمحصدة في هذا الملحق .

### المادة الثالثة - نظام الطيران العسكرى :

- ١ - تكون طلعات طائرات القتال وطلعات الاستطلاع لمصر واسرائيل فوق المنطقتين «أ» و «د» فحسب كل فى منطقته .
- ٢ - تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر واسرائيل فى المنطقتين «أ» و «د» فقط ، كل فى منطقته .
- ٣ - تقلع وتهبط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط فى المنطقة «ب» ويمكن الاحتفاظ فى المنطقة «ب» بعدد ٨ طائرات منها . يمكن تجهيز وحدات الحدود المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لاداء وظائفها فى المنطقة «ب» .
- ٤ - يمكن تجهيز الشرطة المدنية المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لاداء وظائف الشرطة العادية فى المنطقة «ج» .
- ٥ - يمكن انشاء مطارات مدنية فقط فى هذه المناطق .
- ٦ - دون المساس باحكام هذه المعاهدة ، يقتصر النشاط الجوى العسكرى فى المناطق المختلفة وفى المجال الجوى الواقع فوق مياهها الاقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق .

### المادة الرابعة - النظام البحرى العسكرى :

- ١ - يمكن للقطع البحرية التابعة لمصر واسرائيل التمرکز والعمل على سواحل المنطقتين «أ» و «د» كل فى منطقته .
- ٢ - يمكن لزوارق حرس السواحل المصرية خفيفة التسليح ان تتمركز وتعمل فى المياه الاقليمية للمنطقة «ب» لمعاونة وحدات الحدود فى اداء وظائفها فى هذه المنطقة .
- ٣ - تؤدى الشرطة المدنية المصرية والمجهزة بزوارق خفيفة مسلحة تسليحا خفيفا ووظائف الشرطة العادية داخل المياه الاقليمية للمنطقة «ج» .

٤ - ليس في هذا الملحق ما يعتبر انتقاصاً من حق المرور البريء للقطع البحرية لكلي الطرفين .

٥ - يمكن أن تقام في المناطق المختلفة موانئ ومنشآت بحرية مدنية فقط .

٦ - دون المساس بإحكام هذه المعاهدة يقتصر النشاط البحري العسكري في المناطق المختلفة وفي مياهها الإقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد في هذا الملحق .

### المادة الخامسة - نظام الإنذار المبكر :

يمكن لكل من مصر وإسرائيل إنشاء وتشغيل نظم إنذار مبكر في المنطقتين «أ» و «د» فقط ، كل في منطقته .

### المادة السادسة - عمليات الأمم المتحدة :

١ - يطلب الطرفان من الأمم المتحدة أن توفر قوات ومراقبين للإشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل كل جهودها لمنع أي خرق لأحكامه .

٢ - يتفق الطرفان ، كل فيما يخصه ، على طلب الترتيبات التالية فيما يتعلق بقوات ومراقبي الأمم المتحدة :

- ( أ ) تشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة على امتداد الحدود الدولية وعلى الخط « ب » ، وداخل المنطقة « ج » ،
- ( ب ) التحقق الدوري من تنفيذ أحكام هذا الملحق مرتين في الشهر على الأقل ، ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .
- ( ج ) اجراء تحقق إضافي خلال ٤٨ ساعة بعد تلقي طلب بذلك من أي من الطرفين .
- ( د ) ضمان حرية الملاحة في مضيق تيران وفقاً للمادة الخامسة من معاهدة السلام .

٣ - تنفيذ الترتيبات المقررة عالياً لكل منطقة بواسطة قوات الأمم المتحدة في المناطق «أ» «ب» «ج» وبواسطة مراقبي الأمم المتحدة في المنطقة «د» .

٤ - يرافق أطعم التحقق للامم المتحدة ضباط اتصال من الطرف المختص .

٥ - تخطر قوات الامم المتحدة ومراقبوها كلى الطرفين بالنتائج التى يتوصلون اليها .

٦ - تتمتع قوات الامم المتحدة ومراقبوها الذين يعملون فى مختلف المناطق بحرية الحركة والتسهيلات الاخرى الضرورية لاداء واجباتهم .

٧ - لا تتمتع قوات الامم المتحدة ومراقبوها بأية صلاحيات للسماح باجتياز الحدود الدولية .

٨ - يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبي الامم المتحدة وسيتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الامن للامم المتحدة .

٩ - يتفق الطرفان على أن تقوم الامم المتحدة بوضع ترتيبات القيادة التى تضمن أفضل تنفيذ فعال لمسئولياتها .

### المادة السابعة - نظام الاتصال :

١ - عقب حل اللجنة المشتركة يتم انشاء نظام اتصال بين الطرفين ، ويهدف هذا النظام الى توفير وسيلة فعالة لتقييم مدى التقدم فى تنفيذ الالتزامات وفقاً لهذا الملحق وحل أية مشكلة قد تطرأ أثناء التنفيذ ، كما تقوم بأحالة المسائل التى لم يبت فيها إلى السلطات العسكرية الاعلى للبلدين كل فيما يخصه للنظر فيها .

كما يهدف أيضا الى منع أية مواقف قد تنشأ نتيجة أخطاء أو سوء فهم من قبل أى من الطرفين .

٢ - يقام مكتب اتصال مصرى فى مدينة العريش ومكتب اتصال اسرائيلى فى مدينة بئر سبع ويؤاس كل مكتب ضابط من البلد المعنى يعاونه عدد من الضباط .

٣ - يقام اتصال تليفونى مباشر بين المكتبين وكلنا خطوط تليفونية مباشرة بين قيادة الامم المتحدة وكل المكتبين .

#### **المادة الثامنة - احترام النصب التذكارية للحرب :**

يلتزم كل طرف بالمحافظة على النصب المقامة فى ذكرى جنود الطرف الآخر بحالة جيدة ، وهى النصب المقامة بواسطة اسرائيل فى سيناء والنصب التى ستقام بواسطة مصر فى اسرائيل ، كما سيسمح لكل طرف بالوصول الى هذه النصب .

#### **المادة التاسعة - الترتيبات المؤقتة :**

ينظم المرفق لهذا الملحق والخريطتان (٢) و (٣) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى ، وكذا حركة قوات الطرفين والامم المتحدة حتى الانسحاب النهائى .



## مرفق الملحق الاول

### تنظيم الانسحاب من سيناء

#### المادة الاولى - مبادئ الانسحاب :

١ - يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين من سيناء على مرحلتين كما هو مبين في المسادة الاولى من الملحق (١) ويتضمن هذا المرفق تخطيط وتوقيت الانسحاب ، ونقوم اللجنة المشتركة باعداد التفاصيل الخاصة بهذه المراحل وتقدمها الى كبير منسقى قوات الامم المتحدة بالشرق الاوسط قبل شهر من ابسدا ،  
أى مرحلة من مراحل الانسحاب .

٢ - اتفق الطرفان على المبادئ التالية بشأن ترتيب التحركات العسكرية :

(أ) على الرغم مما تقضى به أحكام المادة التاسعة الفقرة الثانية من هذه المعاهدة ، وحتى يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الخطين ( دى و م ) الحاليين اللذين أنشسنا بنا على الاتفاقية المصرية / الاسرائيلية الموقعة فى سبتمبر ١٩٧٥ والمشار اليها فيما بعد باتفاقية عام ١٩٧٥ ، الى خط الانسحاب المرحلى ، فان جميع الترتيبات العسكرية القائمة طبقا لتلك الاتفاقية تبقى سارية المفعول فيما عدا الترتيبات العسكرية المنصوص عليها خلاف ذلك فى هذا المرفق .

(ب) مع انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية تدخل قوات الامم المتحدة فوراً للمناطق المخلاء لاقامة مناطق عازلة مؤقتة كما هو مبين فى الخريطتين (٢) ، (٣) على التوالى بفرض الابقاء على الفصل بين القوات ، ويكون دخول قوات الامم المتحدة سابقا لتحرك أى افراد آخرين الى داخل هذه المناطق .

(ج) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لاية مساحة واقعة في المنطقة «أ» ، تنتشر وحدات القوات المسلحة المصرية وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا المرفق .

(د) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لاية مساحة واقعة في المنطقتين «أ» و «ب» تنتشر وحدات الحدود المصرية وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا المرفق ، وتؤدى وظائفها وفقا لاحكام المادة الثانية من الملحق (١) .

(هـ) تدخل الشرطة المدنية المصرية الى المساحات المخلاء عقب دخول قوات الامم المتحدة مباشرة لاداء الوظائف العادية للشرطة .

(و) تنتشر وحدات القوات البحرية المصرية في خليج السويس وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا الملحق .

(ز) باستثناء تلك التحركات المشار اليها اعلاه فان أعمال الانتشار للقوات المسلحة المصرية والانشطة الموضحة في الملحق (١) تكون سارية المفعول في المناطق المخلاء بعد أن تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية انسحابها الى ما وراء خط الانسحاب المرحلي .

### المادة الثانية - المراحل الفرعية للانسحاب الى خط الانسحاب المرحلي :

١ - يتم الانسحاب الى خط الانسحاب المرحلي على مراحل فرعية كما هو متصوص عليه في هذه المادة وكما هو موضح على الخريطة (٣) وتتم كل مرحلة فرعية خلال العدد المقرر من الاشهر التي يبدأ احتسابها اعتبارا من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

#### (أ) المرحلة الفرعية الاولى :

خلال شهرين تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة

العريش بما في ذلك مدينة العريش ومطارها والمشار إليها بالمنطقة  
(١) على الخريطة رقم (٣) .

#### (ب) المرحلة الفرعية الثانية :

خلال ثلاثة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من  
المنطقة الواقعة بين الخط «م» المقرر بمقتضى اتفاقية ١٩٧٥ والنخط  
«أ» والمشار إليها بالمنطقة (٢) على الخريطة رقم (٣) .

#### (ج) المرحلة الثالثة :

خلال خمسة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية  
من المنطقة الواقعة شرق وجنوب المنطقة (٢) والمشار إليها بالمنطقة  
(٣) على الخريطة رقم (٣) .

#### (د) المرحلة الفرعية الرابعة :

خلال سبعة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من  
منطقة الطور - رأس الكنيسة والمشار إليها بالمنطقة (٤) على الخريطة  
رقم (٣) .

#### (هـ) المرحلة الفرعية الخامسة :

خلال تسعة أشهر ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من  
المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب المرحلي بما في ذلك منطقة  
سانت كاترين والمناطق شرق ممرى الجدى ومتلا والمشار اليهما  
بالمنطقة (٥) على الخريطة رقم (٣) ويكتمل بذلك الانسحاب  
الاسرائيل الى ما وراء خط الانسحاب المرحلي .

٢ - تنتشر القوات المصرية فى المناطق المخلاة من القوا  
المسلحة الاسرائيلية وفقا لما يلى :

(أ) ينتشر حتى ثلث القوات المسلحة المصرية الموجودة فى  
سيناء وفقا لاتفاقية عام ١٩٧٥ فى الاجزاء من المنطقة «أ» التى تقع

داخل المنطقة (١) وذلك حتى اتمام الانسحاب المرحلي ، وبعد ذلك تنتشر القوات المسلحة المصرية كما هو موضح في المادة الثانية من الملحق (١) في المنطقة د، حتى حد المنطقة العازلة المؤقتة .

(ب) يبدأ نشاط القوات البحرية المصرية وفقا للمادة الرابعة من الملحق (١) على امتداد سواحل المناطق (٢) و (٣) و (٤) عقب اتمام المراحل الفرعية الثانية والثالثة والرابعة على التوالي .

(ج) تنتشر كتيبة واحدة من وحدات الحدود المصرية الموضحة في المادة الثانية من الملحق (١) في المنطقة (١) عقب اتمام المرحلة الفرعية الاولى ، كما تنتشر كتيبة ثانية في المنطقة (٢) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثانية ، وتنتشر كتيبة ثالثة في المنطقة (٣) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثالثة ، والكتيبتان الثانية والثالثة المذكورتان عاليه يمكن أن تنتشرا في أى من المناطق المخلاء بمعد ذلك بجنوب سيناء .

٣ - يعاد توزيع قوات الامم المتحدة في المنطقة العازلة (١) المقررة بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ لتمكين انتشار القوات المصرية الموضح في السابق وذلك عقب اتمام المرحلة الفرعية الاولى ، وفيما عدا ذلك تستمر في أداء مهامها وفقا لاحكام الاتفاقية المشار اليها في الاجزاء المتبقية من المنطقة المذكورة حتى اتمام الانسحاب المرحلي وفقا لما هو موضح في المادة الاولى من هذا المرفق .

٤ - يمكن للقوافل الاسرائيلية استخدام الطرق جنوب وشرق التقاطع الرئيسى للطرق الواقعة شرق الصريش لاختلاء القوات الاسرائيلية ومعداتهما حتى اتمام الانسحاب المرحلي ، وتتحرك القوافل في ضوء النهار بعد تقديم اخطار بذلك بأربع ساعات الى مجموعة الاتصال المصرية وقوات الامم المتحدة ، وتصاحبها قوات الامم المتحدة ، وسيتم ذلك وفقا للتوقيتات المنظمة من قبل اللجنة المشتركة ، ويصاحب القوافل ضوابط اتصال مصرى لتأمين

التحركات دون عائق ، ويمكن للجنة المشتركة أن توافق على ترتيبات أخرى بالنسبة للقوافل .

### المادة الثالثة - قوات الامم المتحدة :

١ - يطلب الطرفان توزيع قوات الامم المتحدة وفقا للضرورة لاداء الوظائف الواردة في هذا المرفق حتى موعد اتمام الانسحاب النهائي ، ولهذا الغرض يوافق الطرفان على اعادة توزيع قوات الطوارئ التابعة للامم المتحدة .

٢ - تشرف قوات الامم المتحدة على تنفيذ هذا المرفق وتبذل ما في وسعها لمنع أية مخالفة لاحكامه .

٣ - عندما توزع قوات الامم المتحدة تبعا لاحكام المادتين الاولى والثانية من هذا المرفق ، تياشر مهمة التحقق في المناطق محدودة القوات وفقا للمادة السادسة من الملحق (١) وتقيم نقاط مراجعة ، ودوريات استطلاع ونقاط مرافية في المناطق العازلة المؤقتة الموضحة بالمادة الثانية أعلاه ، والوظائف الاخرى لقوات الامم المتحدة والمتعلقة بالمنطقة العازلة للخط المرحلي موضحة في المادة الخامسة من هذا المرفق .

### المادة الرابعة - اللجنة المشتركة والاتصال :

١ - تعمل اللجنة المشتركة المشار اليها في المادة الرابعة من هذه المعاهدة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ، وحتى تاريخ اتمام الانسحاب النهائي من سيناء .

٢ - تكون اللجنة المشتركة من ممثلين عن كل طرف برئاسة ضباط من رتب عالية وتدعو اللجنة ممثلين من الامم المتحدة لحضور اجتماعاتها عند مناقشة موضوعات تتعلق بالامم المتحدة أو اذا طلب الى من الطرفين وجود الامم المتحدة ويتم التوصل الى قرارات اللجنة المشتركة باتفاق كل من مصر واسرائيل .

٣ - تشرف اللجنة المشتركة على تنفيذ الترتيبات الموضحة في الملحق (١) وفي هذا المرفق ، ولهذا الغرض وبالاتفاق بين الطرفين تقوم بما يلي :

(أ) تشق التحركات العسكرية الموضحة في هذا المرفق وتشرف على تنفيذها .

(ب) تتناول بالبحث وتسمى الى حل أية مشكلة تنشأ عن تنفيذ الملحق (١) وهذا المرفق وتناقش أية مخالقات تبلغ اليهيا بواسطة قوات الامم المتحدة ومراقبيها ، وتحيل الى حكومتى مصر واسرائيل أية مشاكل لم يتم حلها .

(ج) تساعد قوات الامم المتحدة ومراقبيها في تنفيذ مهامها، وتبحث الجداول الزمنية الخاصة بالتحقيقات الدورية عندما يطلب منها الطرفان ذلك ، كما هو وارد في الملحق رقم (١) وفي هذا المرفق .

(د) تنظم وضع العلامات على الحدود الدولية وجميع الخطوط والمناطق المشار اليها في الملحق (١) وهذا المرفق .

(هـ) تشرف على تسليم المنشآت الرئيسية في سيناء من اسرائيل الى مصر .

(و) توافق على الترتيبات اللازمة للعثور على الجثث المفقودة لجنود مصر واسرائيل واعادتها .

(ز) تنظم اقامة وتشغيل نقاط المراجعة للمداخل على امتداد خط العريش - راس محمد ، وفقا لاحكام المادة الرابعة من الملحق (٣) .

(ح) توالى اتصالها عن طريق استخدام اطقم اتصال مشتركة من ممثل واحد عن كل من مصر واسرائيل من مجموعة اتصال دائمة وسوف تمارس انشطتها وفقا لتوجيه اللجنة المشتركة .

خط) توفر الاتصال والتنسيق مع قيادة الامم المتحدة التي تنفذ أحكام المعاهدة وعن طريق أطقم الاتصال المشتركة تحافظ على التنسيق والتعاون المحلي مع قوات الامم المتحدة المتمركزة في مناطق معينة أو مراقبي الامم المتحدة الذين يرصدون مناطق معينة لتوفير أية مساعدة مطلوبة .

(د) تناقش أى مسائل أخرى قد يتفق الطرفان على طرحها على اللجنة .

٤ - تعقد اجتماعات اللجنة المشتركة مرة واحدة كل شهر على الأقل وفي حالة طلب أحد الطرفين أو قيادة قوات الامم المتحدة عقد اجتماع خاص ، فيتم عقد هذا الاجتماع خلال ٢٤ ساعة .

٥ - تجتمع اللجنة المشتركة في المنطقة العازلة حتى اتمام الانسحاب المرحلي ، ثم تجتمع في مدينتي العريش ويثر سبع بعد ذلك بالتبادل ، على أن يعقد أول اجتماع لها ليس متأخرا عن أسبوعين بعد بدء سريان مفعول المعاهدة .

#### المادة الخامسة - تعريف المنطقة العازلة المؤقتة وأنشطتها :

١ - تنشأ منطقة عازلة مؤقتة بغرض قيام قوات الامم المتحدة بالفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ، وذلك غرب خط الانسحاب المرحلي ومتاخمة له كما هو مبين في الخريطة رقم (٢) ، وذلك بعد تنفيذ الانسحاب الاسرائيلي وتوزيع القوات خلف خط الانسحاب المرحلي .

وتتولى الشرطة المدنية المصرية المجهزة بأسلحة خفيفة القيام بمهام الشرطة العادية في هذه المنطقة .

٢ - تقوم قوة الامم المتحدة بتشغيل نقاط المراجعة ودوريات استطلاع ، ونقاط مراقبة داخل المنطقة العازلة المؤقتة بغية التأكد من الالتزام بأحكام هذه المادة .

٣ - طبقا للترتيبات التي اتفق عليها الطرفان والتي سيتم

تنسيقها في اللجنة المشتركة ، يتولى أفراد اسراييليون ادارة منشآت حربية فنية في ربح مواقع محددة وموضحة على الخريطة رقم (٢) ومشار اليها بـ « ف ١ » ( احدائي المركز على الخريطة ٥٧١٦٣٩٤٠ ) و « ف ٢ » ( احدائي المركز على الخريطة ٥٩٣٥١٥٤١ ) و « ف ٣ » ( احدائي المركز على الخريطة ٥٩٣٣١٥٢٧ ) و « ف ٤ » ( احدائي المركز على الخريطة ٦١١٣٠٩٧٩ ) وذلك طبقا للمبادئ التالية :

(أ) يتولى العمل بالمنشآت الفنية أفراد فنيسون واداريون مسلحون بالاسلحة الخفيفة اللازمة لحمايتهم ( مسدسات ، بنادق ، مدافع رشاشة خفيفة ومتوسطة ، قنابل يدوية وذخيرة ) كالاتي :

ف ١ / ما لا يزيد على ١٥٠ فرد

ف ٢ ، ٣ / ما لا يزيد على ٣٥٠ فرد

ف ٤ / ما لا يزيد على ٢٠٠ فرد

(ب) لا يحمل الافراد الاسراييليون اسلحة خارج المواقع ، باستثناء الضباط الذين يجوز لهم حمل الاسلحة الشخصية .

(ج) سيستدخّل طرف ثالث يتفق عليه بين مصر واسرائيل لاجراء تفتيشات داخل محيط المنشآت الفنية في المنطقة العازلة ، ويقوم الطرف الثالث بالتفتيش مرة كل شهر على الاقل وبطريقة فجائية ويتحقق المفتشون من طبيعة عمل وتشغيل المنشآت ومن الاسلحة والافراد داخلها ، ويقوم الطرف الثالث بإبلاغ الطرفين فوراً عن أي تحول لاي منشأة عن دورها في أعمال المسح البصري والالكتروني والمواصلات .

(د) يجوز القيام بامداد المنشآت وزياراتها لاغراض فنية وادارية واستبدال الافراد والاجهزة المقامة في المواقع دون تعطيل وذلك من خلال نقاط مراجعة الامم المتحدة حتى مداخل المنشآت الفنية بعد المراجعة والمراقبة بواسطة قوة الامم المتحدة فحسب .



(هـ) يسمح لاسرائيل أن تدخل في منشآتها الفنية المواد اللازمة للاداء الصحيح للمنشآت والافراد .

(و) يسمح لاسرائيل بما يلي وطبقا لما تحدده اللجنة المشتركة :

١ - الابقاء داخل منشآتها على معدات مكافحة الحريق والصيانة العامة وكذلك العربات الادارية ذات العجل والمسدات الهندسية المتحركة اللازمة لصيانة المواقع وجميع العربات تكون غير مسلحة .

٢ - صيانة الطرق وخطوط المياه وكابلات المواصلات التي تخدم هذه المواقع سواء بداخلها أو داخل المنطقة العازلة وفي كل من مواقع المنشآت الثلاثة ( ف ١ ، ف ٢ ، ف ٣ ، ف ٤ ) ويجوز أن تتم هذه الصيانة بما لا يتجاوز عربتين ذات العجل وغيرمسلحتين وبما لا يتجاوز اثني عشر فردا غيرمسلحين ومعهم المعدات الهندسية الثقيلة اذا ما دعت الحاجة لها . ويجوز اتمام عمليات الصيانة هذه ثلاث مرات أسبوعيا باستثناء المشاكل الخاصة وبعد اعطاء الامم المتحدة اخطارا مسبقا بأربع ساعات ويرافق الطاقم قوات من الامم المتحدة .

(ز) يتم التنقل من المنشآت الفنية واليها خلال ساعات النهار فقط ويكون الدخول إليها والخروج منها على الوجه التالي :

١ - ف ١ عن طريق نقطة تفتيش الامم المتحدة ومن خلال الطريق الموصل بين أبو عجيلة ومفترق طريقي أبو عجيلة وجبل لبنى ( كيلو متر ١٦١ ) كما هو موضح على الخريطة رقم (٢) .

٢ - ف ٢/٣ عن طريق نقطة تفتيش الامم المتحدة ومن خلال الطريق المنشأ عبر المنطقة العازلة الى جبل كاترين ( الخريطة رقم ٢ ) .

٣ - ف ٢/٣/٤ ، من خلال طائرات الهليكوبتر على أن تستخدم ممرا جويا وفي الاوقات وطبقا لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة .

وتقوم قوة الامم المتحدة بتفتيش طائرات الهليكوبتر على أن تستخدم ممرا جويا ، وفي الاوقات وطبقا لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة .

(ح) تخطر اسرائيل قوة الامم المتحدة قبل ساعة على الاقل من قيامها بأى تحرك تعتزم القيام به من المنشآت واليهما .  
(ط) يحق لاسرائيل اخلاء المرضى والجرحى واستدعاء الخبراء الطبيين والاطقم الطبية فى أى وقت بعد اعطاء بلاغ فوري الى قوة الامم المتحدة .

٤ - تتناول اللجنة المشتركة بحث تفاصيل المبادئ المشار اليها أعلاه وكل الامور الأخرى الواردة فى هذه المادة التى تتطلب التنسيق بين الطرفين .

٥ - يتم سحب هذه المنشآت الفنية عند انسحاب القوات الاسرائيلية من خط الانسحاب المرحلى أو فى وقت يتم الاتفاق عليه بين الطرفين .

المادة السادسة - اسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية:  
يحدد الطرفان اسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية طبقا للاسس الآتية :

١ - تقوم اللجنة المشتركة خلال فترة لا تتجاوز ثلاث أسابيع قبل انسحاب اسرائيل من أية منطقة بالاعداد لقيام اطقم الاتصال والاطقم الفنية المصرية والاسرائيلية بعمل تفتيش مشترك على جميع المنشآت المناسبة للاتفاق على حالة المنشآت والمواد التى ستسلم

الى الجانب المصرى ولترتيب عملية التسليم ، وستعلن اسرائيل فى ذلك الوقت عن خططها فيما يتعلق بكيفية التصرف فى هذه المنشآت والمواد التى بداخلها .

٢ - تتعهد اسرائيل أن تنقل لمصر كل ما يتفق عليه من المرافق الاساسية والمنافع العامة والمنشآت بحالة سليمة بما فى ذلك المطارات والطرق ومحطات الضخ والموانئ ، وتقدم اسرائيل لمصر المعلومات اللازمة لصيانة وتشغيل هذه المنشآت والتعرف على طريقة عملها لمدة تصل الى اسبوعين قبل التسليم .

٣ - عندما تخلى اسرائيل نقاط المياه العسكرية بالقرب من العريش والطور تباشير الاطعم الفنية المصرية ادارة هذه المنشآت والمعدات المعاونة لها طبقا لعملية استلام منظمة وسابقة الاعداد بواسطة اللجنة المشتركة ، وتتعهد مصر بأن تستمر فى توفير الكميات العادية من المياه المتوفرة حالياً عند مختلف نقاط المياه لحين انسحاب اسرائيل الى ما وراء الحدود الدولية ، الا اذا تم الاتفاق على خلاف ذلك فى اللجنة المشتركة .

٤ - تتعهد اسرائيل بازالة أو تدمير جميع العوائق العسكرية بما فى ذلك الموانع وحقول الالغام فى المناطق التى تجلو عنها ومن المياه المجاورة لها تبعا للاسلوب التالى .  
(أ) تزال أولا الموانع العسكرية من المناطق القريبة من السكان والطرق والمنشآت الرئيسية والمنافع العامة .

(ب) بالنسبة للموانع وحقول الالغام التى لا يمكن ازالتها أو تدميرها قبل الانسحاب الاسرائيلى ، تقوم اسرائيل بتقديم خرائط مفصلة الى مصر والامم المتحدة عن طريق اللجنة المشتركة وفى موعد لا يتجاوز ١٥ يوما قبل دخول قوات الامم المتحدة الى هذه المناطق .

(ج) يقوم المهندسون العسكريون والمصريون بالدخول الى هذه المناطق بعد دخول قوات الامم المتحدة لاجراء عمليات ازالة هذه الموانع طبقا لخطة تقوم بها مصر بتقديمها قبل التنفيذ .

### المادة السابعة - النشاط الاستطلاعي :

١ - يتم النشاط الجوي الاستطلاعي خلال الانسحاب على الوجه التالي :

(أ) يطلب كلا الطرفين من الولايات المتحدة الامم المتحدة في طلعات الاستطلاع الجوي وفقا للاتفاقات السابقة حتى اتمام الانسحاب الاسرائيلي النهائي .

(ب) تغطي الطلعات الجوية المناطق المحدودة القوات للتأكد من أن القوات الاسرائيلية قد انسحبت من المناطق المبينة في المادة ٢ من الملحق الاول ، والمادة الثانية من هذا المرفق والخريطين (٢) ورقم (٣) ، ومن بقاء القوات خلف خطوطها بعد ذلك ، ويمكن القيام بطلعات تفتيش خاصة بناء على طلب أى من الطرفين أو بناء على طلب الامم المتحدة .

(ج) تقتصر التبليغات على العناصر العسكرية الرئيسية لتنظيم كل طرف كما هو موضح في الملحق الاول وفي هذا المرفق .

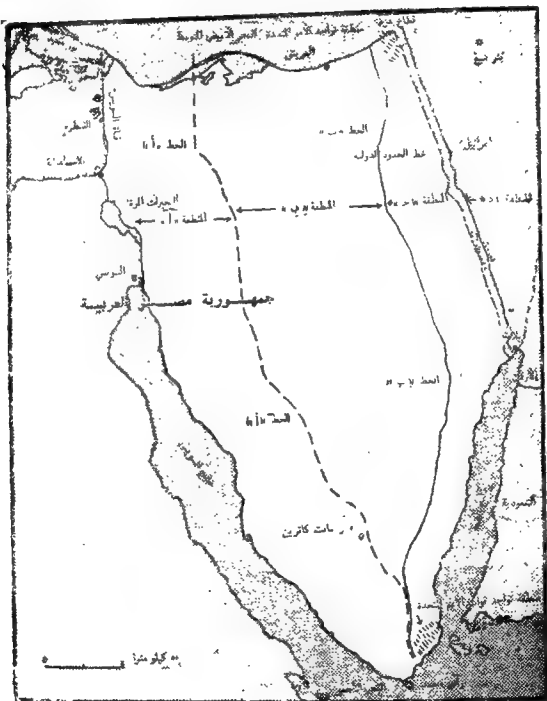
٢ - يطلب الطرفان من بعثة سيناء الميدانية التابعة للولايات المتحدة أن تستمر في عملياتها طبقا للاتفاقات السابقة وحتى اتمام انسحاب اسرائيل من المنطقة الواقعة بشرق ممرات الجدي ومتلا . وبعد ذلك تنتهى مهمة البعثة .

### المادة الثامنة - ممارسة السيادة المصرية :

تستأنف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة على الاجزاء التى يتم اخلاؤها في سيناء بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه الاجزاء ، كما هو منصوص عليه في المادة الاولى من هذه المعاهدة .

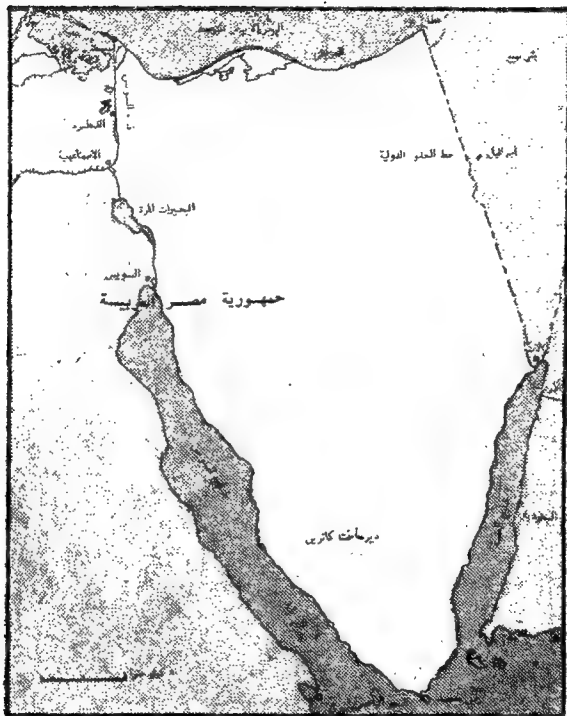
### الخريطة رقم (١)

فِيهِ











## حول الحكم الذاتي للفلسطينيين

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزي السيد الرئيس

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا على ما يلي :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل أنهما قد اتفقتا في كامب ديفيد ووقعتا في البيت الابيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار السلام في الشرق الاوسط المنفق عليه في كامب ديفيد » و « اطار لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » .

وبغية التوصل الى تسوية سلمية شاملة وفقا للاتارين المشار اليهما آنفا تشرع مصر واسرائيل في تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد اتفقتا على بدأ المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام ، ووفقا لـ « اطار السلام في الشرق الاوسط » فإن المملكة الاردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك في المفاوضات ، ولكل من وفدى مصر والاردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك .

وهدف المفاوضات هو الاتفاق قبل اجراء الانتخابات على الترتيبات الخاصة باقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة ( المجلس الادارى ) ، وتحديد سلطاتها ومسئولياتها ، والاتفاق على مايرتبط بذلك من مسائل أخرى ، وفي حالة اذا ما قرر الاردن عدم الاشتراك في المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر واسرائيل .

وتتفق الحكومتان على ان تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات في أقرب تاريخ ممكن ، كما

تتفق الحكومتان على ان الغرض من المفاوضات هو اقامة سلطة الحكم الذاتي في النصف الغربية وغزه من أجل تحقيق الحكم الذاتي الكامل للسكان .

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هدفاً للانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد بحيث يتم اجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الاطراف قد توصلوا الى اتفاق ، وتنشأ سلطة الحكم الذاتي المشار اليها في « اطار السلام في الشرق الاوسط » وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتباراً من هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية ، ويتم سحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتي محلها كما هو منصوص عليه في « اطار السلام في الشرق الاوسط » .  
وحينئذ يتم انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة واعادة توزيع القوات الاسرائيلية المتبقية في مواقع أمن محددة .

ويؤكد هذا الخطاب أيضاً مفهومنا بأن حكومة الولايات المتحدة الامريكية ستشارك اشتراكاً كاملاً في كافة مراحل المفاوضات . . .

### مع خالص التحية

عن حكومة اسرائيل	عن حكومة جمهورية مصر العربية
مناحم بيجين	محمد أنور السادات

الرئيس جيمى كارتر  
البيت الأبيض

## مصادر الكتاب

بعض مصادر عربية أو مترجمة الى العربية للرجوع اليها

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - العهد القديم والعهد الجديد « مجلد واحد »
- ٣ - د. ابراهيم أبو كند ، واسعد زريق : تهويد فلسطين .. مركز الابحاث  
الاسلامية
- ٤ - ابراهيم امين غالى : سيناء المصرية عبر التاريخ .. هيئة الكتاب
- ٥ - د. ابراهيم نصحي : مصر فى عصر البطالة .. الانجلو
- ٦ - احمد غنيم ، واحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ..  
دار الهلال
- ٧ - د. احمد احمد بنوى : فى موكب الشمس « جزآن » .. لجنة التأليف  
والنشر والترجمة
- ٨ - احمد بهاء الدين : اسرائيليات .. دار الهلال
- ٩ - احمد بهاء الدين : وتخطت الاسطورة عند الفجر .. دار الشروق
- ١٠ - احمد الشهلوى شرف الدين : قصص الانبياء « جزآن » .. مطبعة التأليف
- ١١ - احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن
- ١٢ - د. احمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ .. مطبعة الزمان - بغداد
- ١٣ - د. احمد لطفى : مصر الفرعونية .. الانجلو
- ١٤ - احمد كمال : مصر .. للطبعة الامرية
- ١٥ - ج. هـ. بريست : مصر من القدم المصور الى اللوح الفارسي .. وزارة المعارف
- ١٦ - ابن خلدون « عبد الرحمن » : المقدمة
- ١٧ - جاردنو : مصر الفراغة « ترجمة » .. هيئة الكتاب
- ١٨ - جالينا نيكيتينا : دولة اسرائيل .. دار الهلال
- ١٩ - د. جمال حمدان : ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية .. عالم الكتب
- ٢٠ - د. جمال جمال حمدان : قناة السويس نبض مصر .. عالم الكتب
- ٢١ - جون ولسون : مصر « ترجمة احمد كمال » .. النهضة
- ٢٢ - حسن البدرى « لواء وآخرون » : حرب رمضان .. مكتبة الأنجلو
- ٢٣ - حسين عواد : دراسة مودولوجية لجبال سيناء .. بحث مستخرج
- ٢٤ - حنلى الكنيسى : الساعة ٢٠٥٥ بدأ الطوفان .. دار المعارف

- ٢٥ - دويتون : مصر « ترجمة عباس بيومي » .. النهضة
- ٢٦ - رمزي عبده جرجس « ترجمة » : الامبراطورية الرومانية .. دار الفكر العربي
- ٢٧ - دفت الجوهري « لواء » : سيناء ارض القهر .. الدار القومية
- ٢٨ - زكي علي : تاريخ الامبراطورية الرومانية .. مكتبة النهضة
- ٢٩ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور : الحروب الصليبية « جزآن » .. مكتبة الانجلو
- ٣٠ - سليم حسن : مصر القديمة « اجزاء »
- ٣١ - د. سليمان حزين : بلاد العرب والشرق الادنى
- ٣٢ - سيناء المستقبل : « العدد الاول » عن سلسلة مركز النيل للاعلام
- ٣٣ - صبرى ابو الجعد : الصراع العربي الاسرائيل .. كتاب تحت الطبع
- ٣٤ - د. الطيب النجار : حياة الانبياء
- ٣٥ - د. عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ .. هيئة الكتاب
- ٣٦ - د. عاطف عبد السلام : تصنيف التربة وتخصيبها في وادي العريش
- ٣٧ - عباس محمود العقاد : ابراهيم ابو الانبياء .. دار الهلال
- ٣٨ - عباس محمود العقاد : عمرو بن العاص .. دار الهلال
- ٣٩ - عبد الحميد جودة السحار : ابراهيم ابو الانبياء « اجزاء » .. مكتبة مصر
- ٤٠ - د. عبد الحليم منتصر ، و د. محمد عبد الفتاح القصاص : صحارى مصر .. دار الهلال
- ٤١ - عبد الرحمن الراعى : تاريخ الحركة القومية في مصر « اجزاء »
- ٤٢ - د. عبد اللطيف احمد على : مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى .. دار النهضة العربية
- ٤٣ - د. عبد الكريم تدويس ، و د. ليسلى تكللا : حرب الساعات الست .. مكتبة الانجلو
- ٤٤ - عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء
- ٤٥ - د. علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى .. مكتبة النهضة
- ٤٦ - كتاب الهلال الذهبى : حرب اكتوبر ١٩٧٣ .. دار الهلال
- ٤٧ - كريستوفر هارولد : بونايرت في مصر .. « ترجمة فؤاد اندراوس » .. الالف كتاب
- ٤٨ - كمال العقاد : وادي فيران « بحث مستخرج »
- ٤٩ - محمد صبيح : القدس وحروبنا الكبرى .. دار النصب
- ٥٠ - محمد صبيح : تلمتوت اليهود من موسى الى ديان .. مطبعة العالم العربى
- ٥١ - محمد صبيح : ايام .. وايلم .. مطبعة العالم العربى
- ٥٢ - محمد عمارة : معارك العرب ضد الفزة .. مطبعة الحرية - بيروت
- ٥٣ - محمد الفرحانى : الحرب الصليبية الادوية التاسعة .. بيروت
- ٥٤ - محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر .. محمد علي
- ٥٥ - محمد فريد ابو حديد : « ترجمة » فتح العرب لمصر .. مكتبة النهضة

- ٥٦ - المجلس القومية المتخصصة : سيناء وخطط التنمية حتى سنة ٢٠٠٠ ..  
دار التعاون
- ٥٧ - د. مراد كامل : فهرس مكتبة دير سانت كاترين
- ٥٨ - مصر ومصرية السلام : علامات على الطريق .. هيئة الاستعلامات
- ٥٩ - موسى صبرى : وثائق حرب أكتوبر .. المكتب العربى الحديث
- ٦٠ - موسوعة سيناء : المجلس الاعلى للعلوم
- ٦١ - المقرئى « تقي الدين » : السلوك فى معرفة دول الملوك ( تحقيق د. سعيد عاشور ) .. مركز تحقيق التراث
- ٦٢ - مناحم بيجين : التمرد .. قصة الارجون .. هيئة الكتاب
- ٦٣ - مجموعات خطب الرئيس أنور السادات .. هيئة الاستعلامات
- ٦٤ - مجموعات الصحف العربية فى القرن العشرين .. دار الكتب والمجموعات الخاصة
- ٦٥ - الهملانى : صفة جزيرة العرب
- ٦٦ - هنرى آزو : فتح السويس « ترجمة محمود حسن ابراهيم »
- ٦٧ - هيللا شعبان صايغ : مذكرات هيرتزل .. مركز الابحاث الفلسطينية
- ٦٨ - نعيم شفيق : تاريخ سيناء وجغرافيتها
- ٦٩ - يوسابيوس القيصري : تلويغ الكنيسة .. دار الكرنك
- ٧٠ - الجنرال ويفل : اللبى فى مصر « مترجم »
- ٧١ - د. يونان لبب رزق : أزمة العقبة .. بحث مستخرج من المجلة المصرية للدراسات التلويغية
- ٧٢ - فوميل ليب : السلام الصعب .. دار التعاون
- ٧٣ - محمد العزب موسى : موسى مصرى .. المكتبة الثقافية
- ٧٤ - محمد السيد غلاب : تقرير عن بعثة فؤاد الاول للصحراء الى شمال سيناء  
بحث مستخرج
- ٧٥ - أنور السادات : البحث عن الذات .. المكتب المصرى الحديث
- ٧٦ - أنور السادات : قصة الثورة كاملة .. دار الهلال
- ٧٧ - دوماس « مترجم » شبه جزيرة سيناء .. « ١٩٥١ »

## بعض مراجع اجنبية

- BARRON ; The Topography & Geology of the Peninsula of Sainai, Western Portion .. Department of Survey, CAIRO 1907

BRAMLEY W.E.; The Bedwins in the Sainai Peninsula, 1905

- Heather Colyer Ross ; Bedwin Jewellery in SAUDI ARABIA, London 1978.

HEINZ SKROBUCHA, SAINAI ; Translated by Goerge Alan ; Oxford 1966.

HUME W.T. ; A BRIef History of North Sainai & elusium.

JARVIS C.S. ; Yesterday & To-Day in Sainai, London, 1933.

- Laqueur W., History of Middle East Conflict  
● Murry C.W. ; Sons of Ismael, London 1935.  
● Palmer E.H. ; The Desert of Exodus, Cambridg 1971.  
● Petri C.F. ; Reaserches in Sainai. London 1906.  
● Petri C.F. ; Egypt & Israel, London, 1931.

---

رقم الايداع ٣٦٧١ / ٨٠  
الترقيم الدولي ٩٧٧-٧٣٣٤-٢٩-٧

---

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر



مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة دار التعاون



مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر